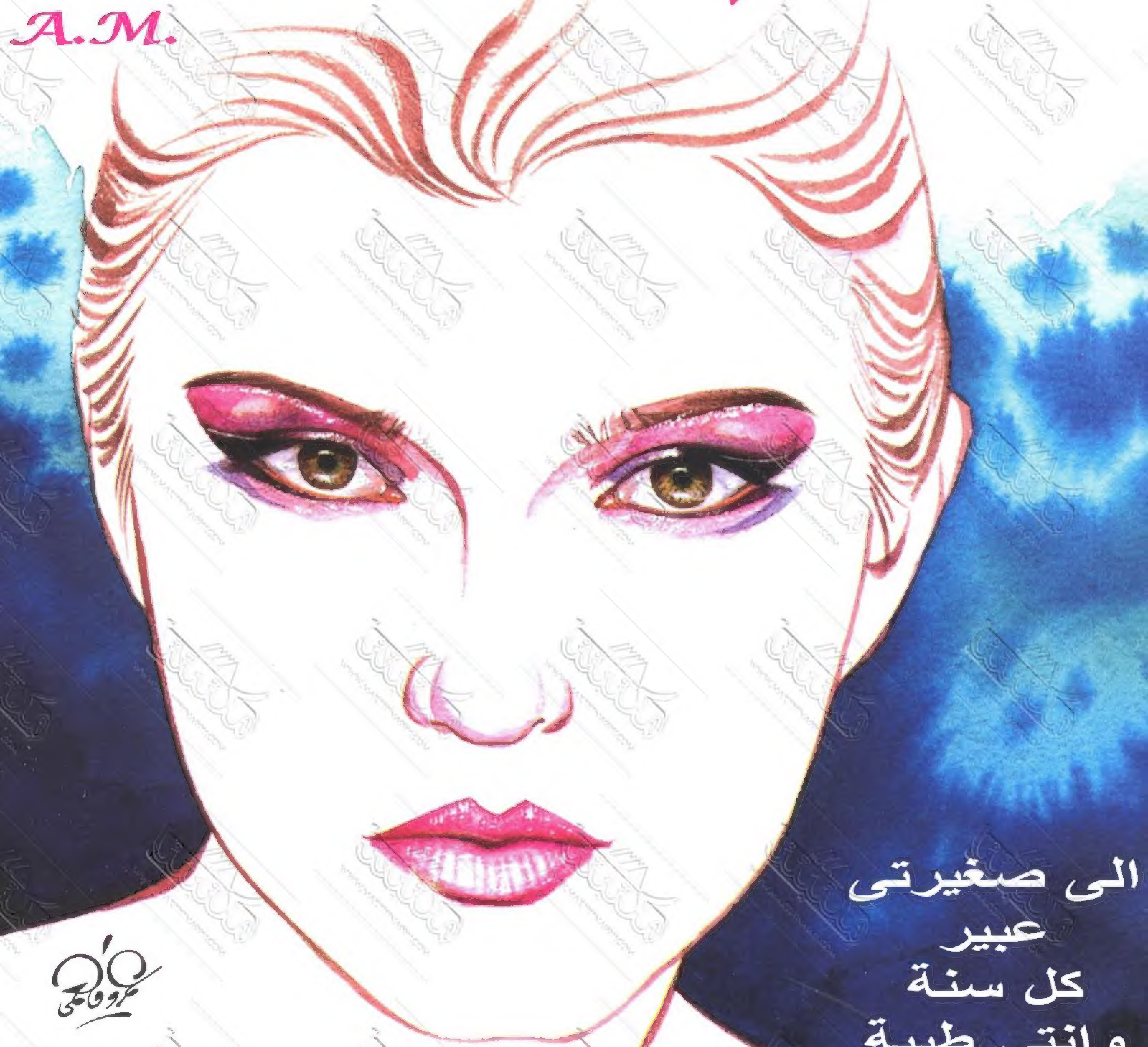
328

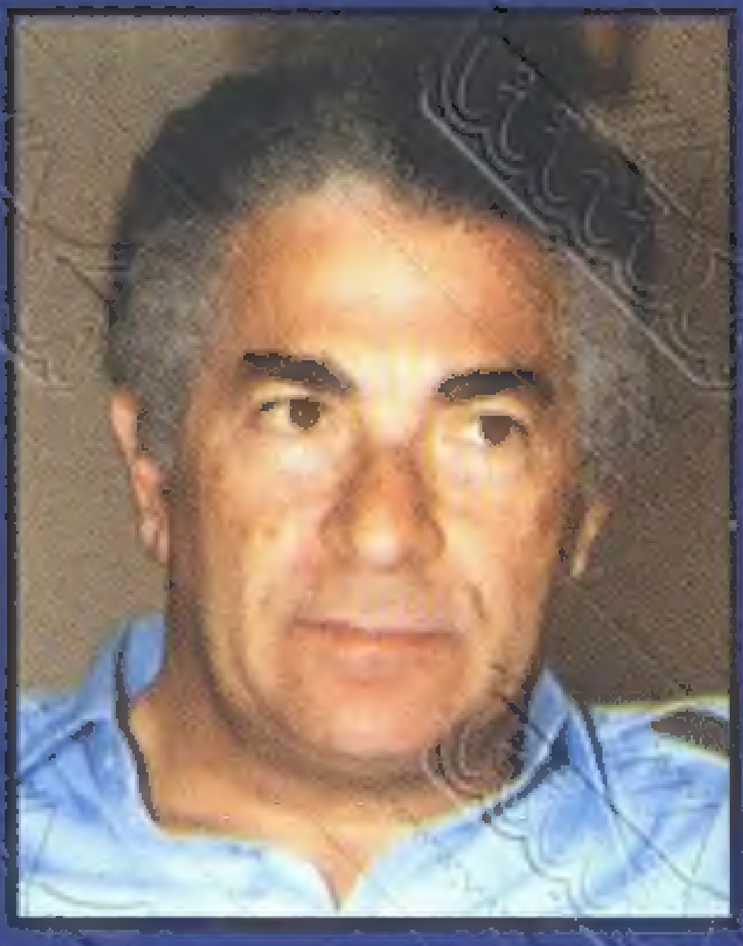
الطبعة الثانية

أنيس منصور

من أجل عينيها



الى صغيرتى
عبير
كل سنة
وانتى طيبة



من أجل عينيها

أكثر من ساعتين من المتعة والإثارة والإبهار جلستها أمام التليفزيون أتفرج على أعجب قصة بوليسية فنية تاريخية إنسانية، الحكاية أن أحد مصوري مجلة «ناشيونال چيوجرافيك» ذهب إلى اللاجئين في أفغانستان منذ 17 سنة، والتقط أعظم وأجمل وأبلغ صورة في القرن العشرين؛ صورة فتاة خضراء العينين، والعينان يشع من جمالهما: الخوف والقرف والتحدي والمرارة والجوع والصبر، وهي أروع من لوحة (الچيوكندا) التي حارت البشرية في سر ابتسامتها.. وخطر للمصور أن يبحث عن الفتاة بعد مرور هذا الوقت.. وكان عليه أن يعثر عليها بين مائة مليون نسمة.. ولذلك ذهب إلى حيث التقى بها أول مرة..

6 221133 343091

دار نهضة مصر للنشر

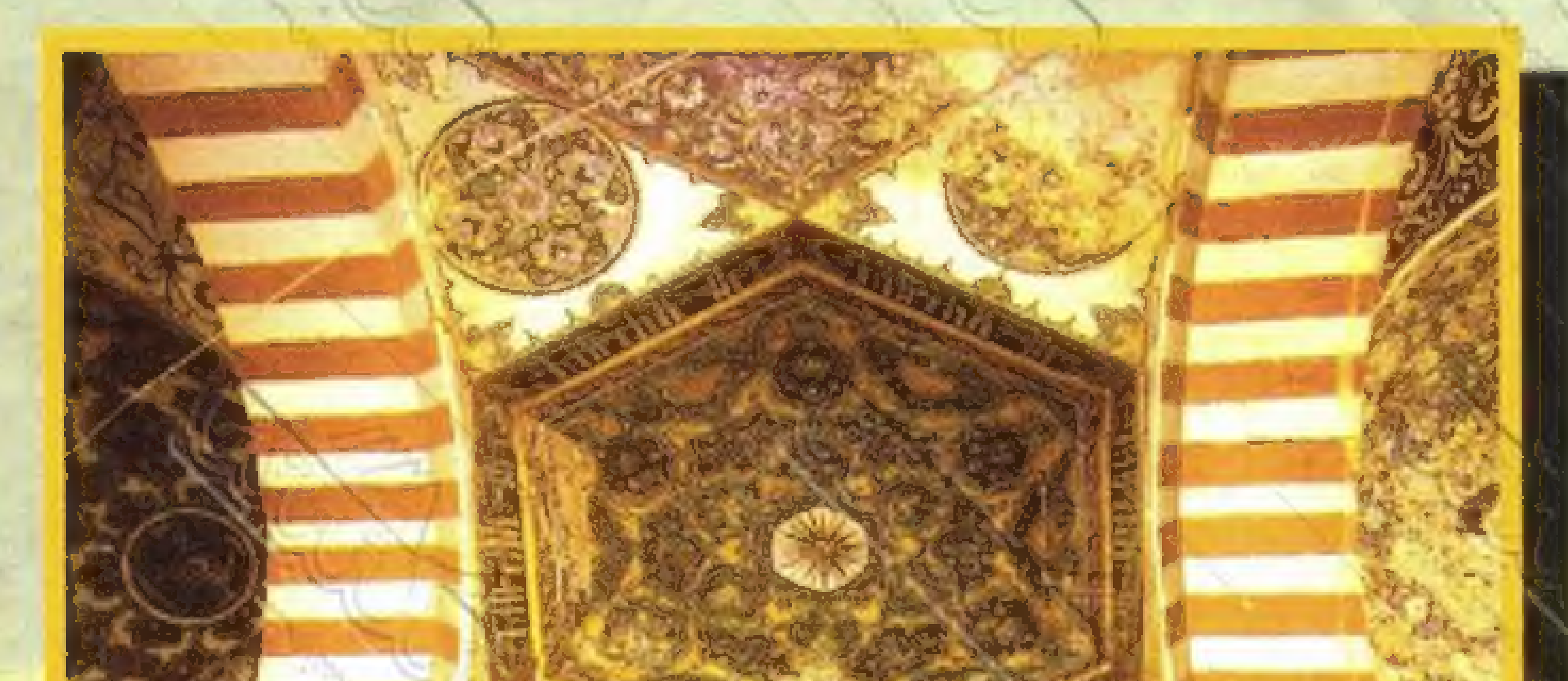
www.nahdetmisr.com

Frid.
8/2/2013
Riyadh

كتابنا القادم

حضارة الأنبياء

تاريخهم وعصمتهم



الدكتور محمد رضا محمد بشير القهوجي

دار الوراق
دار النيربين

أنيس منصور

من أجل عينيها!

دار نهضة مصر
للنشر

لا تعصب
أبيض!

موضوعان يصعب الاجتهاد فيهما: الدين وكرة القدم.. الناس متعصبون جدًا. وليس صحيحًا أن التعصب للأهلي أو الزمالك تعصب أبيض، بل هو تعصب قاتم. فالذي نراه في الملاعب وخارجها لا نجده أمام أماكن العبادة!

فقد تلقيت خطابات وبرقيات كلها تستنكر أن يكون لي ميل، مجرد ميل، لأحد الأندية الرياضية مع أن كل القراء عندهم مثل هذا الميل. يعني مسموح لهم، وليس مسموحًا لي. مع أنني لا أدعي ولا ادعيت في أي وقت، أن لي أية خبرة بكرة القدم، وأنني فقط أتفرج على المتفرجين وأن الذي يشغلني هو انشغالهم هم بأي نادٍ من الأندية أو بالرياضة ووقت الفراغ.

ولابد أن ينشغل أي مفكر باهتمامات الناس في الملاعب أو في المساجد، في الشارع أو في البيت. فهذه الأماكن هي الملاعب والمدرجات والجمنازيوم للكاتب أو الأديب أو المفكر.. بس كده. وقد سجلت هذه المقدمة للسلسلة التي كتبتها عن تاريخ ومعنى تطور أو عدم تطور كرة القدم، وعلاقتها بالمعارك والحروب والنظم القبلية – لابد أن أقول كلامًا سيكولوجيًا. وأدهشني أن يسأل الإنجليز فلاسفتهم ليعلقوا على مشاعر الناس الذين سوف يتفرجون على

المباراة النهائية بين ألمانيا وإنجلترا.. أعداء الحروب خصوم الرياضة حلفاء الرفاهية الأوروبية.. وكان للفلاسفة كلام جميل عميق نقلته حرفيًا!

وأدهشني أن تجيء خطابات من الزملكاوية من أمريكا ومن كندا ومن البرازيل تصور! وعشرون برقية من الملحن المعروف سيد إسماعيل، ولو نشرت عبارات سيد إسماعيل لتطوع ألف واحد في نادي الزمالك بتطبيق الحسبة عليه وتطليقه من زوجته.. ولكنني لن أفعل..

وكأنني دخلت عش الدبابير.. ولما أخرجت يدي وضعت أصابعي في أفواه الحيات والسبب أنني حاولت أن أمارس ما هو حق لكل إنسان وهو أن أميل لأحد الأندية!

ويقال إن الكرة هي المجنونة!!

سوف ينقرض!

سمكة صغيرة مسكينة تسبح واقفة في الماء لها رأس حصان. وقادرة على أن تتلون حسب البيئة هربًا من الأسماك التي تفترسها. طولها حوالي 15 سنتيمترًا وهي الآن تنقرض هذه السمكة اسمها (حصان البحر). وسبب انقراضها أن أطباء الصين قد اكتشفوا أنها قادرة على إنعاش الرغبة الجنسية.. بل إنها تجعل الذين يتعاطونها وحوشًا جنسية.. فهم يأكلونها على شكل بودرة أو شوربة ساخنة. المهم أن الصيادين يجوبون المحيطات بحثًا عنها.. فأغنياء الصين الشيوعية يبحثون عن هذا الترف ويجدونه في بحار إندونيسيا والهند والفلبين.. والهيئات العلمية تقاوم وتحاول أن تعيد تربية هذه الأسماك بأنواعها الثلاثين حتى لا تنقرض!

وهذا الحيوان المسكين يمسك الأشياء بذيله ويختفي في المياه الدافئة بين الشعب المرجانية. وتجيء الأنثى وتبيض في جيب الذكر. الجيب في أسفل الجسم. ويتولى الذكر حضانة البيض وتلقيحه – أي أن الأنثى تحمل وتبيض وتترك للذكر تربية العيال! وهو لا يشكو وإذا ماتت زوجته هذه فإنه يموت وهو يفضل أن تكون له أنثى واحدة!

أما كيف يقع هذا الحيوان المسكين في شباك الصيادين، فلأنه يتحرك بمئات الألوف ويتلون، وإذا تلون وتألق تحت الماء أو بالقوب

من السطح التقطته عيون الصيادين. وألقوا شباكهم وحملوه حيًّا أو ميتًا إلى موائد أغنياء الصين.. أو باعوه للزينة في الدول الأوروبية ليعلق من سلسلة المفاتيح.. أو من آذان النساء..

ولم يكتف الأطباء الصينيون بوصفه للضعف الجنسي والعقم ورمد العيون وللأزمات القلبية، وإنما وصفوه أيضًا لطول العمر.. فقد اكتشفوا أن عددًا من الصيادين الذين تجاوزوا المائة عام قد اعترفوا بأنهم لم يعرفوا من أسماك البحر كلها إلا (حصان البحر) طعامًا وقزقزة وشوربة بل إنهم يقرأون البخت إذا أمسكوا عددًا من هذه الأسماك ثم أطلقوها في حوض ماء صغير. فحركة هذه الأسماك تدل على الطالع؛ لأن هذه الأسماك -كما يقولون- قد هبطت من السماء لتكون مرشدًا للإنسان في حياته- فكيف لا يصيدونها ويعيشون على جثثها؟!

إلا الحضـــارة والفـــن!

في الحرب العالمية الثانية حاصر الألمان مدينة لننجراد برًّا وبحرًا وجوًّا. وكانت هناك تعليمات صريحة بعدم الاقتراب من مدرسة الباليه. المدرسة تضم 200 طفلة.. لقد رأيتها وبهرتني..

وابتعد الألمان عن هذه المدرسة.. بل إن الألمان كانوا يحملون للتلميذات الصغيرات الفيتامينات والبطاطين التي تبعث بها بريطانيا؟! مع أنها حرب لا تعرف الرحمة. ولكن هذه الحرب لا تقضي على الحضارة.. لا تقضي على الفن.

ففرنسا أعلنت باريس مدينة مفتوحة، وإيطاليا أعلنت روما مدينة مفتوحة –أي حتى تدخلها القوات المعادية دون إطلاق رصاصة واحدة.. خوفًا على آثارها ومتاحفها في الشوارع والميادين. وفي أثناء الحرب كان هناك اتفاق بين ألمانيا وبريطانيا على عدم ضرب جامعتي أكسفورد وكمبردج في إنجلترا وجامعتي بتبجن وهميولت في ألمانيا. وقد احترم المحاربون هذه الاتفاقيات التي تدل على أنهم رغم وحشية القتال فإن أحدًا لم يبلغ به الانحطاط أن يهدم مدرسة أو جامعة.. أو يقتل فتيات صغيرات، أو يوقف نمو الموهبة النبيلة.

وقد كان كبار الضباط الألمان يوقفون إطلاق النار وهم يتفرجون على تلميذات الباليه الصغيرات.. ويصفقون لهن ثم يوزعون الهدايا..

ويؤكدون للراقصات الصغيرات والمدرسات أنه لا خوف على المدرسة ولن ينقص الطعام والملابس الصوفية وأدوات التدفئة.. وانتهت الحرب وبقيت هذه المدرسة وكذلك أعظم متحف في الدنيا وهو متحف الأرميتاج (أربعة ملايين لوحة فنية أصلية). حتى أمريكا كانت تبعث – عن طريق الصليب الأحمر – طعامًا وملابس لراقصات المستقبل..

ولم يتساءل أحد بعد الحرب ولا أثناءها: لماذا أبقى الألمان على هذه المدرسة بمن فيها من مئات الفنانات الصغيرات؟ لا أحد قد نطق بهذا السؤال؛ لأنه من البديهيات احترام الفن وحضارة الإنسان وروعة الطفولة وجمال الأداء.. ولم يتلق الألمان شكرًا من أحد على ذلك؛ لأنه لا شكر على واجب إنساني مقدس.. فليست الفتيات الفنانات طرفًا في الصراع بين النازية والشيوعية..

إنهن فوق.. فوق كل صراع.. ولذلك فقد انهزم المحاربون وانتصر الفن والجمال!

تساعـــد
مـن يساعدهــا!

لن أنسى الفيلم الإيطالي الفرنسي (دون كاميللو) بطولة الكوميدي الفرنسي فرناندل ومن تأليف الأديب الشيوعي جوارسكي. هذا الفيلم أثار الكنيسة في إيطاليا، فأدخلوا المؤلف السجن.. بطل الفيلم اسمه دون كاميللو وهو قسيس كاثوليكي، وهو يحمل على كتفيه السيد المسيح حيًّا. وفي الفيلم تجرى الانتخابات بين الشيوعيين والكاثوليك وينتصر الشيوعيون.

والذي يهمني هنا هو مباراة كرة القدم بين النادي الكاثوليكي والنادي الشيوعي.. واحتشد الناس نصفين: الملحدون في ناحية والمؤمنون في ناحية. ولسبب ليس واضحًا للمشاهدين، كان كل فريق على يقين من النصر.. المؤمنون سوف ينتصرون.. فلن تخذلهم السماء والشيوعيون على يقين من النصر فساعات التدريب والتجسس على الفريق الآخر ومعرفة عيوبه وقدراته تؤكد للفريق الشيوعي أنه هو الذي سوف ينتصر!

ويوم المباراة كان استفتاء جديدًا على صلاحية المسيحية أو الشيوعية دينًا للناس. وذهب القس (دون كاميللو) يحمل السيد المسيح. والمؤمنون سعداء بدون كاميللو وتدخل السماء..

وكانت للسيد المسيح كلمات سمعناها نحن.. ولكن القسيس لم يسمعها ولا الجماهير.. أما كلمات السيد المسيح فهي اتهام رقيق للمؤمنين.. فهم جاءوا دون استعداد.. ويريدون أن يكسبوا دون مشقة واستعداد، فقد ألقوا بالعبء كله عليه هو وليس عليهم هم..

وانطلقت صفارة الحكم.. وانطلقت مرة أخرى بعد دقيقة لتعلن أول هدف في شبكة المؤمنين!

وتتلفت الجماهير وتشير بأيديها وأعلامها وصلبانها وقمصانها إلى دون كاميللو: أين المعجزة؟! طبعًا الهدف القادم، والذي بعده، سوف يكون لنا!

وتنطلق صفارة الحكم معلنة الهدف الثاني للشيوعيين والثالث.. وصفارة نهاية المباراة ويهرب دون كاميللو من الملايين.. وأخيرًا يتطلع إلى السيد المسيح ويسمعه وهو يقول: ولكنهم لم يفعلوا شيئًا.. لقد تواكلوا..

ويقول دون كاميللو: أخيرًا تقول هذا يا سيدي..

فرد عليه السيد المسيح: لقد قلت لك منذ البداية ولكن لا أنت ولا هم يسمعون.. فالسماء تساعد من يساعدها.

شكــرًا
يـا أبا همـام!

شكرًا للأستاذ أبو همام (د. عبد اللطيف عبد الحليم) فقد أعطاني ساعات من المتعة والتأمل العميق في قراءة شعر لجماعة (الديوان) وما بعد الديوان في أجزائه الأول والثاني والرابع – ولا أعرف إن كان هناك ثالث.. ثم ديوانه هو (أغاني العاشق الأندلسي) وهو العاشق للأندلس وعلى الغلاف جاءت هذه الأبيات:

وجهـــك هـــذا أم أنـــا حالـــم
طالـت بأحلامــي الليالـي الطـوال

وكلمـــا أرحـــل فـــي مـوجـــة
تدفعنـي أخــرى لعشــق الجمـــال

مــن زوجتـــه (المنصــور) أشــواق
عينيـك ومنهـــا تيههـــا والـــدلال

أرود فــي (قرطبــة) ســرك الخاشـع
مـــا بيـــن طيـــوف الجـــلال

وقد قـدم أبو همـام دراسـات ومختـارات من شعر سيد قطب والجبلاوي والحسائي عبد الله وحمزة شحاتة وعلي شوقي ومحمود عمـاد وعبد الرحمن صدقي والتونسـي، ودراسـات مستفيضــة عن الشاعر أبو همام بأقلام الشعراء المعاصرين..

وكانت دراسة أبو همام لسيد قطب بديعة؛ فقد أعاد معظم ما قاله سيد قطب إلى أصوله من شعر أستاذه العقاد.. ولم يستطع أحد من تلامذة العقاد أن يتجاوزه.

ولابد أن يقف القارئ طويلاً عند قصيدة عبد الرحمن صدقي في رثاء زوجته فلم تغب عن لسانه ودموعه.. وقد حدثني عبد الرحمن صدقي كثيرًا عن زوجته الأولى.. على مسامع زوجته الثانية الإيطالية.. يقول عبد الرحمن صدقي:

كان لي في أخريات العمر بيت فعدمته

سنوات أربع أم كان ذا حلمًا حلمته

ليته طال ولو طال لما كنت سئمته

زوجتي لم تنقم على نقص ولا شيء نقمته..

همها همي فلا تعزم إلا ما عزمته

همنا الدرس وما تفهمه منه فهمته

أحرام إن سعدنا أم خيال ما زعمته

كل ما أعرف أن كان لي بيت عدمته!

ويقول عبد الرحمن صدقي أيضًا:

ربي أراني شقيًّا ... مشردًا في فضاك

أكاد من فرط يأسي ... أشكو إليك قضاك

عدمت بالأمس زوجي ... فلا عرفت رضاك

ولابد أن أعود مرة أخرى لأجدد متعتي. شكري الجزيل لأبي همام.

الديـن والفلسفـة والتنويـر..

د. محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف طراز عظيم الاحترام من كل وزراء الأوقاف. فإن لم يكن أحسنهم جميعًا فهو في الصف الأول علمًا وأدبًا وتواضعًا.. وهو مثل شجرة حملت أثمارًا كثيرة فمالت أغصانها تلتمس الأرض..

ومنذ أيام صدر له كتاب صغير في خفاء.. الكتاب اسمه (الدين والفلسفة والتنوير) - في سلسلة (اقرأ) والموضوعات عميقة معقدة لكنه استطاع أن يحكيها في رفق للقارئ غير المتخصص - واختار موضوعًا شعبيًا هو (التنوير) ولم يزل يوضح ويضيء عبر مئات السنين من فلسفة الإغريق والفلسفة الحديثة حتى توقف طويلاً عند الفيلسوف الأندلسي ابن رشد الذي توفي منذ ثمانية قرون.. يقول د. زقزوق:

لابد أن نبحث عن الطريق السوي للخروج من تناقضات الفهم الخاطئ للدين ومن متاهات الضلال العقلي.. وذلك يتم عن طريق تحديد المفاهيم وتوضيح الأفكار وبيان وجه الحق فيها حتى تتضح الحقيقة. وبخاصة أمام الشباب الذين هم عدة الوطن وأمله المرتقب. ومن هنا تأتي ضرورة التنوير الذي نحن اليوم في أشد الحاجة إليه للخروج من أزمتنا الفكرية الخانقة للانطلاق نحو آفاق التقدم والازدهار. ولأن الفيلسوف ابن رشد هو أكبر فلاسفة التنوير شرقًا

وغربًا فقد كان من الضروري أن يوضح د. زقزوق موقفه من الدين والفلسفة. وقد استطاع بهدوء وتسلسل منطقي بديع، دون أن يسرف على نفسه أو يرهق القارئ..

والكتب كالأطعمة.. أطعمة تشبع منها دون أن تذوقها، وكتب لا تشبع منها مهما ذقتها.. وكتاب د. زقزوق هو من هذا الطراز الثاني لأنك تطلب منه المزيد في كل صفحة ولكن د. زقزوق يخشى أن يلتفت إليه القارئ كوزير للأوقاف، وينسى أنه عالم جليل درس في ألمانيا وتخصص وتعمق.. ومؤهل تمامًا إلى أن يجلس في مقعد الأستاذ مترفقًا بتلاميذه ومريديه..

في جلسة واحدة قرأت الكتاب الذي أعادني إلى محبوبتي التي عذبتني طويلاً وعميقًا وقلبت نهاري ليلاً وليلي نهارًا: الفلسفة!

مجاهد
مجاهد

ليس من الشعراء والمفكرين أحد يستحق الاهتمام به مثل مجاهد عبد المنعم مجاهد، فهو شاعر رقيق صوفي، وهو مفكر خجول، وقد لمس بقلمه أكثر القضايا الفلسفية المعاصرة واختار في نفس الوقت أن يكون (غريبًا) بين الأدباء والشعراء، ومن المؤكد أنه أكثر غربة واغترابًا بين الصحفيين –فهو يعمل في وكالة أنباء الشرق الأوسط!

أما مؤلفاته فكثيرة – ولا يعرفها إلا القليلون– فقد اختار موضوعات شاقة وقرر أن يكتبها في عبارة خاصة، أهم مؤلفاته:

أغنيات مصرية (شعر) – هكذا تكلمت العيون (شعر) – تاريخ علم الجمال – الفلسفة والحنين إلى الوجود – هيجل قلعة الحرية – فلسفة الفن الجميل – من القلق إلى الأمل.

أما مؤلفاته التي شغلتني وتشغلني كثيرًا فهي:

المثنى والاغتراب.. الاغتراب في الفلسفة المعاصرة..

أما شعره فيجمع بين الرقة والفلسفة والعشق.. يقول مجاهد عبد المنعم مجاهد:

طـول حياتـي وأنـا فـي حالـي

أمشي جنب الحائط وأخاف من خيالي

فلمــاذا فــي آخــر أيامــي يأتــي الحب يفجــر زلزالـــي؟

أتراه سيصلح أحوالي أم يتركني في الأرض حطامًا؟!

ويقول:

قبلـك كـان النـــاس نيامًـــا   بعـدك صـــار النـوم حرامًـا

بـك رفـــع البــــدر لثامــــه   بـل بك عرف البـدر تمامـه

ومـن أبـدع كتب مجاهد عبد المنعم مجاهد كتابه (الإنسان والاغتراب) – فأنت في هذا الكتاب في قلب الفلسفة الوجودية وفلسفة الأدباء الساخطين الإنجليز والأدباء الصاخبين الأمريكان.. وقد ذهب بعيدًا عميقًا إلى متاهات القلق والعذاب واليأس من أجل أن يجد (نظرية)..

يقول أبو حيان التوحيدي: سألتني أن أذكر لك الغريب ومحنته وأصف لك الغربة وعجائبها.. وقد قيل: الغريب من جفاه الحبيب.. وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب بل الغريب من تغافل عنه الرقيب.. بل الغريب من صار غريبًا في وطنه وأبعد البعداء من كان بعيدًا في محل قربه!

إن شاعرنا الرقيق ومفكرنا المتواضع يغيظك جدًّا؛ لأنه قادر على حسن الأداء وجمال الرواء، ولكنه خجول يمشي راكبًا قلمه إلى جوار الحائط.. مع أن كل الميادين ساحات له.. غلطان يا أستاذ مجاهد فأنت قيمة أدبية وفلسفية عظيمة الاحترام.

التعبيـــر بالنقـــط

في الفن التشكيلي مدرسة التعبير بالنقطة.. بالنور والظلال.. بقعة إلى جوار بقعة ويتكون منها شكل.. هذا الشكل يشغل المشاهد وليس الفنان.. وفي الأدب الحديث أيضًا.. وإليك نموذجًا لذلك.. فالأديبة العربية (باسمة محمد يونس) في لوحاتها القصصية أو قصصها الجدارية (هجير) كل ذلك.. فالأديبة ليس من همها ما يترسب في وجدانك ولا ما تراءى لنفسك وخيالك.. فهي منشغلة بعقد من اللؤلؤ أو من الخرز أو من المسامير الساخنة –تلسع وتكوي.. فلها عبارات غريبة ذات تراكيب عجيبة ومفردات لغوية كثيرة.. وعندها تراكمات جمالية وبلاغية بارعة.. تعجبك أو لا تعجبك لا يهم.. فقد اختارت أن تتحرر من الشكل ومن المضمون أيضًا.. فعباراتها دقات أجراس.. صلصلات.. سلاسل.. ينابيع نور، فورات غضب، ثورات حب.. إنها ماضية في حكاياتها إلى النهايات السريعة. ماذا قالت؟ ماذا أرادت أن تقول؟ هل يهمها ما فهمت؟ المهم أنها قالت ما عندها بطريقتها. وهذا يكفي شرطًا من شروط الفن الجميل..

وإليك عينات من عقودها وأساورها وخواتمها ودبابيسها أما المعنى فمتروك لك.. تقول:

ماذا يحدث للبرعم الغافي تحت الظلال؟ صوتها يتوشى بسلاسل الأنوثة.. جسدها يباغت بثورة.. ضحكاتها تقرع نواقيس الخطر في

عقله.. انكفأت على صدره زوبعة ليلها – هل لا تزال تتابعني؟ رسمت على شفتيها بدرًا متألقًا.. نشرت عطرها قطرات على شعرها.. تشرع ابتسامتها نوافذ فجر باهر.. مدت أنامل اللهفة تنبش لوعة قلبه..

تبعثر ذرذرات الشوق فوق حجر صحرائه البور.. اندلع الهمس باشتعال ماحق.. زحفت دغدغات الرغبة تؤرق دفقات التمني الهاجعة.. صنبور دافق ثري.. ألجمه إعصار التوتر النابض في عينيه.. ابتلع القهر مع ريقه.. حلوة.. مثل لهطة عسل.. تحوم حولها يعاسيب الشهوة المدمرة.. وفي المساء كانت السكين حادة النصل.. وعنقها أطرى من قلبه... إلخ.

وتمضي الحكايات أو المعلقات واحدة وراء الأخرى . فما المعنى؟ إن كنت تبحث عن قصة لها أول ولها آخر.. فلا حكايات.. إن كنت تبحث عن أداء فخم.. أبهة.. وجلجلة بركانية. فعندك كل ذلك. ولا تسأل: ما المعنى؟

فهذا هو المعنى!

الروابـي
الخضـر

شاعرنا الممثل أحمد خميس صدر له ديوان بعنوان (الروابي الخضر) وهو اسم القصيدة التي غناها محمد عبد الوهاب، وهو (أبو فاطمة) في مسلسل (من الذي لا يحب فاطمة؟) وفي الديوان (رباعيات الروابي) وعددها 132. اقرأها وانس رباعيات الخيام. فكل شاعر له مجال ومآل. وله أوجاع وإبداع.. ورباعيات أحمد خميس هادئة النبرة سهلة التدفق.. صوفية رومانسية:

- لا تجالس من إذا قال افتعل ... ورمى بالكفر آيات الرجال
  حظه في الخير لا يعدو (لعل) ... وهو في الدارين ملعون المآل
- آه يا قلبي.. وآه يا هوى ... عاشق دربي على الأشواق طال
  أترى أقوى على هذا الجوى ... بعد ما أصبح حالي ألف حال؟!
- نظرت عيناه في كفي مليًّا ... ثم أخفى دمعه لا تستجيب
  وطوى كفي وما أوضح شيًّا ... ومضى في دمعة الصمت المريب

ثم ينهي الرباعيات قائلاً:

- قبل بدء البدء يا الله كنت ... بعد كل الكل لن يبقى سواك
  إنما الأول والآخر: أنت ... قد حويت الكل لا شيء حواك!

أما قصيدة «الروابي الخضر» إن كنت لا تعرف فهي التي تقول:

يا ليالي الشرق هل عادتك أشواق الغناء؟
فالروابي الخضر تشدو والسنا حلو الرواء

أما في الحب والعشق والغزل فهو ذئب خجول وهو يختار من بحور الشعر أطولها وأفخمها..

وليس في عجلة من أمر الحب والمحبوبة:

حين ناداني رضيًا وهو يلقي لي يدًا

قلت أهلاً فتثنى ورنا

وتبدى لي الرقيق المحسنا

نظرة ثم دعاني قائلاً في همستين

أيها المفتون ماذا لو شربنا قدحين

قلت: هات فأنا أصداء وعين!

والشاعر أبو فاطمة ينتسب في الشعر إلى الشعر الكلاسيكي الفخم.. مهما تكن المعاني والأمثلة. إنها لا تعرف إلا الأكواب الكبيرة والأنفاس الطويلة.. وإلا الصبر وإلا الحياء. فليكن. ولكنه شاعر كريستالي العبارة والمعاني.

التطـــور اللغـــوي..

خذ هذا الكتاب ولا تخف سوف تجد فيه صفحات مسلية.. الكتاب اسمه (التطور اللغوي- مظاهره وعلله وقوانينه) -مطبعة الخانجي لعميد كلية الآداب الأسبق د. رمضان عبد التواب أشهر الباحثين اللغويين العرب في الخارج.

يرى د. عبد التواب أن لتطورات اللغة قوانين ثابتة تكاد تكون كقوانين الفيزياء والكيمياء يجب البحث عنها.. يكفي هذا.

والآن ننتقل إلى الجانب السهل من نظريات كثيرة معقدة.. حرف الجيم هو في الأصل كما ينطقه أهل القاهرة وهذا نطق فصيح- وهي حقيقة يجب أن يعرفها المصريون العاملون في هيئة الإذاعة البريطانية!

وحرف الجيم ينطقونه في الصعيد كحرف الدال: فأهل (جرجا) ينطقونها دردا.. ويقولون: دمل وداموسة أي جمل وجاموسة.. وتحولت الجيم إلى (ياء) في جنوب العراق يقولون مسيد أي مسجد ويقولون دياي أي دجاج..

وحرف القاف ينطقه القاهريون ألِفًا.

وفي السودان ينطقونه كالغين فيقولون الاستغلال أي الاستقلال.. ويقولون يغدر ويقصدون يقدر.

وهناك ظاهرة في اللغة اسمها: سياحة الألفاظ.. أي رحلة الألفاظ من بلد إلى بلد ثم عودتها إلى البلد الأصلي بعد أن تغير شكلها – وتسمى هذه الظاهرة أيضًا استيراد الصادرات – أي نسترد ما قد صدرناه للغير.. مثلاً كلمة (تفيدة) وهو اسم نطلقه على الأنثى.. أصلها (توحيدة).

ولكن الأتـراك أخـذوه وحولوا الـواو إلـى فـاء ثم إنهم لا ينطقون الحاء.. فعادت إلى مصر تفيدة وانتشرت!

وكلمة (ميرفت) أصلها العربي: مروة أخذها الأتراك وحولوها إلى ميرفت.

ومن عندي أنا كل الأسماء التي تنتهي بحرف التاء لم تكن كذلك في اللغة العربية عزت ورفعت ومدحت وحشمت ودولت وهمت أصلها عزة ورفعة ومدحة وحشمة ودولة وهمة... إلخ.

وسوزان أصلها: سوسن.. ويقول د. رمضان عبد التواب إنه يعرف صديقًا عنده ابنتان واحدة اسمها سوزان والثانية اسمها سوسن وله صديق عنده ابنتان واحدة اسمها مروة والثانية اسمها ميرفت!

وكلمة (الكحول) أصلها عربي هو (الغول) بتسكين الواو. القرآن يقول: ﴿لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾.

وكلمة (القرافة) بمعنى المقابر.. ليست من (القرف) والحزن.. وإنما كانت قبيلة يمنية هاجرت إلى مصر وأقامت فيها بالقرب من مقبرة الإمام الشافعي. اندثرت هذه القبيلة وبقيت مقابرها وأطلق الناس عليها القرافة. ثم أطلقوا الاسم على كل المقابر.

وقصص أخرى لتاريخ الألفاظ والأسماء في اللغات القديمة والحديثة.. إنها رحلة لغوية ممتعة!

منتهى السلبية واللامبالاة و(الأنامالي) في مواجهة التزوير والتزييف والاستعداد للتزوير لتاريخ مصر كأن البلد قد خلا من المثقفين ومن العسكريين ومن اليتامى والأرامل والأيامى لحروب اليمن وسيناء.

أما الذي حدث في (ناصر 56) فهو تمثيل جيد لأكذوبة كبرى ففي سنة 1956 وقع عدوان ثلاث دول على مصر برًا وجوًا وبحرًا.

وخروشوف كان يهوش بصواريخه التي لم تتحرك. ولكن أيزنهاور قرر وشخط ونطر فخرجت الدول الثلاث ليرقص شعب بورسعيد الذي واجه الدول الثلاث بينما شعب القاهرة كان يصفق للخطب والتشنجات على المنابر..

وما حدث بعد ذلك في اليمن لا يذكره أحد.. لقد فقدت مصر مائة ألف جندي ومليارات الدولارات ولكن لا أحد يتحدث عن كارثة اليمن ولا هزيمة 67.. ولكن التزوير والاستخفاف بالمدنيين والاستهانة بالعسكريين.. يقال: عبد الناصر انهزم عسكريًا في 67 وانتصر سياسيًا.. وانتصر سياسيًا في 73 وانهزم عسكريًا أي أنه انهزم حيًا وانتصر ميتًا!

وشيء عجيب أن يصفق الشبان لفيلم (ناصر 56) مع أنه انتصار وهمي، ويرقص أعضاء البرلمان لنكسة 67 وهي هزيمة مؤكدة!!

وللعالم أن يتعجب ويبحث عن اسم لهذا الشعب الراقص للوهم والحقيقة!

ولنجاح تزوير 56 تقرر عمل فيلم آخر اسمه (ناصر 73) أي انتصاره في حرب أكتوبر. ثم من الذي يكتب ذلك.. يكتبه فنان متدفق إسكندراني عاش على البحر وله صفات البحر.. فقد شرب أنور عكاشة من البحر الأسود وملأ قلمه من البحيرات المرة وأفرز ذلك على الشاشة حقدًا على كل ناجح وغني وشريف وبطل وبفلوس دافعي الضرائب.

وقد نجحت (أخبار اليوم) في الصد والرد على هذا العدوان على عقول الناس وكراماتهم، فكتب إبراهيم سعدة مقالاً قويًا بديعًا مع آراء أخرى صادقة لعدد من كبار العسكريين أو المدنيين.

لقد جاوز العدوان على الناس وكراماتهم وشرفهم ودمائهم حدود الصبر فخلعوا حذاء السلبية ورفعوها سلاحًا مناسبًا قبل فوات الأوان.

حروب السنة
والشيعة!

انتهت الضربات الأمريكية في الشرق الأوسط فالضربة الأخيرة هي مكملة لحربها ضد العراق فقد أقامت العراق قواعد ومراكز للصواريخ ووجدت أمريكا سببًا لضربها.. واعترضت روسيا لأنها لها مشاكل في الجمهوريات التي استقلت عنها وضربها للشيشان مثل ضرب العراق للأكراد مسألة داخلية..

واعترضت فرنسا لأنها هي التي أقامت قواعد الصواريخ والمفاعل الذري ولها مصالح اقتصادية مع العراق..

أما الجياع الذين ضاعوا على موائد اللئام فهم الشعب الكردي الممزق بين تركيا وسوريا والعراق وإيران. ولن تقوم له دولة لأن قيام دولة واحدة كردية اغتصاب لأربع دول. وكما وسعت أمريكا المنطقة المنزوعة الصواريخ والطائرات في العراق بالقوة فلن تعترض على دخول قوات تركيا أرض العراق وتقيم منطقة منزوعة السلاح على الأرض العراقية ولن تعترض على أن تفعل إيران نفس الشيء على أرض العراق.. وصاروخ من هنا وصاروخ من هناك وتشتعل الحرب النائمة بين العراق وإيران، بين السنة والشيعة في العراق وفي العالم العربي. ويتوقف ضخ البترول من العراق وإيران.. وترتفع أسعاره إلى السماء وفي ذلك تعويض لخسائر دول الخليج

التي دفعت «الجلد والسقط» للجيوش الأمريكية حتى أصبحت غارقة في ديونها وتقلصت مشاريعها وطردت الأيدي العاملة في الخليج من المصريين وغيرهم.. تمامًا كما تطرد إسرائيل الفلسطينيين، وليبيا تطرد المصريين ويصبح العمال المصريون رهائن في الدول العربية..

وتضطرب المنطقة وتنقلب وتتألب وتبيع هذه الدول كل ما لديها لشراء السلاح من نفس الدول التي تدعو للسلام.. أمريكا وسويسرا وفرنسا وبريطانيا وإيطاليا وروسيا والأرجنتين والصين!

والأمريكان دعاة الحرب هم الذين اغتالوا الرئيس كنيدي لأنه كان يدعو للسلام.. أي لوقف إنتاج السلاح في أمريكا.. طبعًا كارثة على تجار السلاح في كل مكان..

نفرض – مثلاً – أن طبيبًا اخترع دواء لشفاء كل الأمراض. أقول نفرض – لو حدث لقتلته شركات الأدوية وكل أطباء الدنيا..

ولو فرضنا – أقول فرضًا – أن واحدًا اخترع أقراصًا للحب والسلام بين الناس لو حدث لقتله المحامون والقضاة ورجال الأمن؛ لأن في ذلك خرابًا لهم جميعًا..

ومهما حدث فلن يُغتال صدام ولا القذافي ولا البشير ولا بن لادن!!

مصطفى شردي

لم نكافئ أبطال المقاومة الشعبية في بورسعيد.. الذين انفردت بهم قوات ثلاث دول سنة 1956.. مات الألوف دون أن يدري بهم أحد.. ماتوا أبطالاً أنقاضًا شهداء في الظلام.. من بين أبطال الكفاح الشعبي الصحفي الشاب اللامع مصطفى شردي.. لم يكن يحمل بندقية أو قنبلة وإنما كانت معه كاميرا خرجت منها عشرة آلاف صورة لبشاعة ما أصاب أرض وسماء وأهل بورسعيد.. وكان الدليل الوحيد على وحشية ما حدث.. هذه الصور تنقل بها أستاذنا الكبير مصطفى أمين بين عواصم أوروبا وأمريكا بتكليف من الرئيس عبد الناصر.. فلما عاد مصطفى أمين أودعه السجن تسع سنوات من العذاب والهوان.. انتقل فيها مصطفى أمين من «العرش» إلى «البرش»، من عرش الصحافة إلى برش الامتهان لآدمية الإنسان!

وكانت تهمة مصطفى أمين التجسس لأمريكا ضد مصر.. وقد ظهرت كتب للمخابرات الأمريكية والروسية تؤكد أن كثيرين من حاشية ومستشاري الرئيس عبد الناصر الذين أدخلوا مصطفى أمين السجن جواسيس لأمريكا وروسيا!

وقد تنبهت بريطانيا أخيرًا إلى أن جيشها السري الذي كونه تشرشل من ثلاثة آلاف رجل وامرأة يستحقون التكريم – الأحياء

والأمــوات– فقد تـدرب هـؤلاء الجنود تدريبًا عاليًا على السلاح والتفجير والتخريب.. وقد أمدتهم أمريكا بالأسلحة التي استولت عليها من مخازن العصابات واللصوص في شيكاجو.. وكان واجب هذا الجيش السري قتل الألمان ونسف المؤسسات التي يستولون عليها.. وإذا لم يستطع هـؤلاء الجنود أن يتصلوا برؤسائهم تصرفوا وفق ضميرهم – رجالاً ونساءً – وقد أحزنهم أن زملاءهم في الأسلحة الأخرى يلقون التكريم ويحصلون على الفلوس والبنات الحلوة.. أما هم فلا شيء!

لقد قدمت بريطانيا الأنواط والنياشين للأحياء – أكثرهم تجاوز السبعين – وكذلك للأموات من الرجال والنساء..

إنها شعوب لا تنسى بقدر ما ننسى نحن.. بل إننا نحتقر ماضينا، ونمتهن حاضرنا، ونهتك مستقبلنا ونعمق الشعور بالندم في نفس كل من حمل سلاحًا واستشهد من أجل مصر!

فضائح فوق!

الصحافة الإنجليزية لا تشبع ولا ترتوي من الفضائح.. وخاصة فضائح القمة؛ فوزراء بريطانيا يتساقطون منذ وزير الدفاع بروفومو الذي كان عشيقًا لعشيقة الملحق العسكري الروسي –وكانت فضيحة وسقط الوزير!

والأسباب: فضائح أخلاقية وقد كسبت الصحف البريطانية مئات الملايين بسبب خناقات ولي العهد وزوجته الأميرة ديانا وقبلهما الأمير إدوارد وزوجته.. واختفت ديانا لتظهر عشيقة الأمير التي كان سببًا في طلاقها.. وهي لن تقتنع بأن تكون عشيقة وإنما زوجة للأمير.. زوجة للملك. ويحاول الأمير أن يضعها في أجمل صورة والرأي العام يرفض ذلك.. وسوف نرى العجب العجاب من كاميلا التي لا يستهان بها: فهي قوية والأمير هزيل!

وتستعد الصحف البريطانية لمعركة جديدة نظيفة ولكن الصحف قادرة على أن تجعلها قذرة. إنها المعركة القادمة بين نورما وشيري.. ونورما هي زوجة رئيس الوزراء جون ميجور.. وشيري هي زوجة زعيم العمال توني بلير.. والانتخابات قادمة وقد قررت الزوجتان أن تقفا وراء وإلى جوار زوجيهما. أما نورما فزوجة عادية، وتمتدح زوجها الذي يقوم بتغيير ملابس أولاده، وأحيانًا غسلها، وشيري

تقول إن زوجها أحسن واحد يلمع «الجزم».. وإذا تأخرت هي عن الطبيخ فإنه يستطيع ذلك..

ونورما تقول إنها تستعمل الشاي أبو فتلة مرتين وليس مرة واحدة وشيري محامية وتكسب خمسة أمثال مرتب زوجها عضو مجلس العموم.. أما نورما فقد أحبت زوجها الذي كان موظفًا بأحد البنوك وكان عنده طموح أن يكون شيئًا فالتقطته مرجريت تاتشر ودفعته إلى القمة!

كل من هاتين الزوجتين تريد أن تلعب دور السيدة الأولى –رغم أن بريطانيا لا تعترف بهذا اللقب. والمجتمع الإنجليزي المحافظ يرى أن دور المرأة في السياسة هامشي جدًّا ويجب أن يبقى كذلك.. ربما كان من السهل على زوجة رئيس الوزراء أن تقف وتقول وتتحدى.. ولكن كيف تستطيع زوجة زعيم العمال؟! إن العمال يرون أن المرأة لا قيمة لرأيها أو دورها في السياسة ولا يحبون ذلك. وفي نفس الوقت لا المحافظون ولا العمال يحبون النساء من طراز هيلاري زوجة كلينتون!

وسوف نرى!

وما كنا
معذبين!

لو وجد العلماء الأمريكان كائنات حية عاقلة في كواكب أخرى، فهل يدخلون الجنة أم يدخلون النار؟

ليس هذا سؤالي، وإنما بعض المسلمين في أمريكا يناقشون الصحف الأمريكية التي نشرت أن هناك احتمالات قوية بوجود حياة –نوع من الحياة– على سطح المريخ.

فمن 12 عامًا عثر العلماء على حجر في القطب الجنوبي.. هذا الحجر سقط على الأرض من عشرات ألوف السنين.. وهو يدور في الفضاء من ملايين السنين وقد تطوح من مدار له حول كوكب المريخ من ملايين السنين.. وبعد كل هذه الفترة الزمنية الطويلة عثر العلماء على بقايا حياة ميتة.

أي أنه كانت هناك حياة، ثم ماتت.. المهم أنه كانت هناك حياة بشكل من الأشكال ومعنى ذلك أنه ليس من المستبعد أن نجد في كواكب أخرى أو حتى على كوكب المريخ بقايا حياة حيوانية أو نباتية..

أو كانت هناك حضارة عاقلة واختفت لأسباب فلكية لا نعرفها ومع أن هذا الكلام ليس جديدًا فكل شيء على أرضنا هذه كان هناك في الفضاء.. الأرض نفسها والكواكب الأخرى حول الشمس، والشمس

ليست جميعًا إلا شظايا جبارة للانفجار الكبير الذي بدأ به الكون منذ 12 ألف مليون سنة.. فكل شيء هنا قد بدأ هناك.. والحياة هنا بدأت هناك.. والأمراض التي تظهر هنا جاءت ميكروبات على سطح أحجار النيازك والشهب التي سقطت على كوكب الأرض.. ثم إن سفن الفضاء نفسها هي التي نقلت إلينا كائنات عجيبة من هناك؛ ولذلك يدرس علماء الفضاء كيف يمكن تعقيم سفن الفضاء حتى لا تحمل إلينا ما لا نريد من الكائنات الغريبة القادرة على قتل الإنسان على الأرض!

والمسلمون يتساءلون: مثل هذه الكائنات هل تدخل النار أو تدخل الجنة؟ والجواب بسيط جدًّا. إن هذه الشعوب لم يبلغها الإسلام ولذلك فلا عقاب ولا عذاب لها.. وحكمها حكم مئات الملايين من شعوب الأرض التي لم يصلها الإسلام ولا أي دين آخر..

القرآن الكريم صريح تمامًا، يقول: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾ ويتساءل المسلمون في أمريكا: هل يبعث الله لهم رسولاً؟ الله وحده أعلم!

عـــودة الـــروح العلميـــة!

أصدر الرئيس يلتسين قرارًا بعودة (الروح) إلى العلوم النظرية.

تفسير هذا القرار: كان العلماء الشيوعيون قد اعتبروا علم النفس كلامًا فارغًا لأن الذي بني على الفارغ فهو فارغ.. والنفس والروح من وجهة نظر ماركسية لا وجود لها وكل ما في داخل الإنسان هو (تفاعلات) بين مواد وأحماض تؤدي إلى نشاط.. هذا النشاط عقلي ووجداني.. ولا يوجد شيء اسمه العقل ولا أحد اسمه النفس.. طبعًا لا روح.. ولا حياة بعد الموت ولا جنة ولا نار.. والأديان كلها على بعضها عبارة عن مخدرات يعطيها الأغنياء للفقراء حتى لا يسرقوا أموالهم! أو بعبارة أوضح: إن الدين وكل العلوم النفسية والروحية من اختراع الأغنياء لتخويف العمال والفلاحين حتى لا يمسوا شيئًا من رءوس أموال وإقطاعيات الطبقة البرجوازية. والضمير ليس إلا صوت الممنوعات والمحرمات فإذا نام الغني مخمورًا في أحضان الغواني فإن ضمير الفقراء هو الذي يحرسهم ليلاً ونهارًا!

ولذلك استبعد الشيوعيون كل علوم النفس: الاجتماعي والديني والأخلاقي والصناعي والجمالي وكل ما هناك هو (سلوكيات) فإذا خاف الإنسان نشطت الغدة فوق الكلية فأفرزت (الأدرنالين) قوة تضاف إلى الخائف.. ومن الممكن أن يجد رجل (مكسح) ثعبانًا فإنه

يجري بسرعة هائلة. ماذا حدث؟ إنها الغدة الكظرية (فوق الكلية) قد أفرزت طاقة.. فجعلت (المكسح) يجري.. وكل سلوكيات الإنسان فسيولوجية وبيولوجية..

والإنسان كالكلب.. كالقط.. كالحمار.. يخضعون جميعًا لقواعد واحدة.. إذا ضرب جرس لكلب فإن لعابه يسيل.. وإذا جمعت ناسًا وأوقفت أمامهم رجلاً بميكروفون وقفوا يستمعون ويهتفون دون أن يعرفوا ما سوف يقول..

وعلى مدى سبعين عامًا لم يعرف المثقفون الروس ما هي هذه العلوم النفسية والاجتماعية والجمالية والدينية التي تعمق فيها الغرب فارتاد أغوار النفس الإنسانية وأنماط السلوك الاجتماعي والأساطير الشعبية ومعناها قديمًا وحديثًا.. لقد تجاهل السوفيت مئات ألوف الكتب وألوف المفكرين والعلماء في الغرب..

ويلتسين كأنه لا يزال زعيمًا شيوعيًا فلابد من أن يصدر قرارًا جمهوريًا بالعفو عن علم النفس.. والنفس.. وعن العلماء فرويد ويونج وأدلر وماكدوجال وغيرهم من شيوخ علم النفس.. والمتهمين – سابقًا – بإفساد الملايين وتضليلهم باسم النفس والروح والدين!

أن يكـــــون شمشـــون!

أن تمسك العصا من منتصفها، هذه سياسة أو هي السياسة، وهذا واضح من سلوكيات الحلفاء ضد صدام حسين..فقد أطلعت أمريكا كل حلفائها على ما سوف تفعله في العراق.. وقد بادرت دول بالموافقة على مشاركة أمريكا.. طبيعي أن توافق الكويت على كل ما تحتاجه أمريكا ضد صدام.. ومعها كل الحق.. ووافقت البحرين واعترضت فرنسا وإن كانت قد سمحت للطائرات الأمريكية بأن تمر بأجوائها وكذلك فعلت إسبانيا ومرت حاملات الطائرات من قناة السويس ووافقت السعودية على مرور الصواريخ والطائرات عبر أجوائها.

فما هو الخوف الآن؟

الخوف أن يقوم صدام بدور شمشون فيحرق بترول العراق والكويت وإيران أيضًا ويتحول الخليج إلى جهنم وتتوقف مصانع الغرب وأمريكا عن العمل ويدخل العالم كله في شتاء شديد البرودة.. وليس هذا احتمالاً خرافيًا.. ولكنه ممكن وقد أحرق صدام آبار الكويت.. وليس صعبًا أن تلتهم النيران كل الخليج تمامًا كما تنبأ العراف الفرنسي نوسترادموس من 350 عامًا..

وأهل الخليج يخافون إذا انهزم صدام أن تظهر إيران، وإن انهزمت إيران أن يتسلط صدام، وإذا انكسرت إيران والعراق معًا، أن تتسلط أمريكا وأن تنفرد بالمنطقة هي وإسرائيل..

إذن لابد أن تكون الضربة القادمة المكثفة برًا وجوًا وبحرًا ضربة لا تشعل النيران وإنما فقط تشيع الظلام والبرودة في العراق.. وفي الظلام والقشعريرة يجري البحث عن صدام حيًا أو ميتًا. ولكن كيف يحدث ذلك دون قتل لألوف الأبرياء من الشعب العراقي ذلك شأن عباقرة الحرب والسياسة في البيت الأبيض!

وقد أفلح الرئيس كلينتون في إقناع الشعب الأمريكي بأن الرئيس بوش كان مخطئًا، فقد كان يمكنه أن يقضي على صدام وإقامة قيادة جماعية مؤقتة في العراق ولو فعل للقي تأييدًا عالميًا وعربيًا أيضًا. ولاستطاعت أمريكا أن تملي شروطًا أقسى على العراق ولكن الرئيس بوش قد دفعه الحرص الشديد على الخطأ الجسيم الذي يحاول كلينتون أن يعالجه دون خطأ - وبذلك يكسب أصوات الناخبين الأمريكيين في الأسابيع القادمة.

فإما أن يمسك العصا من أحد طرفيها.. وإلا فلا!

مبـــارك جـــاد وصـــادق..

ولا يـزال نيتانياهو يعيد ويزيد. كأنه زعيم طلبة.. أي زعيم بلا تجربة. إنـه بعبع استخدمه اليمين العنيف لتخويف اليهود المعتدلين والعرب المتطرفين. لقد كان الرئيس مبارك حكيمًا عندما قال في مؤتمر صحفي: ليست الحرب التي لا نريدها هي التي تخيف وإنما الخوف من التطرف في إسرائيل وفي كل دول الشرق الأوسط! صح يا ريس.. فالعنف يولد العنف.. والنار تتولد من النار.. وهذا بالضبط ما حدث في إسرائيل.. فالتطرف اغتال رابين والتطرف أتى بنيتانياهو، ونيتانياهو أتى بالتطرف الذي أفقد إسرائيل كل الذي كسبته في مصر والمنطقة إلا قليلاً. وهذا القليل إن لم ندركه وبسرعة فسوف نعود إلى نقطة البداية وكأننا يا بدر لا رحنا القدس ولا جينا!

ولكن إسرائيل لم تفقد عقلها.. ولا مصر أيضًا. ففي مصر يؤكد الرئيس مبارك لكل الصحف العربية والأجنبية والتليفزيون: أنه يعرف ويلات الحرب.. وهم في إسرائيل يعرفون. فلا أحد يريدها. ولكن يجب ألا نترك الظروف تفلت من أيدينا ونصبح نحن ألعوبة في أيدي الظروف ومعنا مصائر الشعوب!

وتعلق صحيفة (الجيروساليم بوست) على كلام الرئيس مبارك مؤكدة: إنه يعني ما يقول. فهو يريد السلام وخاصة بعد أن دخلت

مصر إلى عصر الانتعاش الاقتصادي واستقر سعر الجنيه المصري ودخلت مصر مليارات الأموال الأجنبية للاستثمار، كما انخفض الغلاء واستردت مصر ثقة دولية في سياستها الاقتصادية.. وهي تنعم باستقرار أمني ورواج سياحي.. وليس حسني مبارك مستعدًا لأن يضحي بكل ذلك، لا أحد يلوم المصريين إذا استشعروا تهديدًا لما كسبوه بالسلام وهم حريصون على كل ذلك.. واستفتاء الرأي العام في إسرائيل يشير إلى انخفاض شعبية نيتانياهو ولكن هم الذين اختاروه لمدة أربع سنوات. فهو جالس ومتربع ولن يذهب إلا إذا لقي مصير رابين وعلى أيدي متطرفين من نوع آخر..

حتى اغتيال رابين كان شيئًا مستحيلاً لأن إسرائيل كانت تتباهى بأنهم لا يغتالون زعماءهم، كما يفعل سائر خلق الله.. وأن إسرائيل مثل أمريكا لا تعرف الانقلابات السياسية أو العسكرية.. وأنها مثل أمريكا لم تحارب على أرضها قط.. وإنما بعيدًا عن حدودها.. ولذلك فهي في خوف أن تجد نفسها داخل حدودها هدفًا لكل جيرانها!

وتتباهى بأن ليس فيها قبر للجندي المجهول، فلا جندي مجهول. فكل جنودها الأموات معروفون لها ولا تزال تطالب ببقايا الذين سقطوا في بحيرات شمال الدلتا.. ولكن يبدو أن هذه المفاخر اليهودية سوف تكون مظهرًا من مظاهر العار القومي، والعار هو أن الشعوب اليهودية في إسرائيل مثل كل الشعوب الأخرى تغتال زعماءها، كما قتلوا أنبياءهم قبل ذلك.

ولم يعد المعتدلون والمتطرفون في إسرائيل الآن يأسفون على اغتيال رابين!! بل يرون في ذلك شرطًا من شروط اللعبة السياسية.. وأنه يستحق القتل؛ لأن قتل رابين هو إنقاذ لحياة مئات الألوف من

اليهود الذين يطاردهم العرب بالسلام في داخل إسرائيل وحولها. إذن لقد ذهب دم رابين هدرًا. وهناك شعور عام بأن رابين وحده لا يكفي.. فإذا كانت للحرب ضحايا فللسلام أيضًا..

فكثير من زعماء المعارضة ونوابها في الكنيست يلقون تهديدًا يوميًّا بالقتل من إخوتهم اليهود، وليس من أعدائهم العرب!!

وما من صحفي إسرائيلي أو دبلوماسي رأيته في القاهرة إلا قلت له: واجبك أن تقول لحكومتك ما ترى.. إن شيئًا خطيرًا يحدث في الرأي العام العربي.

.. لقد عادت الكراهية وسوء الظن إلى أقصى الدرجات.. قل لهم قولوا لنيتانياهو.. قولوا له الحقيقة أبو عيون جريئة وأفكار عنيفة وكلمات غليظة.. قولوا لشمشون الذي يريد أن يهدم معبد السلام عليكم..

وحذرتهم من أن الأحاديث التي يريدون تسجيلها للمفكرين المصريين الآن ليست في صالح إسرائيل.. وليست في مصلحة السلام.. والأفضل أن يبدءوا بالتغيير هناك.. فإذا تغير الرأي والرؤية في إسرائيل، فسوف يتغير في فلسطين والبلاد العربية.

خيــــار
الســـلام..

كما توقع العالم فقد جاء خطاب الرئيس مبارك في افتتاح القمة العربية متوازنًا. فقد أكد حرص العرب جميعًا على السلام. فلا بديل عنه ومصر هي التي فتحت الطريق وكان سلامها مع إسرائيل صعبًا. فالمفاوض الإسرائيلي سمسار تدرب طويلاً على أن يأخذ أكثر.. ولكن المفاوض المصري لا يريد شبرًا أكثر من أرضه ولا أقل. وكذلك فعل المفاوض الأردني والمفاوض الفلسطيني أخذ ما يريد، ولا تزال له حقوق نؤيدها جميعًا. والطريق إلى ذلك هو المفاوضة.

ونحن لا نضغط على الأشقاء العرب في اختيار السلام، فقد اخترناه قبلهم. وكل دولة لها الحق في أن تفعل ما تريد. فكما أنهم لا يضعون أصابعهم في شئوننا فلا نضع أنوفنا أيضًا.

ولكن من الضروري أن نلتفت إلى أن هناك محاولات من إسرائيل وأمريكا وتركيا والعراق لعزل سوريا عن العرب جميعًا، فإذا حدث انفردوا بها وفرضوا عليها سلامًا منقوصًا. ونحن جميعًا نرفض السلام الناقص؛ لأنه سلام إلا قليلاً وهذا القليل يكبر ويتسع ويتعمق حتى يزلزل الشرق العربي كله.. وهناك محاولات واضحة لذلك الاتفاق الإسرائيلي – التركي، واللعب في منابع دجلة والفرات والحشود على حدود سوريا ثم إن أمريكا ترفض ترشيح بطرس غالي مرة أخرى للأمم المتحدة..

والسبب هو أن الرئيس كلينتون مقبل على معركة انتخابية وفي حاجة إلى مساعدة يهود أمريكا الذين يسيطرون على البورصة والتليفزيون والصحافة.. وقد أرسلت أمريكا إلى كل الزعماء العرب ألا يتخذوا موقفًا عدائيًا من حكومة إسرائيل الجديدة.. كما أرسلت إسرائيل أيضًا إلى الرئيس مبارك وبعض الزعماء تطلب بعض الوقت حتى يلتقي بهم نيتانياهو.

وقد استجاب الرئيس مبارك للموقف كله فكان كعادته متزنًا. وقد أكد الحق العربي. وفي الوقت نفسه أكد أن إسرائيل راغبة في السلام.. وأنه لم يعرف نيتانياهو بعد.. فلننتظر بعض الوقت حتى يراه ويناقشه ويفهم منه..

وسوف يعلن ذلك كله على الشعب العربي. فلا بديل عن السلام للاستقرار والاستمرار والتنمية وأن نعيش مثل بقية خلق الله في هدوء.. وليست هذه القمة إلا من أجل تسوية خلافات عربية، وضبط إيقاع السلام للجميع.

أمسكوهـــم
يـا بـابـــا..

أمسك هذا الجاسوس!

عنوان لمذكرات أمريكي كان يعمل في المخابرات المركزية. المؤلف اسمه وليام دنكان وقد يكون اسمًا مستعارًا ولا أحد يعرف ما هو الهدف من هذا الكتاب المسلي اللذيذ، ولكن الكتاب يضم عينات من حرب الذكاء بين أجهزة جبارة تحكم العلاقات الإنسانية عن طريق حرب خفية بين عقول باهرة بارعة، وهو نشاط معترف به عالميًّا، فمهما تكن العلاقات بين بريطانيا وأمريكا سمنًا على عسل، فالجاسوسية حق.. وقد تتعاون أجهزة المخابرات، ولكنها تتعاون في مجال ولا تتعاون في بقية المجالات، فأنت صاحبي وحبيبي، ولكن من الممكن أن تكون عدوي في أي وقت فالصاحب عدو ينتظر الفرصة!!

وفي الكتاب يُحْكَى لك أن عددًا من الجواسيس قد كشفوهم لسبب بسيط جدًّا. فقد لاحظوا أنهم ارتدوا ملابس مختلفة.. فلا يوجد قميص من نفس اللون ولا بنطلون من نفس اللون والنوع والطول.. وهذا غير منطقي، فلابد أن يكون خلاف وأن يكون اتفاق.. ولكن أن يكون الاختلاف هكذا، فليس طبيعيًّا ولابد أن يخطئ الجاسوس في نطق كلمة أو حرف.. فالألمان الجواسيس كانوا ينطقون الواو فاء... ولذلك

كان من السهل اصطيادهم رغم تمكنهم من اللغة الإنجليزية ونطقها نطقًا صحيحًا..

وغرف الجواسيس بعضها فوضى زيادة عن اللزوم، ومن الكاميرات والميكروفونات الموجودة في غرف الجواسيس المشكوك فيهم تظهر حركاتهم المهنية المعروفة.. من النظر إلى السقف وإلى أركان الغرف وإلى المصابيح في السقف بحثًا عن أجهزة تنصت إلكتروني أو حرصهم على فتح الراديو بمجرد دخولهم الغرفة.. أو حرصهم على ألا يفعلوا شيئًا من ذلك؛ أي المبالغة في الحرص أو المبالغة في اللامبالاة!

كنا في تل أبيب عندما لاحظ السيد كمال حسن أن صوت التليفزيون يعلو إذا توقفنا عن الكلام، وينخفض إذا بدأنا في الكلام. فكان يضحك ويقول: هوه الجماعة دول مش عارفين إنني كنت رئيس جهاز المخابرات؟! وفي الحرب العالمية الثانية منحت الحكومة السوفيتية نيشانًا لطفل كان في زيارة والده فقد رأى ثلاثة من الضباط الروس يدخلون أحد المعسكرات. وكانت خطواتهم وملابسهم روسية وملامحهم أيضًا. والتفت الطفل إلى والده يقول: جواسيس جواسيس يا بابا.. أمسكهم فورًا. وألقوا القبض عليهم فكانوا من الجواسيس الألمان ولما سئل الطفل قال: كيف يكون الثلاثة من السوفيت ويدخلون أحد المعسكرات دون أن يغنوا؟!

احتلونا سبعين عامًا!

يا ترى ما الذي جعل الرئيس كلينتون «يقرش» ملحة د. بطرس غالي؟ أولاً بطرس غالي لم يكن رجل أمريكا لا في الأمم المتحدة ولا في الشرق الأوسط بل يتعالى على الوفد الأمريكي!! ولا هو رجل إسرائيل... وإنما هو صديق لكل الشعوب الإفريقية وبعض دول العالم الثالث.. وصديق جدًّا لفرنسا.. وليس صديقًا لبريطانيا التي استهلت العداء له والهجوم عليه.. وكان بطرس طويل اللسان عندما قال لبريطانيا:صح النوم لم نعد إحدى المستعمرات! وأحس الإنجليز أن بطرس غالي لم ينس سبعين عامًا من الاحتلال. لابد أنهم ظنوا أن احتلالهم لنا كان نعمة وشرفًا؛ ولذلك فنحن في غاية العقوق لهم.. وبالذات بطرس غالي..

ويقال إن بطرس غالي لم يستجب كثيرًا لمطالب أمريكا لسبب بسيط عند بطرس غالي؛ أنه سكرتير الأمم المتحدة، وليس الولايات المتحدة. ويقال موقفه في الصومال ويقال موقفه في يوجوسلافيا.. والمسلمون قالوا (قبطي) وزوجته يهودية، والمسيحيون قالوا: إنه من ترشيحات حسني مبارك، والإنجليز قالوا: فرنسي.. والفرنسيون قالوا: شرف لنا وله.. وإسرائيل قالت: لم يسكت عن مذبحة قانا لأنه عربي فكيف نسكت؟ هو فعلاً عربي، ولكن هو مسئول عن مصائب الكرة

الأرضية.. ولا يفرق بين القاتل اليهودي والضحية المسيحي أو المسلم.. هذا واجبه..

وقد سمع الرئيس مبارك إلى حيثيات فصل بطرس غالي من رحمة الولايات المتحدة الأمريكية، وإيه يعني؟ يكفي أنه كان سكرتيرًا ناجحًا للأمم المتحدة. وقد شرفنا وشرف العالم الثالث كله..

عزيزي د. بطرس غالي (يتقاضى ألف دولار يوميًّا).. والله العظيم وحشتنا جدًّا.. ولم تجردك الأمم المتحدة من خفة دمك ونكتك التي أسمعها منك في التليفزيون وأنت في أشد الأزمات.. عد إلى مصر وسوف نحقق لك رغباتك وهي متواضعة: أن تأكل بعيدًا عن السيدة حرمك التي تحرم عليك الخبز والجبن واللحم بكل أنواعه..

والتاريخ سوف يتكرر، ففي سنة 1950 اعترضت روسيا على ترشيح تريجفي لي سكرتيرًا للأمم المتحدة، ولكن أمريكا أيدته، وسوف تؤيد روسيا وفرنسا والصين ترشيح بطرس غالي الذي تعترض عليه أمريكا. وفي هذه الحالة إلى اللقاء يوم رأس السنة سنة 2000!

المنصـــورة تكســب..

أنا أحب النادي الأهلي وليس عندي أي سبب.. فلا أعرف من رجال الأهلي سوى عدد قليل جدًّا.. الفريق مرتجي وصالح سليم وإكرامي وبلدياتي الخطيب وشوبير ومجدي عبد الغني قابلته في البرتغال.. وبس، ولا أراهم ولا توجد أية مناسبة للالتقاء بهم.. ومن نادي الزمالك كنت أعرف.. حاولت أن أتذكر أحدًا فلم أستطع.. وبقية الأندية لا أعرف منها أحدًا.

وإذا لعبت المنصورة مع الأهلي فأنا أتمنى للمنصورة أن تكسب. مع أنني لا أعرف أين يوجد نادي المنصورة ولا أعرف لاعبًا واحدًا منهم، ولا عندي فكرة أن ألتقي بواحد منهم.. ولكنها بلدي والسلام..

قابلت الكابتن حسن حمدي وقلت له: هل رأيت المنصورة كيف لعبت مع الأهلي؟

ولكنه – لأنه شيشاني الأصل – لا تهزه مثل هذه الكلمات، فالشيشان كما ترى لا تهزهم روسيا بقوتها الجبارة وطبيعي ألا يهتزوا لمثل هذه الكلمات... وكان رده بمنتهى البرود: يعني إنت كنت عاوز تنكد على مصر كلها من أجل المنصورة!

يعني من رأيه أن الأهلاوية هم مصر كلها، والمنصورة ولا حاجة. وكان ردي: أنا ما عنديش مانع أبدًا، ما دامت المنصورة هي التي تكسب!

وليس ردي منطقيًا ولا رده هو.. ولكنه نزاع قبائل.. قبيلة الأهلي الكبرى وقبيلة المنصورة الصغرى!

ولماذا لا نجد لاعبين ممتازين؟

السؤال ليس كذلك.. فنحن لا نقول لماذا لا نجد شعراء موهوبين؟

فالسؤال: أين نجدهم لكي نشجعهم.. أو لابد من تشجيع كل الناس؛ لكي نتيح الفرصة لواحد ممتاز أن يظهر فإذا ظهر شجعناه ولكي يستمر ممتازًا لابد من التدريب الدائم وقد سمعنا أثناء مباريات الدورة الأوليمبية كيف يتدرب اللاعب ليلاً ونهارًا ويحرم نفسه من الطعام والشراب من أجل التفوق الذي هو حياته، فبغير التفوق يموت من الجوع!

قالوا عن تفوق البرازيل: إنها قد جعلت كل الشواطئ ملاعب لكرة القدم.. فالذين يلعبون في البرازيل ملايين.. وليس شيئًا كثيرًا أن يخرج منهم الألوف ومن الألوف المئات.. ومن المئات واحد أعجوبة هو بيليه الذي أحرز 1260 هدفًا في 1380 مباراة!

طبعًا الحواري عندنا لا تصلح!

مذيـــع
أبلـــه..

من (إذاعة الشباب والرياضة) سمعت ما أغاظني جدًّا.. ولو كانت رئيسة الإذاعة بلدياتي نجوى أبو النجا في متناولي لطلبت إليها أن تخنق المذيع.. فماذا حدث؟ طالب في كلية التجارة يتكلم بمنتهى العقل والمنطق. يتحدث عن مستقبله، وماذا سيفعل إن استطاع، إنه طالب فزع لمستقبله، فهو لا يعرف ما هو المستقبل.. وهناك ألوف الخريجين بلا عمل، وسأله المذيع كيف لا يعمل الآن، وهو طالب، والرد المنطقي أنه إذا كان الذين تخرجوا لم يجدوا عملًا فكيف يجده هو.. وإذا أراد أن يكون له مشروع فهناك صعوبات ومشاكل تحتاج إلى سنوات.. وإذا وجد عملًا، فكيف يجد سكنًا، وإذا وجد السكن فكيف يتزوج، وإذا كان يحتاج لكي يبني نفسه إلى تسع أو عشر سنوات فهل تنتظره العروس.. وماذا تقول لأهلها؟

أما الشيء السخيف حقًّا، فإن هذا الشاب كلما قال حقيقة مؤلمة أدخلوا قطعة موسيقية أو غنائية تشتت عقل المستمع..وفي الوقت نفسه تسخر من كلامه.. أو تقوم بتسخيف كل الكلام العاقل الصريح الموجع الذي قاله هذا الطالب..

مع أن الذي قاله هذا الطالب هو حقيقة مؤكدة مؤلمة.وتستاهل أن يناقشها معه أحد.. بل إن هذا الشاب لا يعرف كيف يتفاءل ولماذا، وكيف يتشاءم ولماذا، وهو في حيرة، والبرنامج لم يقل له شيئًا.. ولم

يناقشه، وإنما اعتبر كلامه طويلًا مملًّا ولذلك قاطعه بالموسيقى والغناء.. كأن هذه القضية هي قضية منوعات.. كأن هذا الشاب مونولوجست مثل إسماعيل ياسين وشكوكو وعزيز عثمان يتقدمون جميعًا للزواج من ليلى مراد.. وكل واحد يعرض مؤهلاته المرفوضة مقدمًا.. إن الذي فعله البرنامج هو إهانة، واستخفاف بأهم القضايا، بل من أجل مثل هذه القضية كان هذا البرنامج، وليس من أجل الكرة بكل أسمائها!

وصاحب البرنامج لابد أن يكون عبيطًا ساذجًا، فمن المؤكد أنه ليس في موقعه ولا عنده أي إحساس بالمسئولية ولا خطورة الذي قاله هذا الطالب..

وآخر ما غلب حمار الطالب قال إنه ما دام عاجزًا عن الزواج في الثلاثين، وما دام ولا واحدة ترضى به زوجًا، فسوف يبقى في البيت على قلب أبيه وأمه.. فهما المسئولان عن مجيئه إلى هذه الدنيا ليكون أضحوكة في (إذاعة الشباب والرياضة) !

يا نجوى أبو النجا أعيدي النظر في هذه البلاهة في إذاعة ناجحة ومحبوبة!

بــل كلنـــا
ساميــون!

العداء للسامية معناه: العداء للشعب السامي أي أولاد سام بن نوح عليه السلام. وأولاد سام هم كل أبناء آسيا: فلسطين وسوريا ولبنان والأردن والسعودية حتى اليابان. ولكن اليهود نجحوا في جعل معنى العداء للسامية هو العداء لهم بصفة خاصة.. أي العداء لدينهم وعقيدتهم وسياستهم الاستيطانية. فالعدو للسامية عدو لإسرائيل بكل ما فيها ومن فيها. مع أن نصف إسرائيل ليسوا ساميين. ورؤساؤها: فايتسمان وبن جوريون وجولدا مائير وبيجين من الروس وشارون من بولندا وبيريز من لتوانيا وليفي من المغرب..

ثم إن كل الأنبياء ساميون: موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، وكذلك المصلحون: بوذا وكونفوشيوس وزرادشت.. كلهم من آسيا. فالعداء لهم هو عداء للسامية.. بل إن عداء الكاثوليك للبروتستانت عداء للسامية وعداء الشيعة للسنيين عداء للسامية وعداء الأرثوذكس اليهود للإصلاحيين عداء للسامية..

ولكن لم تفلح كل هذه الأديان في أن تضع في القانون الدولي أن العداء لها مثل العداء لليهود. ومن يتعصب ضد الإسلام، كمن يستعدي على المسيحية، هو عدو السامية..

وإذا نحن نظرنا إلى الدنيا حولنا لكان من حقنا أن نتهم أمريكا بالعداء للسامية لأنها تعادي الإسلام وتحاكم من يقرأ القرآن.. وأن إسرائيل وحدها هي أعدى أعداء السامية. فما الذي يفعله البولندي شارون بالعربي الفلسطيني المسلم أو المسيحي؟! إنه العداء للسامية: قانونًا وشرعًا وإنسانيًا.

وإذا كان أحد يستحق أن يحاكم شنقًا أو حرقًا أو غرقًا فهو السفاح لكل دين وفي كل دين أرييل شارون..

وإذا كان الذي فعله هتلر في محارق داخاو وبوخنفالد وبلزن وتربلنكا ويابي يار مع اليهود ومع خصومه السياسيين من المسيحيين، فإن شارون قد تفوق عليه كثيرًا في الوحشية.. فهو أعدى أعداء السامية فهو شارون أي شمشون ونيرون معًا!

معانـــي الكلمـــات..

بعد الأذان نرى على الشاشة بعض الأحاديث النبوية، ولكن بعض مفردات الأحاديث النبوية غير مفهومة عند المشاهد العادي، ولذلك من الضروري شرحها، وانتظار المشاهدة لحظات حتى يقرأ هذا التفسير.

أما السادة المتحدثون في (حديث الروح) فهم علماء متخصصون في الدين والشريعة والفقه واللغة، وعندهم القدرة على الفتوى، والفتوى أعلى مراحل العلم بالدين. ولا بأس...

ولكن في أي شيء يتكلمون؟! لماذا يضربون أمثلة قديمة لشخصيات قديمة لا يعرف المشاهد الذي لم يفتح كتابًا لا في الدين، ولا في السيرة عنها شيئًا؟!.. ونحن حريصون على تنويره ومتابعته لمثل هذه الأحاديث الجادة؟!....

المطلوب أن يقال للناس كلام سهل وحكايات عن حياتنا الحديثة – ولها المعاني نفسها التي يريدها المتحدث، وكما أن الدين يصلح في كل مكان وزمان، فمن المؤكد أنه صالح لنا اليوم.

وما دام يصلح لنا اليوم فلماذا لا نضرب أمثلة من حياتنا لتؤكد المعنى المطلوب؟

إنني أستمع إلى بعض هؤلاء العلماء وأشعر بأنني أجلس على الأرض على الرمل في عز الصيف وورائي ناقة وأمامي بئر وتهب رياح خماسينية تعمي العيون، وتشغلني عن المتحدث بالأسماء القديمة والحكايات البدوية التي يريدني أن أسمعها.. وعنده الصحف يستطيع أن يغترف منها...

وليس أسهل من أن يجد في حياته وحياتنا ما يؤدي هذا المعنى ويجعله أقرب والفائدة أشمل والجاذبية أقوى.

ثم إن المتحدث ليس جالسًا على مصطبة، وإنما هو في مكان مكيف وأمام كاميرات التليفزيون ليراه ويسمعه ويحاول أن يفهمه عشرات الملايين الذين يعايشونه هو، ولا يعايشون الأسماء القديمة التي يتحدث عنها!

فـــرق
لتســـود!

إنهما – أمريكا وإسرائيل – لا يريدونها – فلسطين – أن تكون دولة، وإنما كيان.. وفي السودان لا يريدونها أن تكون دولة وإنما دولتان.والطريقة أمريكية، أو على الأصح، إنجليزية منقحة، فالإنجليز قد وضعوا قاعدة في السياسة لا تزال صحيحة.. وهي: تمزيق عدوك ليزداد ضعفًا، ويتفرغ للانقسام على نفسه، وهنا تتدخل أو بعبارة قديمة فرق بينهم لتسود عليهم!

ففي فلسطين قتلوا ولا يزالون يقتلون الأبرياء باسم الدفاع عن دولة إسرائيل، والفلسطينيون يدافعون عن أنفسهم أملًا في الدولة، وأمريكا وإسرائيل تريان أن قتل الشعب الفلسطيني عمل مشروع لأنه دفاع عن أمن دولة وشعب إسرائيل. أما دفاع شعب فلسطين عن نفسه وعن آماله فإرهاب غير مشروع، وسوف تقاومه أمريكا التي هي إسرائيل، وإسرائيل التي هي أمريكا، تقاومه في فلسطين وفي أفغانستان، وفي لبنان، وفي سوريا، وفي العراق، وفي السودان، وفي ليبيا، وأمريكا ترى أن عرفات هو بن لادن، وأن منظمات الشعب الفلسطيني هي مفردات ومسميات متعددة للقاعدة الأفغانية ويطالبون بإزالة عرفات وهو الخيط الذي يمسك هذه المنظمات.

وإذا توارى عرفات أو بقي، فلابد من حرب أهلية، فإذا نشبت فمعنى ذلك أنه لا يوجد شخص يمكن التفاوض معه، ولن يسكت

الشعب الفلسطيني ولن تتوقف النزاعات بين فصائله، ما دام لا أمن ولا سلام ولا دولة. وفي السودان؛ جنوبه وشماله، سوف تزداد الخلافات والمعارك والمذابح، وفي غابات البلدين لا يستطيع أحد أن يميز القاتل من القتيل ولعشرات السنين حتى يعود المهاجرون والمهجرون إلى أمريكا بعد أن يكونوا قد تعلموا ليحكموا منطقتهم المسيحية والوثنية.. مستقلة عن السودان الشمالي.

فيلسوفنـــــا الكبيـــــر..

عاش ومات كما أراد.. عبدالرحمن بدوي، عاش غريبًا بيننا في مصر، والكويت، وليبيا، وسويسرا، ووقع في شوارع فرنسا ليموت في القاهرة بالمعهد الذي يحمل اسم الرجل الذي أممه مرتين.

وإذا كان موسى عليه السلام قد وصف نفسه بأنه الغريب في الأرض الغريبة، فكذلك أستاذنا الجليل عبدالرحمن بدوي.

ونحن إن كنا قد أنكرنا عليه عزلته، فلأننا لا نستطيعها، واستنكرنا حرصه الشديد على المال، ولم يكن المال هو الذي يهمه، وإنما الذي يهمه هو، كم يساوي جهده، وعرقه عند الناس.. كم تكون قيمته عند الذين لا يعرفون أقدار الناس.. ثم كتب ما يعجبه، وقرأ ما يمتعه، ونشر ما علمنا، فقد عرفنا منه وبه ما لم نكن نعرف من فلسفات قديمة وحديثة، وفتح عيوننا ورءوسنا لكل جديد، وأضاء لنا وأضـاء بنا.. وليس مسئولًا عن الذي ذهبنا إليه، ولا عما أخذنا وما أعطينا وما أحببنا وما كرهنا.

ولم نتعلم منه كيف يعيش الإنسان لفكره ؟ وكيف يكون تجسيدًا لإرادته؟ وقد اختار عبدالرحمن بدوي نفسه لنفسه وبنفسه، إنها إرادة من حديد تعلمها من أساتذته الفلاسفة الألمان العظام.

وأضعف ما قاله عبدالرحمن بدوي هو ما كتبه عن نفسه في (هموم الشباب) وديوان (الحور والنور) وسيرته الذاتية، فهو أسوأ من

يتحدث عن نفسه، وأروع من يكتب عن الفلاسفة الآخرين وإنها تحف أدبية وفلسفية ما كتبه عن: شوبنهور ونيتشه واشنجلبر.

أما فلسفته الوجودية فقد شربها وأكلها وهضمها عن أستاذه وأستاذنا العظيم مارتن هيدجر، وهكذا لم يتسع وقته ليجلس إلى نفسه ويتعمقها، فكان غريبًا حتى عن نفسه أيضًا.

وأكثر الناس لا يعرفون عبدالرحمن بدوي لا الأمس ولا اليوم ولا غدًا، فهو لم يتجه إلى الناس عمومًا، وإنما إلى بعض الناس خصوصًا، فلا كان واعظًا، ولا منشدًا ولا مرشدًا ولامطربًا ولا صدى، لقد كان برقًا خاطفًا بلا رعد، لقد عاش فيلسوفًا ومات راهبًا، وسوف يبقى حبرًا على ورق، وكلنا كذلك، فالناس أعداء للفلسفة.. هذا إن فهموا.

استئناف الحكم

ضروري..

لم نعرف حتى الآن من الذي قتل الملك توت – عنخ – آمون ولا لماذا، ولكن لابد أن يجيء يوم لنعرف فيه الحقيقة – جانبًا منها... وفي التاريخ جرائم كثيرة مات ضحاياها وأسرارهم معهم.

ولابد من فتح الملفات القديمة واستئناف الحكم في مقتل السادات وعبد الحكيم عامر وأنور المفتي.... وكيندي ومارلين مونرو والأميرة ديانا....

أما مارلين مونرو فقد ظهر أخيرًا في أمريكا كتاب حسم القضية نهائيًّا، فقد ثبت أن القاتل هو المافيا، وهي التي كانت سببًا في ثروة عميد أسرة كيندي، فقد مات عن 500 مليون دولار من التجارة في الممنوع، والمافيا هي التي أتت بالرئيس كيندي إلى الحكم.

هذه حقيقة... وهي التي أنفقت على الدعاية، وفرشت بالدولارات طريقه إلى البيت الأبيض.. وفي يوم 5 أغسطس سنة 1962 وفي غرفة جميلة تناثرت فيها الأكياس البلاستيك والأحذية والفساتين والملابس الداخلية وخمس علب لحبوب منومة، وإلى جوارها زجاجة ويسكي فارغة.. وعلى الفراش تمددت جميلة جميلات السينما الأمريكية مارلين مونرو (36 عامًا).... وقد تدلى جانب من رأسها وأحد الذراعين، وهي في بعض ملابسها، شقراء صفراء شاحبة.

ماتت.. قتلوها. انتقامًا من روبرت كيندي النائب العام آخر عشاقها بعد أخيه الرئيس....وكان قد اتخذ موقفًا عنيفًا في تصفية المافيا، كبرى وأقوى المنظمات في العالم، وحاكم وحكم وأدان أحد رموزها، فكان لابد من تلويث سمعته. فقتلوا مارلين!!

وقد حدث في عيد ميلاد الرئيس كيندي أن تركت م. م تصوير أحد أفلامها وجاءت شفافة الفستان كأنها بلا فستان ووقفت تتثنى وتتكسر وتتمايل، وتقول أمام أربعين مليون نسمة: كل سنة وإنت طيب يا ريس... وصرخت الجماهير، وأصبحت العلاقة حقيقة مؤكدة! وفي اليوم الذي ماتت فيه مارلين مونرو كانت قد اتفقت مع زوجها الأول على أن تعود إليه... ولذلك كان زوجها أكثر الناس ورودًا في يديه ودموعًا على خديه، ومن أربعين عامًا!

اضطـــراب كونـــي

الشعب الأمريكي محروم من لذة الانتصار.. فالطائرات والصواريخ وسفن الفضاء وطائرات التجسس.. كل هذه الأسلحة قد ذكرها الأمريكان في حربهم ضد العراق.. وقالوا أيامها إن الطائرات تستطيع أن تعرف ماركة الفالنة – الفانيلا غلط – التي يرتديها صدام حسين.. فإذا غيَّر الماركة عرفتها الطائرات.. وقالوا لابد من التقاط صدام حسين حيًّا أو ميتًا، ثم جرجرته في شوارع واشنطن.. واللي ما يشتري يتفرج!!

ومضت عشر سنوات وزيادة.. وتوالى الضرب والتآمر على صدام حسين.. ولا يزال حيًّا يناوئ الأمريكان..

وعرفنا فيما بعد أنه لم يكن هناك أي هدف للقضاء على صدام حسين.. فقد استخدموه مبررًا قويًّا للبقاء في منطقة الخليج.. وبقاؤهم كان لسبب قوي هو ابتزاز أموال الخليج واستدراج دول البترول للاستدانة، وتجميد مشاريعها، وطرد العمال العرب والأجانب وارتباك الاقتصاد في كل المنطقة.. واليوم تتعالى أصوات تقول: إن حرب الخليج لم تنته.. وإنها حرب ناقصة.. وإنها لن تتم إلا بالقضاء لا على صدام حسين فقط، وإنما بإسقاط النظام أيضًا.. وأصوات أخرى تنادي بالقضاء على نظم أخرى في سوريا وليبيا.. وأصوات أخرى

تريد أن تجعل الحرب عالمية.. ليست الحرب العالمية الثالثة.. وإنما تريد الضربات الأمريكية المنظمة القوية في كل مكان من العالم، دون أن تكون حربًا عالمية.. فقط قلق عالمي.. اضطراب كوني.. غضب فلكي.. أن تقوم قيامة الشعوب كلها بشرط أن تكون منزوعة السلاح.. أي شحذ الحناجر بالصراخ والهتافات ضد أمريكا فقط.. أي سيمفونية الكراهية والخوف دون أن تكون هناك آلات موسيقية! هذه هي الصورة السيريالية التي يجب أن تكون عليها الدنيا.. ولكي تقضي أمريكا على الإرهاب قد أخذت كارت بلانش من كل دول العالم.. واحتفظت كل دول العالم بحقها المطلق في الصراخ والبكاء والهتاف بسقوط الإرهاب الجديد!

وفي الوقت نفسه يجب ألا نستهين بالغضب والثورة على كل شيء، وكل أحد بعد ذلك!!

نعـــم..

حـزيـــن..

أرجـو أن تتخلص فـورًا من أية صورة جميلة في خيالك أو في ذاكرتك عن أجمل وأهم معرض للكتاب في العالم. فقد هجره كثير من الناشرين كأنهم عرفوا مقدمًا أن هذا هو رأي الرواد والزبائن أيضًا. حتى الأخت الراهبة (أجاثا) قد فضلت البقاء في بلدتها الإيطالية. وكانت الأخت أجاثا تتطوع بالمرور على أجنحة الناشرين في بلادها وفـي فرنسا وتضع علامات أمـام الكتب التي تهمني ويمكن أن أشتريها في آخر أيام المعرض.

وبسرعة جاء اليوم الأخير للمعرض وكأنه بروفة ليوم القيامة فترى الناس سكارى وما هم بسكارى.. وإنما هو الخوف من ظهور أحد تلامذة بن لادن في أي ركن.. تحت هذا الصندوق أو وراء هذه الستارة. وإذا ظهرت كومة من الورق لابد من استدعاء البوليس. ولن يلومك أحد إذا كانت هذه الكومة هي شكوى كتبها أحد الزبائن بسبب المعاملة السيئة للبوليس.. أو هي بقايا سندوتش قد كفنوه في هذه اللفافة ثم لم يشأ صاحبها أن يرميها في صندوق الزبالة حتى لا ينفجر! وأمام الأسانسير إذا وجدوا أن أحد الواقفين من إيران له لحية، تركوا الأسانسير.. ولا أحد يجد حرجًا في أن ينبه الآخرين إلى هذه القنبلة الموقوتة!

والشيء الوحيد الذي يتسلى به الناس في هذه الظروف المرعبة هو أن يفتحوا التليفون المحمول لتطلع لهم صورة بن لادن في وضع هزلي مع الرئيس الأمريكي.. أو صورة لتمثال الحرية باليشمك! أما في آخر يوم في المعرض فقد اختفى الناس.. الأجنحة مغلقة بالسلاسل وعليها حراسة.. فأنت ترى ولا تمد يدك.. وإذا حاولت برزت لك حارسة. القليل من الأجنحة هي التي كانت تبيع. ووجدت جناحًا صغيرًا يبيع هذه الكتب الفلكية: أيها الكون ما أروعك.. تبسيط التبسيط لنظرية النسبية عند أينشتين.. لسنا على يقين من شيء.. نظرات في الفلسفة والدين والسياسة والفلك.. ووجدت جناحًا به بقايا كتب. وتركه صاحبه. وتقدمت وسألت الحارسة فأشارت برأسها. فأخذت كل ما أردت..

هل أنا حزين؟ نعم على خراب المعرض وخوف الناس والله يجازي الذي كان وسوف يكون السبب واختار مسكنًا مؤقتًا بين الأفاعي في الجبال!

متحف
فريد الأطرش

بعد أن كتبت عن متحف لكبار الفنانين سيد درويش وسلامة حجازي وزكريا أحمد وعبدالوهاب وفريد الأطرش وبليغ حمدي والموجي وكمال الطويل وغيرهم من أعلام الموسيقى جاءتني رسائل كثيرة من مصر والبلاد العربية.. كلها تتحدث عن المتاحف التي أقيمت في بلاد أخرى للأدباء والممثلين والعلماء حفظًا للتاريخ واحترامًا للنابهين في كل بلد..

وتلقيت رسائل كثيرة وغريبة عن مخلفات الموسيقار فريد الأطرش.. وكثير من هذه الرسائل لزملاء صحفيين يصفون شقة فريد الأطرش (16 غرفة) والنافورة والقاعات الشرقية والآلات الموسيقية والتماثيل واللوحات له ولأخته أسمهان.. وكذلك المقتنيات النادرة التي كان فريد الأطرش يعرضها على ضيوفه وعشاقه من كل العالم العربي..وجاءني من الصديق الأديب عبدالهادي البكار أنه سمع أن أحد رجال الأعمال قد اشترى الشقة أو العمارة.. وأخذ الجمل بما حمل!

ورسالة تقول إن أحد أغنياء الخليج قد اشترى العمارة كلها وأن مقتنيات فريد الأطرش قد استولى عليها ابن أخيه. ورسالة يقول صاحبها إنه رأى بعض مقتنيات فريد الأطرش تباع على الرصيف!

ورسالة من بيروت تقول صاحبتها إنها تعرف إحدى سيدات لبنان وقد اشترت كل ملابس فريد الأطرش خصوصًا أحذيته وإنها تضعها في مكان رفيع في بيتها.

ورسالة تقول صاحبتها إنها سألت ورثة فريد الأطرش وأقاربه عن مخلفاته وكان الرد أن فلانًا قد اشتراها كلها من الورثة. وأنه هو الآخر قد باعها للعرب في أمريكا اللاتينية.. ورسالة تقول بل اشتراها دروز إسرائيل الذين يحجون إلى قبره كلما جاءوا إلى مصر! من حق الورثة أن يفعلوا ما يشاءون بما يملكون. ولكن كنا نفضل أن تلقى هذه المخلفات – إن وجدت أو بقيت – احترامًا أكبر لصاحب الذكرى في متحف خاص أو عام. وهذا رجاء للورثة ولوزير الثقافة أيضًا. فهذه الآثار المتواضعة هي امتداد لعمر الفنانين الكبار..

جنــــس
ولكــن..

كنت قد كتبت عن ألوف التماثيل الفرعونية الجنسية الموجودة في بدروم المتحف المصري، وكان قد حدثني عنها العالم الأثري د. زاهي حواس، وكانت مناقشة طويلة بيني وبين أحد علماء الآثار، وتلقيت من د. هنري أمين عوض اختصاصي الأمراض الجلدية والتناسلية رسالة تقول: لقد تجنت علماء الآثار على الحضارة الفرعونية، فلا توجد تماثيل أو نقوش جنسية إلا ما يؤكد الحضارة الطبية المتقدمة لديهم، مثل النقش الذي يحكي عملية الطهارة... وجد في سقارة من الدولة القديمة، أما الآثار التي تحكي عنها العالمة، فهي آثار يونانية ورومانية... وهي حضارات بها كثير من الإباحية الجنسية، فهنالك ألوف من التماثيل من الحجر الجيري والفخار، وكذلك المسارح تمثل أوضاعًا جنسية مختلفة بها كثير من الإثارة حتى العملات المتداولة بها مناظر جنسية، مثل عملة مملكة ليديا الفضية وعليها صورة لاغتصاب فتاة...

ولا أرى ما رآه د. عوض فالاهتمام بالجنس ليس قلة أدب وليس انحطاطًا شخصيًا أو قوميًا... وإنما الطبيعي أن نفعل ذلك كاهتمامنا بصنوف الطعام والرياضة والحياة والموت، وإذا ذهب أحد إلى عيادة د. عوض ورأى الصور المثيرة على الجدران، فليس ذلك عن قلة أدب

وانحلال.. وإنما هي مقتضيات مهنة الطب، والطبيب الذي كلما رأى مريضًا قال له: طلع لسانك... أو اخلع ملابسك، ليس ذلك تجاوزا ولا محاولة لاغتصاب المرضى.

بل إنني أرى أن كتاب (رجوع الشيخ إلى صباه) ليس قلة أدب، وإنما هو تسجيل اهتمامات الناس وتصديقها للخرافات من أجل الفحولة الجنسية... وأرى أيضًا أن كتاب (كاما سوترا) الهندي بما فيه من الأوضاع الجنسية الغريبة، تسجيل لأوهام الناس، والحضارة الإغريقية هي من أعظم الحضارات وأغناها وأعمقها منذ ذهبت إلى نهاية الطريق في كل اتجاهات الحياة، والفكر والفن، وطبيعي جدًّا أن نأكل ونشرب ونذهب إلى دورة المياه، وأن نعلو ونسمو وننحط وننحدر.

وفي الدور الثاني من المتحف المصري توجد سبعة أو عشرة تماثيل جنسية، وقد وضعوها في ركن بصورة لا تلفت نظر الناس، وماذا لو التفتوا؟ إنهم يرون ما هو أكثر عريًا وجمالًا في المجلات والأفلام وعلى الإنترنت!

هـذا هـوس يهـودي!

سنة 1930 طلبت (منظمة الدعم الوطني اليهودي) من عالم النفس اليهودي سيجموند فرويد (سجسموند شلومو فرويد) أن يوقع على نداء يدعو فيه الشعب الفلسطيني إلى الكف عن العداء العنيف لليهود، وكانت نصيحة العالم الكبير التي لم يسمعها أحد، بل إنهم حرصوا تمامًا على إخفائها حتى ظهرت أخيرًا في كتاب كبير عن تاريخ المسألة اليهودية.

قال فرويد إن الذي يريد أن يؤثر في الجماهير لابد أن يقول لها كلامًا مثيرًا، ولكنني مؤمن بالصهيونية إيمانًا عاقلًا، وإنني أعطف تمامًا على آمال شعبنا في أن يكون له وطن، ولكنني في الوقت نفسه لا أؤمن بأن فلسطين سوف تكون دولة يهودية، لا المسلمون يرضون ولا المسيحيون... ولا أحد منهم على استعداد لقبول السيطرة اليهودية على مقدساتهم، وإذا كانت هذه آمال اليهود فلن تلقى حماسًا عالميًا.

وقال فرويد: ويؤسفني تمامًا أن أقول إن التعصب والهوس اليهودي هو المسئول وحده عن إشعال الكراهية عند العرب، ولا يمكن أن أتعاطف مع اليهود الذين حولوا حائط الملك هيرود إلى حائط مقدس، ولا أتعاطف أبدًا مع هذا التضليل الذي يجعل الحائط الوهمي قدس الأقداس.

ولذلك فإذا كان هذا رأيي، فلست الشخص المناسب الذي يستطيع أن يثير اهتمام الناس وحماسهم وآمالهم التي لا أساس لها!

وفي كتاب فرويد (موسى والتوحيد) يهدم الديانة اليهودية من أساسها، لأنه يرى أن موسى عليه السلام ليس إلا أميرًا فرعونيًّا... وأن اسمه موزسى مثل رمسيس وتحتمس... ولذلك فاليهود لا يتحدثون عن معتقدات فرويد في الدين والدولة اليهودية، إذن فاليهود هم وحدهم المسئولون عن إثارة الأحقاد والعنف ضدهم، ليس اليوم، ولكن في كل التاريخ!

السـودان
حياتنـا..

السودان أهم، أعظم، أبقى لنا من كل القضايا. السودان حياتنا، السودان مستقبلنا، ولكننا لا ندري، أو ندري أحيانًا، فإذا درينا كانت المهمة ثقيلة، وكان الواجب أن نتخلص منها بسرعة ونتجه إلى ما ليس مهمًا ولا حيويًا! إن السودان يستحق منا كل عناية وحفاوة، إنه حياتنا، ولسنا في حاجة إلى جهود مضنية لكي نعيد المودة والحب والأخوة، ولا نحن طامعون في السودان، ولا السودان أيضًا، ولن يكلفنا العناق جهدًا، ولا كذبًا، ولن يكلفنا إراقة ماء الوجه، أو الدم، أو العرق، وإنما أن نعرف حقيقة حياتنا معًا، إنها ضرورة.

فإن كان من رأينا أن السودان واحد، فأمامنا الساحة، وليس من السياسة، ولا الكياسة أن يجيء دورنا في النهاية، بعد أن يكون كل شيء قد تمزق، وابتعد الأخ عن أخيه، والدين عن الدين، هنا فقط يستحيل أن يكون لنا دور، وإذا كان فهو تافه، في المرتبة الثالثة، أو الرابعة بعد الفاتيكان، وشركات البترول، ورأس المال الأمريكي والإنجليزي. إن الذي يربطنا بالسودان أقوى من كل الروابط مع أي بلد عربي آخر، هل هناك أكثر من (النيل) ماء الحياة؛ الحياة نفسها؟ فلنا أقارب ولهم أقارب أيضًا، اثنان من رؤساء مصر من السودان: محمد نجيب، وأنور السادات.

وليبيا أيضًا، ولكننا اكتفينا بأن لنا فيها عمالًا وموظفين، وننتظر فلوسهم تجيء أو لا تجيء كل شهر. إن ليبيا أخطر وأعظم، ولسنا في حاجة إلى جهود خارقة لنعيد إلى أحضاننا أشقاءنا في ليبيا والسودان، وهذه هي بديهيات السياسة عندنا، وألف باء (المجال الحيوي)، والسلام، والموارد، والروافد الاقتصادية، والعضلات السياسية. فلا نحن مغامرون، ولا مستعمرون، وإنما نحن نريد أن نعيش معًا في رخاء، وأن تكون هذه العبارة تاجًا على رءوسنا، وهدف آمالنا وأحلامنا، والسلام!

الأستـــاذ
(أ.ش.أ)

أعرف طريقي جيدًا إلى معظم القنوات والشبكات والبرامج التي تهمني وتمتعني... وإن كنت أفضل الإذاعة على التليفزيون. صحيح أن التليفزيون جذاب ومثير. ولكن ليس بالتليفزيون وحده يعيش الإنسان.. فالإذاعة أكثر تنوعًا وأقل إرهاقًا.. فالدنيا كلها عند أصابعك تبلغها شرقًا وغربًا وأنت مغمض وقد استلقيت مستريحًا تمامًا. فإذا أردت السرحان والأحلام، فالبرنامج الموسيقي وإذاعة الأغاني. وإذا أردت (الفرفشة) فالشرق الأوسط وإذا أردت أن تعرف قاع المدينة ومشاكلها وهمومها فإذاعة القاهرة الكبرى.. وكما أن القارئ له أصدقاء من الكتاب وله أبواب تنفتح بمجرد الاقتراب منها، فأنا أيضًا. أحرص على متابعة برامج ومسلسلات. وأتمنى لو أقول كلمة حلوة في أذن كل صاحب برنامج ممتع أو مسلسل مثير. وقد حاولت. ولكن لم أستطع أن أصل إلى أصحاب هذه البرامج. وطلبت من بعض المشرفين على البرامج أن يبلغوا فلانًا أنني أتابعه ومعجب به.. وأعتقد أن أحدًا لم يبلغ أحدًا. فكلنا مشغولون نجري في كل الاتجاهات.

وربما كانت أكثر البرامج جاذبية هي البرامج العلمية والفلكية وقنوات الاكتشافات.. أو وثائق الحرب العالمية الأولى والثانية. كما أنني – قدر استطاعتي – ألهث وراء برامج الرأي والمناقشات

والقضايا. وليس في مقدور أحد أن يدرك كل ذلك في يوم أو في أسبوع. فـإذا أضيفت إلى هذه البرامج عشرات الصحف والمجلات يوميًا كان الاختيار صعبًا.

ويكون من الإنصاف أن أقـول إن الأستاذ أحمد شحاتة أحمد (أ. ش. أ) له برنامج علمي يستغرق دقائق قليلة وينتهي بسرعة. ومن المؤكد أنه يبذل جهدًا كبيرًا في تبسيط العلم وجعله في متناول عامة المستمعين.. وهو – مثلي – أو أنا مثله نحاول في مساحة زمانية مكانية صغيرة أن نقول الكثير الذي يسهل فهمه على الكثيرين. إن الأستاذ أ.ش.أ يستحق التقدير والامتنان من كل الذين يستمعون إلى ما يكتبه. لقد أردت أن أشكره على جهده المتواصل – أردت ذلك من وقت طويل ـ وأدعوك إن لم تكن تعرفه أن تعرفه وتستمتع به!

يبكــي
عليهــم..

عندما ذهبت إلى القدس مع الرئيس السادات طلبت مني السيدة همت مصطفى ونحن واقفان أمام (حائط المبكى) أن أقول للسادة المشاهدين ما هذا وما المعنى وما السبب في هذه التسمية. وكنت قد رأيت (حائط المبكى) قبل ذلك سنة 1955 عندما كان جزءًا من القدس الشرقية التابعة للأردن.. وكنا يومها وفدًا كبيرًا نشارك في (مؤتمر الخريجين) الذي كان يرأسه المليونير اللبناني إميل البستاني. وقد قابلنا الرئيس عبدالناصر قبل سفرنا.

...وكان الوفد يضم د. فؤاد جلال رئيسًا والشيخ الباقوري ود. عزيز صدقي ود. حسين مؤنس واثنين من إخوة الرئيس عبدالناصر...

وكانت التعليمات واضحة؛ هي الاستيلاء على المؤتمر. وكان لقاؤنا الأول في سينما الحمراء. وأجريت الانتخابات وخطب المذيع الشهير أحمد سعيد.. وأخرجنا إميل البستاني واستولينا على المؤتمر أو على رابطة المؤتمر. ولا أعرف ماذا فعلنا بذلك.

قلت لهمت مصطفى: إن اليهود يبكون عند هذا الحائط المتبقي من هيكل سليمان. يبكون المجد القديم ويتمنون أن يعود الهيكل كما كان مع أنهم قد ملكوا ما لم يملكه كل ملوك إسرائيل: إنهم يملكون إسرائيل المنتزعة من فلسطين ويملكون أمريكا.

وأذكر أنني قلت للسيدة همت مصطفى هذه النكتة: إن أمريكيًا جاء إلى إسرائيل وقد نسي اسم الحائط، فقال للسائق خذني إلى المكان الذي يبكي فيه اليهود ليلًا ونهارًا فأخذه إلى مصلحة الضرائب! وطلبت همت مصطفى من الأستاذ حسن التهامي أن يحدثها عن المسجد الأقصى..

أما الجديد في (حائط المبكى) الآن.. فإنه يبكي فعلًا..إن ماء يتسرب من أعلى القسم الخاص بالرجال. فهناك سور يفصل بين الرجال والنساء عند الصلاة.. والماء يتسرب ولابد أنه الصرف الصحي.. وكل المتطرفين يرون أن نزول الماء أو هذه الدموع هي (بشرى خير) أما الخير فهو عودة الهيكل كما كان.. والحقيقة إن الحائط يبكي على ما فعله شارون باليهود وعلى مستقبلهم الأسود في هذه المنطقة.. ولابد أنه يبكي على حاله فمن يدري ربما انهار الحائط.. وآمالهم أيضًا!

ســـــلام
إيـــه؟!

كيف وصل الحال بين فلسطين وإسرائيل إلى ما نحن عليه؟.. ليس الحال، وإنما وقف الحال؟.. على أيام السادات وبيجين كان هناك اتفاق على أن كل شيء قابل للتفاوض.. وما دامت الأهداف واضحة والوسائل أيضًا، فلا خوف.. واتفق الطرفان على السلام مقدمة لحل المشكلة.. وانسحبت إسرائيل من أراضينا.. وكان أملنا أن تحل كل المشكلات بالصورة نفسها.. ولكن لأسباب كثيرة لم يتحقق شيء من ذلك.. ودخلت القضية في طاحونة ودوامة القط والفأر والحمل والذئب، وتعكير المياه وإطلاق الحجارة ردًا على الرصاص..وتحيرت القضية بين المكان والأمان والزمان..

ففي البدء كانت الأرض مقابل السلام.. أي المكان مقابل السلام.. ثم انتقلت إلى السلام مقابل الأمان.. أو الأمان الإسرائيلي قبل السلام الفلسطيني.. وأخيرًا أصبح السلام مقابل الزمان.. أي الصبر سنة واثنتين وثلاثًا، وبعدها تكون الدولة المؤقتة والحدود المؤقتة.. وقبل ذلك هناك شروط: أولًا عرفات شخص غير مرغوب فيه إسرائيليًا سواء بقي أو جاءت به انتخابات جديدة.. وبذلك تتاح فرص لخلافات على الرياسة وخلافات بين المنظمة والجماعات المتطرفة.. وخلافات بين الولاء لفلسطين والولاء لإسرائيل.. وكلها عقبات في الطريق:

مكانًا وأمانًا وزمانًا..يعني إيـه؟.. يعني أن شارون ليس بيجين، وعرفات ليس السادات.. وفلسطين ليست مصر.. والقرن الحادي والعشرون ليس العشرين.. وكل قرن وله أذان.. والأذان الآن: الأرض بلا مقابل!

لأن أمريكا وإسرائيل – طبعًا – ترى أن عرفات هو بن لادن.. وفلسطين هي أفغانستان، ومنظمة التحرير هي القاعدة.. وإذا كان ما تفعله إسرائيل هو الإرهاب الرسمي.. فالذي يفعله اليهود في أمريكا نفسها هي أقسى وأقصي درجات الإرهاب المالي والإعلامي.. فعرفات مثل بوش على سطح صفيح ساخن.. عرفات على الأرض وبوش فوق ناطحات السحاب.. وكلاهما يرقص مذبوحًا من الألم!!

مـن أجـل عينيهـا!..

أكثر من ساعتين من المتعة والإثـارة والإبـهـار جلستها أمام التليفزيون أتفرج على أعجب قصة صحفية بوليسية فنية تاريخية إنسانية، وأرجـو المسئولين في التليفزيون، وفي كليات الإعلام والشرطة والمخابرات أن تتفرج وتشوف ما الذي فعلته مجلة (ناشونال جيوجرافيك) العظيمة، الحكاية أن أحد مصوريها ذهب إلى اللاجئين في أفغانستان منذ 17 سنة.

والتقط أعظم وأجمل وأبلغ صورة في القرن العشرين، صورة فتاة خضراء العينين، والعينان يشع من جمالهما: الخوف والقرف والتحدي والمرارة والجوع والصبر، وهي أروع من لوحة (الجوكندا) التي حارت البشرية في سر ابتسامتها.

وخطر للمصور أن يبحث عن الفتاة بعد مرور هذا الوقت.. فكرة!وكان عليه أن يعثر عليها بين مائة مليون نسمة، ولذلك ذهب إلى حيث التقى بها أول مرة... والكاميرا تصور الشعب الأفغاني.. قلقه وجوعه وخوفه وعذابه، والتقط ألوف الصور لعيون بنات أفغانستان، وسأل وادعت كثيرات أنهن الفتاة: شربات جمعة... وذهب إلى المدرسة وإلى السيدة التي كانت تعلمها في ذلك الوقت.

وعبر الجبال في السيارات والطيارات والعربات والمعسكرات التي تتحرك باللاجئين بعيدًا عن القنابل، وعن عيون الناس صبرًا ويأسًا. ثم

وجدها، وحاول أن يراها، وكانت صعوبات، ورآها وصورها. والفتاة لا تعرف ما الذي أحدثته صورتها في عيون وضمير العالم كله.

وأرسلت جميع الصور إلى المباحث الفيدرالية التي أجرت عليها أساليب إلكترونية جديدة... وقارنت بين نسيج العين في ألوف العيون....ثم أهم من كل ذلك (إنسان) العين. فكل عين لها إنسان ولا يوجد اثنان متشابهان ـ فسبحان الله وعظمته وقدرته على ما لا نهاية له من الإبداع.

وأكدت المباحث والمخابرات بأجهزتها العلمية الدقيقة أنها هي... وحتى يصل المصور إلى هذه النتيجة فقد خاض ملحمة من الذكاء والمغامرة والبحث عن المتاعب، وصولًا إلى الحقيقة تم تشكيل لجنة (بنات أفغانستان) لمساعدة اللاجئين.!

قل لي يا سيادة السفير نبيل فهمي ابن وزير الخارجية الأسبق إسماعيل فهمي، وقال وقلت وقال، وعاد بي إلى البداية فلا أحد يعرف كيف الخروج من مطب فلسطين الذي جعلته إسرائيل مستنقع الشرق الأوسط، فلا رأي ولا رؤية ولا أمل ولا عمل، وأكثر الناس علمًا أكثرهم جهلًا... وأقرب الناس إلى البيت الأبيض أبعدهم، وما شاءت أمريكا وإسرائيل وليس ما شاء العرب، والذين يقرأون التوراة يجدون ما يفعله شارون هو إعادة دقيقة جدًا لتاريخ اليهود في فلسطين: قتل ودم بأمر الرب، وإحراق وإغراق وتجريف للبيوت. ولذلك فالمتطرفون من أهل الكتاب اليهودي يرون شارون هو المسيح المنتظر. وهو لا يخرج عن النص، والنص موجود في التوراة، والتوراة في متناول الكثيرين، ولذلك فإذا حاول حزب العمال التشكيك في شارون الذي

وعدهم بالأمن، فلم يحقق الأمن، والذي وعد بالقضاء على زعماء فلسطين، فلم يفعل، وإذا قال زعماء العمال إن شارون رجل دموي، وإن هناك حلولًا أخرى، قال المتطرفون: بل هذا هو الرجل الذي انتظرناه من خان يونس إلى صابرا وشاتيلا وقانا وجنين.

ولذلك فلا أحد يفكر في أن يختفي عرفات وشارون معًا، فاختفاء عرفات وسكوته عن الكلام في أي بلد عربي، ليس الحل، فسوف يظهر آخرون يبكون على الأيام الحلوة التي عاشوها في ظل دفتر شيكاته. أو انتظارًا للأيام الأجمل في أحضان شيكات إسرائيل، ولكن لا أمن عندهم ولا سلام في إسرائيل وسوف تتضاءل قضية فلسطين عندما تبرز قضية العراق وسوريا ولبنان والأكراد وتحريك الأقليات من المحيط إلى الخليج، والفاعل الخفي والعلني هو أمريكا طبعًا التي أغضبتها الثورة عليها في كل وسائل الإعلام، كما تتظاهر إسرائيل بالغضب لكل الكتب المقررة على التلامذة في المدارس تلعن اليهود وإسرائيل، واليوم الذي ظهرت فيه على كتفي ترومان، وفي قلب بوش الأول والثاني!

لابد أن ابن فرسكور (دمياط) د.زاهي حواس قد اكتسب النجومية في أمريكا بسبب علمه وخفة ظله وشجاعته. وهو موجود في عدد هائل من المجلات العلمية. وهو أحد العوامل التي ساعدت على أن أصبح رمسيس وخوفو وحابي وحتحور من المعاصرين. وأن الإشارة إليهم تتكرر كما تتكرر أسماء أبطال الكرة والسينما والسياسة. وليس د. حواس في حاجة إلى قدرة خارقة لكي يؤكد للملايين في أمريكا أن الفراعنة قد سبقونا إلى كل شيء.. إلى كل فكرة في الطب.. وسبقوا كل الأديان وسبقوا العلماء.

وهذا الكلام ليس تعصبًا لمصرنا القديمة، وإنما هو كلام علمائهم. إنهم أجداد أجدادنا. ولكن نصيبنا من الميراث قليل جدًّا. ويكفينا عارًا أننا أسأنا فهم الفراعنة. وقلنا إن خوفو استخدم السخرة عشرين عامًا في بناء الهرم. جهل طبعًا. وكان هرم خوفو هو أعظم وأكبر وديعة في بنوك التاريخ لا نزال نعيش على فوائدها المركبة. ولولا أهرامات الجيزة وأبو الهول والكرنك ما دخلت المليارات خزائن مصر. لقد دفع السياح وزن الهرم ذهبًا! ولا يزالون يدفعون وينشرون الكتب والأفلام ويقيمون المتاحف والمعارض. ولا فضل لنا نحن أبناء العصر الحديث في ذلك. فالفراعنة هم الذين صنعوا ماضيهم ومستقبلهم ونحن نلاحق عظمتهم ـ أقصد الأمريكان والفرنسيين والإنجليز والألمان والإسبان يلهثون وراء العبقرية الفرعونية..

أما الكتب التي تباع في المكتبات عن مصر الفرعونية: حكايات وروايات وموسوعات وأفلام فلا أول لجمالها ولا آخر. ومهما أحاول ـ أنا وغيري ـ أن نلاحق هذه الكتب فلن نستطيع. فكل يوم شيء جديد يجدونه عند الفراعنة، ونحن نتعلم على أيديهم وننسى أن نتعلم منهم. لسنا جميعًا.

فالعبارة التي تقول: لا جديد تحت الشمس، يقصد بها شمسنا نحن وليس شمس مصر الفرعونية!

كلما سألت الأستاذة الدكتورة دروثيا ولكنسون: هل قال الفراعنة شيئًا من ذلك عن ذلك؟

يكون ردها: إن الكلام عن الفراعنة فيه كثير من المبالغات.. يعني يجب أن يكون مبالغًا جدًّا. ولا تخف من الغلط.. أو بعبارة أوضح:

نحن العلماء نتفادى المبالغة. لأن هذا كلام عاطفي وليس علميًا. إلا في حالة الكلام عن علماء وحكماء الفراعنة.

وتقول: هل أقول لك شيئًا لا يصح أن يقال. أقول لك: في عالم الجنس. لديكم أكثر من عشرين ألف لوحة وتمثال جنسي في مخازن المتحف المصري. إنها أكثر عددًا مما جاء في الكتاب الهندي الشهير (كاما سوترا). وعلى الرغم من أن المصري القديم مهذب ومؤدب ونظيف، فإنه لم ينظر إلى العلاقات والأوضاع الجنسية على أنها قلة أدب. وإنما على أنها واقع. حدث له وسوف يحدث لغيره. والطبيب والعالم والفنان يجب ألا يتجاهل ما هو واقعي. وهو لا يستحي من ذلك. فلا حياء في العلم ولا حياء في الدين..

وقالت لي إنها ذهبت إلى الهند والتبت وأنها رأت في شرق آسيا وفي إفريقيا كل ما سجله العالم الإنجليزي العظيم فريزر في كتابه (الغصن الذهبي) ـ والكتاب مترجم إلى اللغة العربية...

وكانت لها محاضرة في إحدى الجامعات الأمريكية. وقد فوجئ الطلبة بأن كل الاضطرابات الجنسية الحديثة قد سجلها الفراعنة من ثلاثين قرنًا وصوروها ووصفوها. حتى الثورات الشعبية ومقدماتها ووقوعها ونتائجها والبيانات العلنية والسرية التي تصاحب الثورات وتسبقها، قد سجلها الفراعنة في تاريخهم.. وليس غريبًا أن نجد كثيرًا من المعاصرين الذين يؤمنون ويرددون في يقظتهم وأحلامهم أنهم قد ولدوا قبل ذلك في مصر ـ أي أنهم كانوا يتمنون أن يعيشوا في مصر الفرعونية لينعموا بالصحة والعافية والسعادة في الدنيا والآخرة!

لم يكســروا أنفــه

عندما جاء نابليون إلى مصر كان عمره 27 عامًا. وأقام في مصر وفلسطين 19 شهرًا واحتلنا الفرنسيون 37 شهرًا. وعندما رأى نابليون الأهـرام قـال لجنوده: إن أربعين قرنًا تنظر إليكم من فـوق هذه الأهرام.. وكان أبو الهول تغطيه الرمال حتى كتفيه..

وعندما رأى الجنود الفرنسيون معبد الكرنك الفخم ألقوا السلاح وخلعوا قبعاتهم إجلالًا لهذه الأبهة التاريخية.. وعندما ذهبت مومياء رمسيس الثاني للعلاج في باريس أطلقوا لها 21 مدفعًا لأنها جثة ملك!

وليس صحيحًا – طبعًا – أن الفرنسيين هم الذين أطلقوا المدافع على رأس أبي الهول فكسروا أنفه؟!

وعندما جاء نابليون إلى مصر كان معه 165 عالمًا تتراوح أعمارهم ما بين 20 و 32 سنة. أما شامبليون العالم العبقري فقد فك رموز (حجر رشيد) وهو في العشرين من عمره، وحجر رشيد موجود الآن في المتحف البريطاني..

ولولا المعارض الباهرة والفخمة لآثارنا الفرعونية في فرنسا وبريطانيا وروسيا وأمريكا.. ولولا المسلات العظيمة في الميادين الواسعة، ما عرف العالم عظمتنا.. ولما قرر أن يجيء ويتفرج في

بلادنا على أصولها وظروفها.. وأنا لا أزال أتمنى من الله ولا يكثر عليه أن يجد العلماء في الغرب طريقة لخطف الأهرامات ومعها أبو الهول إلى فرنسا أو بريطانيا لتلقى مصر الفرعونية احترامًا أصدق وإعجابًا أعظم!

ولا يزال كتاب (وصف مصر) الذي ألفه العلماء الشبان من أروع وأعظم ما كتب الباحثون في ثلاث سنوات؛ عشرة مجلدات من المقالات و13 مجلدًا تضم 900 لوحة رسمها الفنانون واقفين وجالسين وعلى ظهور الخيل؛ أمتع مخلفات الحملة الفرنسية على مصر التي قتلت ألوف المصريين ودخلت بخيولها الأزهر الشريف.

وإذا كانت قوات نابليون عندما نزلت إلى الإسكندرية قد أصيبت بإسهال شديد بسبب أكل البطيخ، فإن عقابًا آخر قد جاء بمدافع الإنجليز عندما أغرقوا أسطولهم في مياه أبو قير..

ومن هذا الشر العنيف – تفجرت عندنا وفينا ينابيع التنوير: كراهية أي احتلال على بلادنا، وأن نستفيد من علوم الأعداء وتجاربهم..

البرسيـــم
هـــو العــلاج

السيد الأستاذ الكبير

أنـا مريض بالسكر من 30 سنة وتناولت جميع أدويـة السكر بالأجزاخانات وجميع الأعشاب الطبية حتى شربت بول الإبل وشربت مر البطارخ ومر الصبر والترمس والحلبة المطحونة وأخيرًا تقاوي البرسيم الناشف تطحن وكل يوم معلقة على الريق، وقد قرأت لك ما قاله الدكتور مدحت الشامي بعلاج البرسيم الأخضر كعلاج.. ولكن بعض المرضى تقرف من تناول البرسيم وتقوم شركة الأدويـة بتحضيره على أن يكون له اسم آخر وتسبقه الدعاية العلمية الجادة.. لعل وعسى..

محمود عبد العال عترة

ما زلت أتلقى ردود فعل لوصف البرسيم علاجًا للسكر؛ لأن تناول البرسيم بهذه الصورة أو بصورة أخرى لم يلق تأييدًا عالميًا كاملًا. وإن كان بعض الأطباء لا يستبعدون فائدته.

وقد تلقيت من د. ألبرت زيجفار من سويسرا، وهو طبيب جاء إلى مصر كثيرًا. وله اهتمام قديم وعريض بعلوم المصريات فقد أطال النظر والتأمل في البردية الطبية المشهورة باسم (بردية سميث) يقول د. زيجفار إن استخدام البرسيم وأعشاب أخرى قد عرفها المصريون.

وإن البرسيم بالذات علاج لأمراض حيوانية أيضًا. وإنه هو شخصيًّا قد قام بدراسة طويلة عن الأعشاب التي جاءت في هذه البردية. وقد أثبت بالتجربة براعة الطبيب المصري الذي استمد عقاقيره من حقول الطبيعة – فالأجزاخانة الفرعونية وكذلك الصينية – هي الحقل والحديقة..

وكتب لي د. إبراهيم محمد التونسي من ليبيا: أنه عندما كان يدرس في روما قابل طبيبًا من أصل سوداني. وهذا الطبيب كانت له تجارب على البرسيم بالذات. وأنه جرب استخدامه على مريض حديث الإصابة بالسكر وأنه تم شفاؤه..

وجاءني من أ. د شوقي أبو النور من السعودية: من الواجب علينا أن نحترس مؤقتًا في الدعوة إلى تعاطي البرسيم، حتى تثبت فائدته علميًّا في مئات التجارب ثم يصدر قرار من هيئة عالمية محترمة بفائدته..

وكما ترى فإن الاقتراب من عقار البرسيم ما زال بخطى مترددة. وما لم تقيِّم هيئة طبية عظيمة الاحترام هذا العقار، وتختار له اسمًا آخر، فلن يقدم أحد عليه.. وليس هذا غريبًا، فكثير من العقاقير قد بدأت هكذا ثم صارت سحرًا يسعد الناس .....

من أجل قطة..

من الممكن أن نضحك إذا قرأنا عن أن الدنيا انقلبت لأن قطة صغيرة وقعت في حفرة فامتدت لها الأيدي، وجاءت عربات الإسعاف وظهرت في التليفزيون أول الأخبار.. وأن في ميادين لندن خطوط تليفون ساخنة لاستدعاء الإسعاف وسلالم المطافي لإنقاذ قطة تسللت فوق شجرة وتعوي لأنها لا تعرف ما الذي تفعله بعد ذلك.. أو عصفور.. أو طفل صغير.. ولا يجد الناس في أوروبا أن ما يفعلونه مثير للضحك؛ لأن الحياة غالية.. حياة الإنسان والحيوان والنبات. وأن الاستخفاف بحياة قط كالاستهانة بحياة طفل.. ويوم أطلق الروس الكلبة (لايكا) إلى الفضاء في تجارب من أجل سلامة الإنسان، ثارت جماعة الرفق بالحيوانات. واتهمت روسيا بالوحشية.. مع أن في المعامل، في كل الدنيا، ملايين الفئران والقطط والكلاب والضفادع تموت من أجل حياة الإنسان. والنباتيون المتشددون ينفرون من أكل لحم الحيوان؛ لأن الإنسان قد ذبحه. وهذه وحشية!

وفي الأسبوع الماضي وقفت إحدى المقاطعات الإنجليزية على رِجْل حين أرادوا إزالة شجرة عيد الميلاد الكبيرة التي توسطت أحد الميادين. توقفوا فورًا. فقد وجدوا عصفورًا أقام عشًا. وفي العش بيضتان لم تفقسا بعد. وتقرر الانتظار حتى تفقس البيضتان ويخرج

الصغيران.. وأن ينتظروا شهرًا حتى يتمكن الصغيران من الطيران بعيدًا عن هذه الشجرة!

وفي التاريخ نوادر عن الذي فعلته القطط والكلاب بالأعمال العلمية والأدبية.

فالكلب أسقط شمعة على بحث للعالم نيوتن استغرق في إعداده عشر سنوات. فالتفت إليه نيوتن قائلا: آه لو تعلم أيها العزيز ما فعلت! وكلبة الأديب الأمريكي شتاينبك راحت تعبث بمخطوطة رواية (فئران وإنسان) حتى مزقتها تمامًا. فوقف الأديب يقول: لن أخسر حيوانًا جميلاً بسبب قصة من الممكن أن تكون سخيفة..

وجلس يكتبها من جديد!

وكانت عشرات القطط تقفز ولها رائحة كريهة في منزلي لويس عوض وحسين فوزي – وكانا سعيدين بكل ذلك!

واحتج المتسولون!

جامعة أكسفورد أصدرت قاموسها السنوي للشخصيات: «من هو؟»... وهذا القاموس يستقر عادة على مكاتب العلماء والأدباء. ومن المراجع المحترمة في المكتبات العامة. ولكن طبعة هذا العام لقيت اعتراضًا ومظاهرات من المتسولين والمدمنين. لقد فوجئت جامعة أكسفورد – عظيمة الاحترام – بعدد كبير من ذوي الملابس المهلهلة والنفوس المكسرة والعيون الزائغة، يريدون توضيحًا وتصحيحًا.

فما الذي حدث؟ إن أحد العلماء واسمه جورج يالموند، وهو أستاذ الفيزياء الخلوية، لما راح يتحدث عن هواياته قال: إنه يحب قيادة السيارات والمسارح الكوميدية ويحب القراءة والخمر والجلسات الهادئة.. ويجد متعة فى مطاردة الشحاذين المحترفين في شوارع أكسفورد!

وفي البيان الذي أذاعه المتسولون يستنكرون مثل هذه العبارة التي جاءت من عالم كبير في معجم محترم عن جامعة جليلة.

والعالم الفيزيائي يشير إلى أن عددًا كبيرًا من المتسولين يسكنون في المدينة الجامعية. وهذا صحيح. ولكن بيان الشحاذين والمدمنين يقول: إن الأستاذ الكبير قد أغفل الأسباب التي دفعت هؤلاء الناس إلى التسول. وأن لديهم أسبابًا نفسية وعائلية واقتصادية. وضاقت

بهم السبل فلم يجدوا إلا التسول.. إن من بينهم طلبة ومدرسين وتجارًا وفنانين وشعراء.. ثم إن المدمنين للخمر وغيرها من المشروبات هم ضحايا مآس عائلية وبقايا انهيارات نفسية...... وكلها أسباب تستحق النظر ولا تستاهل السخرية والاستخفاف من عالم كبير قد جرح مشاعر مواطنين محترمين...

والمطلوب؟ حذف هذه العبارات من المعجم والاعتذار المكتوب من الجامعة ومن الأستاذ الذي أهان أناسًا أبرياء... وإذا كان عالمًا بالخلايا الإنسانية. فإن جهله بالإنسان أكبر.. وما دام يفهم الخلايا ولا يفهم الإنسان فالاعتذار المكتوب واجب عليه وفورًا!

وسوف تعتذر لهم الجامعة!

لـم يفهمـوا
شيئيـن!

عندي سبب خاص للمشاركة في الاحتفال بمرور مائتي سنة على الحملة الفرنسية على مصر. فقد جاء في كتابهم الرائع (وصف مصر) أنهم حاولوا رسم وفهم مصر. فكان نجاحهم باهرًا.. إلا شيئين لم يفلحا في تفسيرهما، الأول: أنك إذا ذهبت تشتري كيلو لب أبيض. فالبائع يزن لك ما طلبت وأنت لا تتوقف عن القزقزة. والفرنسيون في دهشة كيف يحاسبك البائع على هذا الذي أكلت.. ثم كيف أنه لا يشكو ولا أنت تتوقف؟

أما الشيء الثاني فهو أنه إذا أصدر القاضي حكمًا واجب النفاذ، فما معنى أن يذهب أهل المحكوم عليه حفاة عراة يصوتون ويلطمون، ويطلبون تخفيف الحكم أو إلغاءه؟! وفي كتب القانون هذه النكتة: أن رجلًا قتل أباه وأمه ووقف أمام القاضي يطلب الرحمة؛ لأنه صار يتيمًا.. والفرنسيون سوف تتجدد دهشتهم بعد مائتي سنة عندما يعلمون أن بعض الوزراء قد ذهبوا إلى الوزيرين حسن الألفى ومحمود حمدي زقزوق يطلبون منهما العفو عن الذين بهدلوهم وشرشحوهم ومسحوا بهم الأرض. لماذا؟ الجواب: حتى لا يقال إننا حبسنا الصحفيين لأسباب تافهة كبهدلة الوزراء وزوجاتهم.. مع أننا أيام الرئيس عبد الناصر حبسنا مئات الصحفيين والأدباء والشعراء.. وهم يلقون العقاب في كل مكان في الدنيا. لأنه لا فرق بين من يمسك

الريشة ومن يضعها على دماغه وبين من يفقأ بها عيون الأبرياء. أليس عجيبًا أيضًا أن فلاسفة الناصرية يطلبون العفو عن الغلطانين من الصحفيين.. فأين كانوا زمان؟!

وبعض الوزراء أصحاب (المساعي الحميدة) غار على مصر وعلى سيادة القانون وعظمة العدل... فهل يا ترى سيكون لهم نفس الموقف عندما تنكشف أوراقهم وحساباتهم وسلوكياتهم الشائنة؟

إننا ضربنا السنهوري قاضي قضاة مصر بالجزمة.. ولا تزال هذه الجزمة تتخاطفها الأيدي. وهي في كل الأحوال تنهال على دماغ مصر وتاريخها وشرفها.. ولكن مهما غلظ جلد الجزمة وطال لسانها فلها ولهم نهاية محتومة – فاصبر قليلًا لترى كثيرًا.

النبـــي
رقـــم واحـــد

ضجة جديدة بسبب الطبعة الجديدة من كتاب (الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ) للكاتب الأمريكي مايكل هارت.

فقد ترجمت أنا هذا الكتاب من سنوات. أما الضجة في الصحف البريطانية والأمريكية فلأن المؤلف قد وضع النبي عليه الصلاة والسلام على رأس هذه القائمة، وجعل العالم نيوتن تاليًا عليه ثم المسيح تاليًا على نيوتن؛ الاحتجاج كله على ذلك.. ثم إنه جعل شيكسبير العظيم رقم 31 وقال إن شيكسبير لم يؤلف مسرحياته الرائعة وإنما هي تأليف رجل آخر اسمه إدوارد ويفر..

وملاحظات كثيرة على ترتيب العظماء من الأنبياء والقادة والعلماء والفنانين.. ولكن مايكل هارت له نظرية في ترتيب هؤلاء العظماء وهي: العظيم هو الشخصية التي أحدثت انقلابًا وتغييرًا جذريًا في حياة الشعوب، ثم إن دعوته أو نظريته قد كملت وهو لا يزال حيًا ثم انتشرت بعد ذلك.

وهذه الصفات لا تنطبق إلا على النبي محمد ﷺ.

فالإسلام ثورة كاملة الأوصاف قد غيرت الحياة الاجتماعية والأخلاقية للعرب.. ثم إنها اكتسحت الكثير من الخرافات وفتافيت الأصنام.. والإسلام قد كمل في عهد الرسول ﷺ.

فالقرآن الذي نزل عليه لم تتغير منه كلمة بعد ذلك، وهو يختلف عن الذي أصاب الديانة المسيحية فالأناجيل قد كتبت بعد ارتفاع المسيح عليه السلام بعشرات ومئات السنين، صحيح أن الديانة المسيحية قوة هائلة وأثرها عميق في كل الدنيا. ولكن الشرط الذي وضعه المؤلف من ضرورة أن يكتمل الدين في حياة صاحبه، لا يتوافر لا في المسيحية ولا في اليهودية ولا بقية الأديان الأسيوية..

والهجوم على المؤلف الأمريكي من عدد كبير من العلماء بعضهم رأى أن نضع أسماء أخرى للنساء مثل سارة زوجة أبينا إبراهيم عليه السلام. لماذا؟ لأنها صاحبة أول نكتة في التاريخ المقدس؛ وذلك حين عرفت أنها حامل وأنها عجوز ضحكت وقالت يسعدني أن أكون أمًّا، ولكن هل يسعدني أن أظل عجوزًا! ولكن المؤلف لا هو مسيحي ولا هو يهودي ولا هو مسلم وإنما هو عالم رياضي فاختياره للرسول عليه الصلاة والسلام ليكون أعظم الخالدين يؤكد أنه رجل منصف ومؤرخ نزيه – وهو ما لا يعجب المتعصبين ضد الإسلام!

شكـــرًا

طلعت حمـــاد..

تلقيت هذا الرد السريع الحاسم من سيادة المستشار طلعت حماد وزير شئون مجلس الوزراء والمتابعة يقول: «إن المادة 21 من قانون الطفل الصادر بالقانون رقم 12 لسنة 1996 تنص على أن يكون قيد الطفل الذي عثر عليه حديث الولادة طبقًا للبيانات التي يدلي بها المبلغ وتحت مسئوليته عدا إثبات اسم الوالدين أو أحدهما فيكون بناء على طلب كتابي صريح ممن يرغب منهما.. وتنص المادة 21 من اللائحة التنفيذية لقانون الطفل الصادرة بقرار رئيس مجلس الوزراء رقم 3452 لسنة 1997 على أن يقصد بالطفل المعثور عليه كل طفل حديث الولادة مجهول الوالدين.. وأوجبت على الجهة الصحية ذكر اسم ثلاثي للأب وذكر اسم ثلاثي للأم. كما نصت المادة 23 على أنه إذا أثبت في بيانات التبليغ أن المولود غير شرعي وجب على الجهة الصحية عدم الاعتداد ببياناتهما الواردة بالتبليغ، ويقوم الطبيب المختص باختيار اسم لمن لم يتقدم من الوالدين بإقرار بالبنوة. ومما تقدم يتبين أن إثبات بيانات اللقيط في شهادة الميلاد إنما يتبع في شأنه أحكام قانون الطفل ولائحته التنفيذية التي حلت محل الأحكام التي كانت واردة في قانون الأحوال المدنية، وهي تقضي باختيار اسم ثلاثي لكل من الأب والأم، ولا يرد في شهادة الميلاد أي ذكر لكونه مولودًا غير شرعي.

ومع ذلك، فقد صدرت التعليمات إلى رئيس مصلحة الأحوال المدنية بالتنبيه مشددًا على جميع مكاتب السجل المدني على مستوى الجمهورية بالحرص على عدم ذكر أي بيان في شهادات الميلاد يشير إلى كون المولود لقيطًا أو معثورًا عليه أو مجهول النسب أو أي شيء من هذا القبيل».

شكرًا سيادة الوزير على هذه الاستجابة الفورية وعلى رد اعتبار هؤلاء الضحايا المواطنين.. وإنقاذًا لهم من الانقلاب على المجتمع الذي جنى عليهم مرتين: مرة بإلقائهم تحت الكباري وإثبات ذلك في شهادة الميلاد، ومرة بتحويلهم إلى مجرمين..

آسف
لا أعلم!

تعليقًا على خطاب أ. د. فتحي صالح مندوب مصر الدائم باليونسكو الذي نشرته بعمودكم الرائع حول تصوير الأرشيف الهندسي لكباري القاهرة (625 وثيقة) والذي أعتبره أول ذاكرة هندسية لمصر أوضح لسيادتكم أنه سبق لمركز جريدة الأهـرام للتعليم وتكنولوجيا المعلومات الذي أنشأه وأداره الأستاذ صلاح القاضي عام 1969 وقد أقام منذ السبعينيات عشرات من مراكز المعلومات المتكاملة في مصر باستخدام تكنولوجيا المعلومات الحديثة.

وكان إنشاء مركز معلومات بمجمع الحديد والصلب متضمنًا مليوني رسم هندسي بمختلف فروعها المدنية والميكانيكية والكهربائية والصحية والجيولوجية والتعدين لمناجم الحديد في الواحات ثم إنشاء مركز معلومات متكامل لقطاع الكهرباء بالسد العالي، وما زالت هذه المراكز تمثل الركيزة الأساسية في العمل بمجالات الصناعة والهندسة بمصر، وتقوم شاهدًا تاريخيًا على ريادة الذاكرة الهندسية في العمل بمجالات الصناعة والهندسة لمصر، ومن الواجب أن نذكر الذين فعلوا شيئًا مهمًا..

محمود مرتجي

رئيس هيئة السكك الحديدية

ومستشار الأهرام لمركز التنظيم والميكروفيلم سابقًا

شكرًا فلم أكن أعرف أنا أيضًا أن لدينا هذا العدد من مراكز المعلومات، وهي ليست كثيرة ولا نشاطها معروفًا لدى عامة المثقفين. وليس العيب فيها وإنما في الذين لا يعرفون ولا يحاولون ذلك.. وما أكثرنا!

وأنا لا أتساءل إن كان عندنا مثل هذه المراكز للمشتغلين بالأدب والفلسفة والفن... وإن لم تكن فقد جاء الوقت لأن نشحذ ذاكرتنا الأدبية والتاريخية. وقد أدهشني جدًّا أن أتلقى من مواطن مصري شاب يدرس في مدينة صغيرة في إحدى الولايات الأمريكية قائمة طولها متران.. عن معظم مؤلفاتي ورحلة حياتي.. وعن أشهر عباراتي. وعن مواقفي في السياسة والأدب والفلسفة! ولابد أن أدباء آخرين مصريين وعربًا لهم مثل هذه السجلات. ولما سألت المواطن المصري الشاب الذي تخصص في الإلكترونيات عن السبب الذي دفعه إلى ذلك قال إنما أراد أن يعرف إن كانت أمريكا جادة حقًّا في الاهتمام بالشخصيات المعروفة في عالمنا. والغريب أن المدينة التي يدرس فيها صغيرة جدًّا. ولكن الكمبيوتر يربطها بكل مراكز المعلومات في الدنيا.. فالدنيا هي التي أصبحت صغيرة..

وسألني إن كانت مثل هذه المعلومات عن كل الشخصيات يمكن معرفتها في بلدنا، وبهذه السهولة، وهو لا يزال ينتظر الإجابة.

لا صديـــق
ولا شقيـــق

الرئيس مبارك له أصدقاء وأشقاء في الشرق والغرب. فصدام حسين شقيق وليس صديقًا.

وكلينتون صديق وليس شقيقًا..

والملك فهد والأمير عبد الله والرئيس الأسد أشقاء أصدقاء.

وكان الرئيس مبارك حكيمًا في الحربين.. المرة الأولى عندما وقع العدوان العراقي على الكويت.. نصح الرئيس «صدام» 32 مرة. ولكن صدام لم يسمعه ولا مرة.. فكان الذي نعرفه ونأسف عليه..

وهذه المرة نصحه أيضًا حتى لا يكون الشعب هو الضحية وليس الرئيس العراقي.. لأن أمريكا حريصة على بقائه حيًا بعبعًا لإيران وسوريا ودول الخليج.. ولكن لولا صدام وغطرسته ما قامت ونامت أمريكا على أنفاس دول الخليج.. لا حبًا فيها ولكن حرصًا على أن تظل النار بعيدة عن الآبار.. ولا شك أن دول الخليج تفضل المظلة الأمريكية البريطانية المسيحية اليهودية على ضربات الشقيق المسلم صدام حسين!

ولا يوجد في القاموس السياسي لا كلمة (صديق) ولا كلمة (شقيق).. وإنما نحن العرب نستخدم ألفاظًا عاطفية للدلالة على معان سياسية..

كما نفعل في كل شيء آخر.. وهذه المراهقة السياسية العربية هي التي تتأرجح بين (لعب العيال) و (هلوسة الكبار)..

فلو أعدنا النظر إلى موقف الأشقاء والأصدقاء من العرب منذ الاجتياح العراقي للكويت لرأينا العجب.. عرب وقفوا مع صدام، وعرب وقفوا ضده.. واليوم يتكرر الموقف نفسه: عرب يجاهرون وعرب يخفون مشاعرهم الحقيقية.

وهكذا ترى أن الصديق شقيق أحيانًا، والشقيق عدو في معظم الأحيان..

وإذا لم تتساقط الصواريخ على المواقع الصناعية السرية في العراق، فإن هناك محاولات أخرى كثيرة في العراق وفي غيرها لتمزيق الشعوب وإشعال الحروب الأهلية والقروض الأمريكية لشراء السلاح.. وفي الوقت نفسه تدعو للسلام على الأرض وللمحبة بين الناس!

نلـــوم
صـــدام حسيـــن

هل بدأ الهجوم على العراق بزحف القوات التركية على شمال العراق أملاً في ابتلاع تركيا العلمانية للشمال المسلم السني؟ وإيران قد حشدت قواتها انتظارًا لابتلاعها الجنوب الشيعي.. ووسط العراق سوف يفوز به الأردن.... وبذلك تعطي أمريكا مكافأة سخية لإيران وتركيا والأردن. مقابل ماذا؟ أما المقابل فسوف يكون فيما بعد.. فتكون إيران أقوى دولة في الخليج وتكون تركيا صاحبة البترول والماء، والأردن سوف يكافأ على اتحاده مع فلسطين حتى يكون له دولة مستقلة!

وكلها قنابل شديدة الانفجار تؤدي إلى إشعال النار في الشرق الأوسط.. أما بقاء صدام حسين وسقوطه فمسألة ثانوية.. وأمريكا سوف تمضي وحدها، حتى إذا لم تقف معها بريطانيا وألمانيا والكويت والبحرين. وفي الضربة السابقة للعراق ألقت أمريكا في 42 يومًا ربع مليون قنبلة على الأهداف العراقية. أما هذه المرة فقد حشدت 25 ألف جندي و300 طائرة. وأجرت في الشهر الماضي تجارب مكثفة على (القنابل الاختراقية) الجديدة التي تنفذ في السقوف الخرسانية الكثيفة لمصانع الدمار الشامل تحت المساجد والمستشفيات. وقد ضحى صدام حسين بمائة ألف مليون

دولار في السنوات السبع الماضية بسبب رفضه التعاون مع لجان التفتيش.

وقد أعدت أمريكا قاذفات قنابل من طراز: ب – 52 و ب – 1 وب – 2 وبعضها سوف يجيء مباشرة من أمريكا.. وبعضها من قواعد في المحيط الهندي ومن تركيا ومن ألمانيا ومن إسرائيل..

وقد طلبت أمريكا من إسرائيل في حالة الاعتداء عليها ألا ترد على العدوان. فأمريكا هي وحدها القادرة على أقسى الضربات...

وأمريكا الآن قد وصلت إلى نقطة اللاعودة إذا لم تضرب؛ فالتكاليف أفدح كثيرًا من الضرب العاجل للعراق..

ونحن نعترض على ضرب الشعب العراقي، ونعترض على أسلحة الدمار الشامل في العراق وإسرائيل وليبيا ونعترض على تقسيم العراق والسودان. ولكن قُضي الأمر – ولا نلوم إلا صدام حسين!

أمريكا
هي السبب..

أمريكا تأكدت من معلوماتها عن المصانع الستين لإنتاج الصواريخ والقنابل والكيماويات السامة. والسبب بسيط: فهي قد أمدت العراق ببعض هذه الأجهزة. كما أن الدولة التي ساعدت العراق قد سلمت أمريكا خرائط لأماكن هذه المصانع. ثم إن الخبراء من أوروبا الشرقية قد ساعدوا العراق على نقل هذه المصانع من أماكنها فوق الأرض إلى تحت الأرض.. تحت المساجد والمستشفيات والمدارس والكباري وبيوت الرياسة..

وأمريكا هي التي أقرضت صدام حسين من البنوك الإيطالية بموافقة الرئيس ريجان. ولم تعترض على مساعدة الأرجنتين وكندا لكل طموحات صدام حسين.. حتى وصل صدام حسين إلى نقطة الانفجار.. فبعثت إليه بسفيرتها إيريل جلاسبي التي قالت: إلا السعودية وبعد ذلك افعل ما بدا لك. وما بدا له هو الذي بدا قبل ذلك للزعيم العراقي عبد الكريم قاسم. واتجه إلى الكويت وضرب وأحرق واغتصب وسرق البنوك والبيوت وأشعل النار في الآبار. وهذا ما أرادته أمريكا والباقي تعرفه..

أما الذي تريده أمريكا اليوم فهو أن تصحح مسار الصواريخ والقنابل وأن تهدم المصانع والورش وأن تمزق العراق.. وأن تدفع

بـالمعارضين تحت الأرض بديلاً عن صدام حسين.. وصدام حسين سوف ينتقم لا من أمريكا وإنما من كل جيرانه.. فمن الممكن أن يضرب إسرائيل وسوريا والكويت والسعودية؛ وهي صحوة الموت.. وقد استعدت أمريكا لكل ذلك تمامًا بأسلحة أعنف وعقول إلكترونية طائرة أقوى وأدق حتى لا تصطدم طائرات الحلفاء ببعضها البعض كما حدث للطائرات البريطانية.. ولكن هذه الحادثة تدخل تحت باب (ضرب الحبيب).. وقد طورت أمريكا طائراتها المقاتلة ف – 14 – فصارت قاذفة قنابل أيضًا – وطائراتها ف – 15 إلى قاذفة قنابل زنة خمسة آلاف رطل.. وأدخلت تعديلات على طائرات الشبح ستلث (الاستراق). وكنا زمان نعتقد أن الفن ضد الحرب. وأن الفنان العاشق للحياة لا يمكن أن يكون قاتلاً وهو يغني؛ ولذلك استبعدنا أن يكون الفنان الشاعر نيرون هو الذي أحرق روما وهو يغني (. غلط!!) فعازف السكسفون كلينتون (51 سنة) مع عازف الجيتار توني بلير (44 سنة) اتفقا مثل نيرون على دمار العراق.. والشرق الأوسط ليتسلطن الدولار والإسترليني إلى نهاية القرن!

فشلـــوا
فـي اغتيـال صــدام..

كان معروضًا على الرئيس بوش مشروع الزحف إلى بغداد. ولكنه رفض لأن الخسائر سوف تكون فادحة. وسوف يخسر التحالف العربى والأوروبي: مصر وسوريا وفرنسا..

ولكن الصورة تغيرت الآن.. وأصبح من الضروري الزحف على البصرة وعزلها وإنزال قوات حول بغداد لإلقاء القبض على صدام حسين بمساعدة كثير من قوات المقاومة والجواسيس العراقيين اليهود..

وقد فشلت ثلاث محاولات لاغتيال صدام حسين؛ واحدة من تدبير المخابرات البريطانية – وهي الأكثر علمًا ودراية بالشرق الأوسط – وواحدة من تدبير إسرائيل وقد فشلت عندما انفجرت القنابل في أفرادها عند تدريبهم على حدود الأردن، والثالثة أمريكية جاءت من تركيا بمساعدة الأكراد وفشلت..

وليس من المؤكد أن تقدر أمريكا على تدمير كل أسلحة الدمار الموجودة في العراق. وما دام صدام حيًّا. فسوف تبقى بعض الحيل في (جراب الحاوي).. وسوف يقاتل صدام حسين لآخر لحظة.. وسوف يحاول جعل الحرب تطول لتقلب الدنيا على أمريكا التي تنفرد بالقرار والضرب والقتل..

ولن تنجح عملية ضرب العراق في تغطية فضيحة (البنطلون – جيت) بل يمكن تأجيلها بعض الوقت..

واذا استطاعت أمريكا أن تقضي على صدام فسوف ترفع الحظر عن العراق فورًا لتنهال المساعدات من كل الدول الحليفة.. وسوف تغرق الأسواق بكل السلع من جميع الأنواع وبلا ثمن.. إنها معونة وفرحة بالتخلص من الطاغوت العراقي.. وسوف يدرك الناس الجياع والمرضى الفرق الهائل بين عراق صدام وعراق الحرية حتى تظهر زعامات عراقية جديدة موجودة في إيران وفي تركيا وفي لندن..

وليس القضاء على صدام هو الهدف الوحيد.. وإنما القضاء على العراق؛ وهي أغنى الدول العربية.. بترولاً وماءً وأرضًا زراعية وشعبًا..

وبنهاية صدام تنفرد أمريكا بكل دول البترول واحدة واحدة.. وساعتها يكون كلينتون قد ترك البيت الأبيض وجاء من بعده آل جور الذي هو أكثر حبًا وحنانًا وإعجابًا بالحليف الأوحد في الشرق الأوسط إسرائيل!

ونحن السبب
أيضًا

لم يعد البكاء على الماضي يفيد.. حين نلوم أنفسنا ونقول: نحن الذين نفخنا في صدام حسين؛ نحن أي جميع الدول العربية.

ورأينا عظمتنا في مشيته المعجبانية التي سببها أنه عنده انزلاق غضروفي.. فعظمته هي عظمتنا. وفي غطرسته رأينا صلاح الدين الأيوبي الذي هو بلدياته.. ونحن الذين صفقنا سرًّا وعلنًا للمدفع الجبار الذي اخترعوه في كندا.. وذهبوا به إلى بريطانيا.. وضحكوا على ذقون العالم كله بأنه أنبوبة لضخ البترول.. وصفقت الصحف العالمية لهذا الاكتشاف!!

واحتفل الرئيس صدام حسين بهذا المدفع الجبار. وصدق أنه استطاع أن يخدع العالم كله. والحقيقة أن العالم هو الذي خدعه وخدعنا..

ونشرت المصانع الكيماوية الألمانية فيلمًا عن خبراء عراقيين يترددون على هذه المصانع سرًّا. ولم يكن سرًّا وإنما هي تسجيلات انتقلت إلى مخابرات أمريكا وبريطانيا وإسرائيل. (أنا شخصيًّا عندي هذا الفيلم) وفرقعت زجاجات الشمبانيا في قصر الرئيس العراقي؛ لأنه خدع كل مخابرات الدنيا، هو الذي يقول ذلك حتى اليوم!

وأذكر أن مناحم بيجين استأذن الرئيس السادات في ضرب مصانع الغازات السامة في ليبيا فقال له السادات: على جثتي يا مناحم!.

وتحول مناحم بيجين عن ليبيا وضرب المفاعل النووي الفرنسي في بغداد. وإسرائيل مستعدة مرة أخرى أن تمسحه من الأرض. ولكن أمريكا تعترض حتى لا يؤدي ذلك إلى إثارة العالم العربي!

وإذا كان العرب قد انقسموا في مواجهة الضربة الأمريكية الأولى فإنهم هذه المرة اتفقوا تمامًا على ضربه.. وهم سرًّا يوافقون على الخلاص منه، وعلنا يتظاهرون ضد أمريكا باسم الإشفاق على أطفال ونساء العراق. لقد كانوا في المرة السابقة أشجع وأجرأ.. ولكنهم هذه المرة أكثر خوفًا من أمريكا لا خوفًا على صدام!

أما بعد صدام فهو ما بعد الطوفان؛ أي قبل ظهور نوح جديد.

بـل أنــف
كليوباتـــرا

أسوأ ما في التاريخ أنه ثرثار يكرر نفسه، الأحداث والكلمات وعلامات الاستفهام والتعجب، ثم هذه العبارة: لقد علمنا التاريخ أننا لا نتعلم من التاريخ!

فعادت إلى الصفحات الأولى كلمات باتريوت واسكود وإف 1 و2 و17 والرءوس الميكروبية والقاذفات والمقاتلات والقاذفات المقاتلات وطائرات الشبح (الاستراق للعين والأذن).. والمنصات المتحركة.. ثم الأمراض المخية والدمامل والأورام والالتهابات الجلدية.. والأقنعة الواقية من الغازات السامة هدية ألمانيا لإسرائيل – فلا تزال ألمانيا تعاني عقدة غرف (الغاز) النازية.. والعمال من نيجيريا وسيراليون وجنوب إفريقيا يتظاهرون في إسرائيل لأنها رفضت أن تعطيهم أقنعة واقية لهم ولزوجاتهم وأولادهم، رغم أنهم يعملون تحت الأقدام وخط الفقر منذ سنوات عديدة!

وفلاسفة التاريخ يعصرون أدمغتهم بحثًا عن الأسباب الاقتصادية والسياسية للضربة الأمريكية (400 طلعة جوية يوميًا ولمدة أسبوع)..

وفلاسفة آخرون يشيدون (بالتفسير الشخصي) للتاريخ: بنطلون الرئيس كلينتون وفودكا الرئيس يلتسين والانـزلاق الغضروفي

للرئيس صدام. أما المؤرخون القدامى فقد قالوا لنا إن أنف كليوباترا قد غير التاريخ، واغتصاب هيلنا قد أشعل حرب طروادة والخناقة على ناقة هي سبب (حرب البسوس) في الجاهلية.. وزكام السفير الفرنسي ووسوسة المستشار الألماني بسمارك أشعلا الحرب السبعينية..

وفي الوقت نفسه تتستر وسائل الإعلام في إسرائيل على العثور على عظام أحد طياريها الذين سقطوا على أرضنا في حرب أكتوبر ولا نزال نبحث معهم عن 18 طيارًا مفقودين.. عشرة سقطوا في اليوم الأول.. وقد وجدوا أخيرًا عظام أحدهم ونقلوها إلى إسرائيل ثم إلى بريطانيا للتأكد من أنها صحيحة.. وبراميل الغازات السامة والميكروبية قد اختلفت أوزانها. والأمريكان يقولون: لدى صدام 4800 لتر.. والإنجليز يقولون 2700 لتر.

ومن المؤكد أن العراق أضعف مما كان في حرب الخليج، فلن يستطيع ضرب إسرائيل أو الكويت أو إيران أو تركيا – لو أراد.. ثم إن العراق هذه المرة معزول عن العرب على الرغم من المظاهرات المعادية لأمريكا في الأردن وفلسطين والأزهر.. فالعراق وحده أمام أمريكا وحدها!

طبعـــاً مؤامـــرة!

حرام علينا حلال عليهم إذا قلنا إنها (مؤامرة) على مصر ورئيس مصر واقتصاد مصر وأمن مصر! هل تفكيرنا نحن فقط تآمري؟ وهل إذا قيل لنا ذلك نخاف ونرتعد ونشعر أننا متخلفون عقليًا؛ لأننا لم نجد السبب الحقيقي وقلنا إنها مؤامرة!

هل محاولة هدم اقتصاد مصر وزعزعة الأمن فيها عمل فردي..؟

يعني أن واحدًا جالسًا على القهوة وخطرت له فكرة فقام ونفذها بأسلحة متطورة وبخطة محكمة وفي جيبه مائة ألف دولار – هل هذا عمل فردي؟

هل محاولة الاعتداء على الرئيس مبارك عمل فردي، وليس مؤامرة.؟ هل قتل الأبرياء من السائحين في الأَقْصُر كان عملاً قام به شخص أو ثلاثة لمجرد إفراغ المسدسات التي يحملونها؟ هل تدريب الشباب الساذج في أفغانستان والسودان بأموال إيران، كل ذلك عمل فردي وليس له هدف إلا دماء الأبرياء وبس؟!

هل اتهام سفيرنا في إسرائيل محمد بسيوني بالتحرش براقصة في بيت صديقه د. سولمان مجرد مصادفة؟ أليس من حقنا أن نتساءل أو حتى أن نلاحظ أن هذه التهمة رد على سجن الجاسوس الإسرائيلي عزام عزام.. لقد سخرت النائبة العامة (عدنا أريل) من الراقصة فقالت:

ما الذي نتوقعه من راقصة إذا ذهبت إلى شقة بملابس خليعة؟! ثم عادت السيدة (عدنا أريل) وصححت عبارتها فقالت: حتى إذا ذهبت بملابس خليعة فليس من حق أحد أن يتحرش بها.. وادعت الراقصة أنها كانت ترتدي الملابس التي تناسب الخروج إلى الشارع ولم يتحرش بها السفير. أليس من حق السفير وحقنا أيضًا أن نلمح معالم التآمر على رجل أمضى 17 عامًا سفيرًا لمصر في إسرائيل وسفيرًا كفؤًا أيضًا؟

والسيدة هيلاري كلينتون في دفاعها القوي عن زوجها قالت للشعب الأمريكي وللعالم كله إن هناك (مؤامرة) على زوجها من اليمين الأمريكي.. وكررت هذه الكلمة في دفاعها المنطقي القوي 27 مرة.. فهل السيدة هيلاري كلينتون مصرية أو عربية لأنها تلجأ إلى التفكير التآمري كتفسير لما أصاب زوجها من راقصة وراء مطربة ومن بعدهما فتاة يهودية جريئة فاجرة؟

من المؤكد أن هناك مؤامرات عديدة تقوم بها دول وجماعات إرهابية دينية أو إجرامية.. ولا يخيفني ويجب ألا يخيفك أن نقول إن هناك (مؤامرة).. نعم هناك مؤامرة لإرهاب كل من يستخدم كلمة مؤامرة!

القانـــون:
ضحيـــة

سمعت خطاب الرئيس كلينتون الذي أعلن فيه أنه لن يتمكن من تحقيق كل أهداف الضربة العسكرية؛ أي لن يتمكن من اختراق أسقف المعامل تحت المساجد والمستشفيات والمدارس... وعشرات المعامل المجهولة للأقمار الصناعية..

وأهم من ذلك أنه لن يتمكن من قتل صدام حسين الذي استعد لهذا اليوم بكثير من السراديب والمخابئ وعشرين رجلاً يشبهونه في الطول والعرض والمشية والشارب.. ثم بالقضاء على كل معارضيه إلا الذين في إيران وتركيا ولندن وواشنطن!

والأمريكان يقولون إن قانون الرئيس ريجان يمنعهم من اغتيال رؤساء الدول! ملحوظة: إن أول ضحايا أية حرب هو: القانون!

وقد حاول الأمريكان قتل كاسترو ورفاقه، ولم يفلحوا. وحاولوا قتل الرئيس القذافي سنة 1989 عندما أسقطوا صواريخهم وقنابلهم من بريطانيا فأصابته شظية في ذراعه.. ولم يفلحوا في قتل الزعيم الصومالي فرح عيديد، بعد أن خسروا في مطاردته عشرين جنديًا.. وقد قتل رجال عيديد جنديًا أمريكيًا وجرجروه في شوارع مقديشيو.. وإن كان الرئيس ريجان قد استدرج نوريجا رئيس بنما إلى الأراضي الأمريكية لمحاكمته والحكم عليه.. وقد كان نوريجا عميلاً للمخابرات الأمريكية تحت رياسة جورج بوش!

ولكن سوف يتحقق للرئيس كلينتون أنه الفتى الأول في الدنيا. وأن إرادة أمريكا هي الإرادة.. وأن روسيا ولا حاجة، حتى عندما كان اسمها الاتحاد السوفييتى: فيوم هددت دول العدوان الثلاثي على مصر أنها سوف تضربها بالصواريخ، لم تنسحب إلا بأمر من الرئيس أيزنهاور.. أما روسيا الآن وأمريكا فيتنافسان على الجمهوريات التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي... ثم إن روسيا هي عزيز قوم ذل فقرًا وفوضى!

وسوف يؤكد كلينتون، لكل الدول الصغيرة الحليفة، أنه وحده القادر على حمايتها.. أما (الأتعاب) فسوف يتقاضاها فيما بعد.... ولن تسمح أمريكا بدولة قوية في الشرق الأوسط. وسوف يجيء الدور على إيران وسوريا وليبيا..

وصدام حسين هو وحده الذي أعطى لأمريكا هذه الفرصة للوجود بكثافة في الخليج وفي الشرق الأوسط، وهو المسئول عن تجويع وبهدلة الشعب العراقي وعن انفراد أمريكا بدول الشرق الأوسط واحدة واحدة حتى لا يظهر صدام ويشعل النار في الآبار ويهدد من قريب أو بعيد الحليف الأوحد لأمريكا: إسرائيل!

الأمريكـــي
قبيـــح الوجـــه

مشكلتان عند الرئيس كلينتون.. واحدة عاجلة والثانية خطيرة.. الأولى مشكلة الفتاة اليهودية مونيكا ليفي، والثانية صدام حسين.

فماذا يحدث لو أن الضربة العسكرية لم تقض على صدام حسين؟

إن الرئيس بوش كان عنده نصف مليون جندي وتأييد عالمي لكل ضرباته الجوية والبرية والميكروبية، نعم الميكروبية لأننا لا نعلم حتى الآن إن كانت الأمراض التي ظهرت على قوات الحلفاء بسبب قنابل بوش الفاشلة أو بسبب الرءوس الميكروبية لصواريخ صدام. إن الرئيس بوش كانت له (امرأة جميلة) أيضًا.. كانت تعمل سكرتيرة عندما كان رئيسًا للمخابرات، وعندما كان نائبًا للرئيس ريجان. فطلب إليها أن تختفي في أمريكا اللاتينية. ووافقت، ومن بعدها قطع لسان السفيرة الأمريكية في العراق إيريل جلاسبي التي قالت لصدام: أيها الزعيم العظيم أمامك الطريق مفتوح إلى الكويت أما السعودية فلا...

ونجح الرئيس بوش المدرب تدريبًا فائقًا على ألاعيب المخابرات المركزية، في إظهار وإخفاء من يريد من الخصوم والعملاء.. أما المشكلة الآن فهي: ماذا يستطيع كلينتون بقواته القليلة وأسلحته المتطورة؟ وماذا يريد مستشاروه؟ فإذا لم تؤد ضرباته العنيفة إلى القضاء على صدام حسين شخصيًا، فسوف يؤدي إلى تشجيع دول في

الشرق الأوسط على السخرية من أمريكا وأساطيلها جوًا وبحرًا وبرًا.. وإلى المضي في تطوير أسلحتها المبيدة مثل إيران وليبيا وغيرهما.. وإلى انهيار الثقة في القوة المطلقة الأمريكية التي عجزت مرتين عن القضاء على آلة الحرب العراقية.. وإنما استطاعت فقط تجويع شعب العراق. ولم تجد بديلاً لصدام حسين، لا في العراق ولا خارجه..

وهكذا يتأكد للعالم مرة أخرى أن الدول والشعوب لا تموت من الجوع.. فاليابان لم تقض عليها أول قنبلة ذرية في التاريخ.. وعاشت اليابان كما عاشت ألمانيا عدوًا عملاقًا - إن لم يكن في السياسة ففي الاقتصاد - ثم إن أمريكا بجلالة قدرها قد ذاقت الهزيمة والعار من حفاة وعراة فيتنام!

وإن استئناف حرب الخليج وضرباتها الوحشية قد فضح وبهدل الدولة العظمى التي حركت مواجع الشعوب جميعًا دينيًا وعرقيًا ومذهبيًا.. وظهر الأمريكي قبيح الوجه ليتسلطن على عرش الفتن في الشرق الأوسط والعالم أيضًا.. وهذا ما كان يخشاه حسني مبارك، والذي حذر منه يلتسين!

هديـــة
محمــد علــي

عندما يزور الرئيس مبارك باريس سوف يجد أن المسلة الفرعونية الموجودة في ميدان الكونكورد قد وضعت فوق رأسها قبعة من الذهب..

وهذه المسلة هي التي أهداها محمد علي الكبير إلى فرنسا.. كرمز للعلاقة القوية بين مصر وفرنسا أو بينه وبين الخبراء الفرنسيين في كل مجالات العلم والثقافة والمال والسياسة.

وفي مكتبات باريس الآن كتاب لمؤلف مولود في مصر سنة 1947. الكتاب اسمه (محمد علي آخر الفراعنة)..

والمؤلف اسمه جيلبير سنويه. الكتاب ممتع وفيه ملاحظات ذكية. ثم إنه جهد تاريخي وثائقي ممتاز. والكتاب يؤكد في كل صفحاته أن مصر كانت ولاية فرنسية.

محمد علي الكبير رجل عبقري لا يقرأ ولا يكتب ولكن كان الفرنسيون هم الصوت والضوء في تطوير مصر التي كان يملكها هي ومن عليها. فكان أغنى الأغنياء وطاغية الطغاة. ولكنه أدخل تطويرات في كل مجالات الزراعة والري والتجارة والقانون..

وقد قرأت هذا الكتاب الذي أهداني إياه الصديق فاروق رأفت قنصلنا العام. وهذا الكتاب البديع يذكرني بالرئيس الفرنسي جيسكار

ديستان عندما جلسنا نستمع إلى خطابه أثناء عشاء في قصر عابدين.

فقد سرد علينا أسماء العلماء المصريين والأدباء والفقهاء والمهندسين الذين تعلموا في فرنسا.. حتى قصر عابدين هو صورة من قصر فرساي، فالرئيس الفرنسي لم ير إلا كل ما هو فرنسي في مصر. فكأنه عندما وقف في قلب القاهرة لم ير إلا قلب باريس!

وكذلك هذا الكتاب قد أخرج لنا من تحت الأرض عددًا هائلاً من رموز الثقافة الفرنسية ابتداءً من نابليون نفسه حتى شامبليون.

وهذا الكتاب يغري الباحث أن يقرأه كثيرًا، وأن يلتفت إلى المراجع التي استعان بها ليرد عليه أو يناقشه، ولكنه رغم ذلك متعة مؤكدة.

وفي ختام الكتاب صفحة واحدة هي قمة ذكاء المؤلف.. وبهذه الصفحة يتأكد ما بين أسرة محمد علي وبين فرنسا..

ففي هذه الصفحة صور عقد زواج الأمير أحمد فؤاد آخر ملوك مصر على فتاة فرنسية يهودية..

بنطلـــــون
كلينتــــون

من السهل جدًا أن يتحول الشرق الأوسط للعطف على صدام حسين إذا بالغت أمريكا في ضربه وعقاب الشعب العراقي وقررت إذلاله.. أو إذا عرفنا أن إسرائيل قد شاركت في هذا الضرب رغم تحذيرات أمريكا - أو التظاهر بذلك. فمن المؤكد أن أمريكا سوف تعتمد على الأجواء الإسرائيلية والمشاركة في الضرب والإنزال والتجسس.. أما إذا تعاظمت الضربات العسكرية العنيفة الفادحة الضحايا فإن الشعور العربي سوف يتحول ضد أمريكا.. وسوف تقف إيران ضد الرئيس كلينتون مفتوح البنطلون.. ولن يؤدي الدخان المتصاعد من كل مكان إلى إخفاء بنطلون الرئيس الأمريكي، ولو كان كلينتون رئيسًا لفرنسا فإن أحدًا لا يهمه إن كانت للرئيس ملابس داخلية، ولا عدد العشيقات، فالمهم هو أداؤه الوطني، وعندما عرف الأمريكان أن أيزنهاور يحب سائقة سيارته البريطانية وأنه قرر الزواج منها منعه الحزب.. منعه لاعتبارات أخلاقية، وليس لاعتبارات سياسية. ولم يغفر له عندهم أنه بطل الحرب العالمية الثانية - وكذلك فمن الممكن أن يحدث نفس الشيء في بريطانيا..

إن الضربة الأمريكية من الممكن أن تصيب عدة أهداف في وقت واحد: فلا يكون سلام على أرض ديانات السلام.. فتوضع المشكلة

الفلسطينية على الرف وفي ظل عميق.. والحرب الأهلية سوف تشتعل في العراق بين السنة والشيعة والعرب والأكراد والفرس.. وسوف تنكشف أمريكا كدولة استعمارية، وسوف يندم الناس على غياب روسيا الصديق الأعظم، ويتعجلون نهضتها ونهضة أوروبا ضد أمريكا التي يحكمها بنطلونات بغير سوست!

وإيران على يقين من أن الدور عليها بعد العراق، فلن يسمحوا لها هي الأخرى باستخدام أسلحة الدمار الشامل، في أي اتجاه، وسوف تقف وراء إيران كل الدول الإسلامية التي كانت تعارضها ولكنها تعاني التمويل الإيراني للإرهاب وسوف تكون لهذه المغامرة حلقات ومفاجآت!

صح
يا ريس..

صح يا ريس أن تزور المشروعات الناجحة.. المصانع والمزارع والملاعب.. إن هذه الصروح الهائلة التي أقامها المستثمرون قد نهضت بعد تعب وعرق وعذاب على أبواب وشبابيك البيروقراطية المصرية. ولكن هذه الزيارة تتويج لكفاح طويل وتعويض عن عذاب أطول..

صح يا ريس أن تذهب بنفس الحماس إلى ما يصنعه الأهالي، وليس فقط إلى ما تشيده الحكومة.. صح يا ريس أن تكون قريبًا من أيدي الناس وعيونهم وأحضانهم.. وألا تستغرقك السياسة وتشغلك عن الاقتصاد.

فالناس لا يتصورون أن الرئيس عنده الوقت ليرى ويسمع ويناقش ويتابع. ولكن الرئيس يسمع حتى النكت ويقرأ ألوف الشكاوى وليس أسهل عليه من أن يتصل بالناس تليفونيًّا.. ويسأل ويتابع ويراجع وكل هذه أعباء ثقيلة.، وإرهاق شديد. ولكنه يحدث كل يوم..

وفي هذه الزيارات دعوة لكل إنسان أن يزرع ويبني. فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فالأرض واسعة. والماء متوافر. والجو والأمان والترحيب والرئيس... كل ذلك قريب من أي واحد نجح في إضافة مساحة خضراء إلى أرض مصر، وكل من رفع قلعة للصناعة وفتح بابًا للعمل ونافذة للأمل وبيتًا لأسرة شابة..

وفي مواقع الأحداث كان الرئيس مبارك أول من يذهب إلى حيث سالت الدماء ويكون ذلك دليلاً على يقظته ودليلاً على أنه إذا رأى فلن يسكت وإذا سمع فلابد أن يطمئن. وهو بذلك يؤكد لكل خائف أنه هناك. والدولة كلها هناك.. وقد كانت صور الرئيس مبارك مع السياح في جنوب مصر وشمالها وفي سيناء أكبر دعاية للسياحة ودعوة للسائحين..

وفي درجة حرارة 45 مئوية ذهب الرئيس يتفرج على مصانع المستثمر الكبير أحمد بهجت. وسوف يزور كل من أقام مصنعًا وأصلح أرضًا وملأها بالأشجار والأزهار والعمال.

صح يا ريس ما تفعله.. وفي ذلك قدوة للوزراء والمحافظين أن يذهبوا ويباركوا ويشجعوا كل من أخرج من العدم حقلاً وحديقة ومصنعًا وغرس أملاً وأمنًا.. ومهما كانت حرارة الجو فقد كانت بردًا وسلامًا على الرئيس وعلى أصحاب الأرض والمصانع وكل شاب يحلم بأن ينجح.. وكل ما يتمناه الشباب هو أن يجد أحدًا يشجعه ويدفعه ويدفع له ويصبر عليه ويقدم له قدوة حسنة ونموذجًا.. وكل ذلك في متناول الجميع. صح يا ريس!

آخر أحداث القرن

درس الفرنسيون كل عيوب كأس العالم في أطلانطا. فوجدوا أن الأجهزة كلها كانت صحيحة. ولكن تشغيلها لم يكن كذلك. فالأمريكان قد درسوا ونفذوا كل وسائل نقل المعلومات على حدة. ولكن فاتهم ربطها ربطًا محكمًا من أجل ألوف ملايين المشاهدين؛ ولذلك تشكلت في فرنسا (لجنة تنظيم كأس العالم) من ثلاث سنوات. ولم يكن بهذه اللجنة إلا شخص واحد. وبدأت الدورة وسوف تنتهي وعدد الموظفين 18 ألفًا من أجل إمتاع ستة آلاف مليون متفرج في 33 يومًا و 24 ساعة يوميًا. على أن تتكلف 250 مليون فرنك.. أكثر هذه الأموال حصولها من بيع التذاكر الذي بدأ قبل بداية الدورة بثمانية عشر شهرًا.

وقد أعدت فرنسا كل وسائل نقل المعلومات لـ15 ألف صحفي ولأضعاف هذا العدد من مندوبي الإعلانات وأضعاف هذا العدد من المشاهدين الذين يريدون حجز الأماكن، والذين يتساءلون عن الإعلانات التجارية التي تظهر على الشاشات قبل وأثناء وبعد المباريات.

وأهم أهداف اللجنة هو مواجهة الكوارث: الإرهاب وانقطاع التيار الكهربائي. فإذا انقطع التيار ارتبك الإرسال وتلخبطت العقول

الإلكترونية وفقدت ذاكرتها. ولذلك جربوا انقطاع التيار عشرات المرات. وتأكدوا من استحالة أن ينقطع التيار لحظة واحدة. أما الإرهــاب فقد أعـدوا له كل أساليب المقاومة والاكتشاف دخولاً وخـروجًـا من الملاعب، كما أنهم نظموا حركة الدخول والخروج والجلوس في الملاعب والمرور حولها وفي المدن المجاورة. ولا يمكن معرفة عدد رجال ونساء الأمن بين المتفرجين وحول الملاعب وفي الموانى والمطارات. ولا معرفة الشبكة السرية للاتصالات بين أجهزة الأمن والبوليس الدولي..

إن فرنسا على يقين من أن كأس العالم هي آخر الأحداث الكبرى في القرن العشرين. ولذلك قدمت فرنسا أجمل إبداعاتها في الفن والاستعراض والمعلومات، وقبل ذلك احتفلت فرنسا بمرور قرنين من الزمان على العلاقات العميقة بينها وبين مصر. وشعور الفرنسيين بنا أعمق كثيرًا من شعورنا بهم. فهم يؤمنون بأن مصر اكتشاف فرنسي.. ولذلك كانت الحفاوة البالغة بالفن والتاريخ والرئيس المصري.

ولم نجامل فرنسا بأن نقيم تمثال دليسبس عند مدخل القناة وأن نجدد متحفه. وبالمرة نعيد تمثال الخديو إسماعيل أحد صناع الحضارة المصرية!

هـــو
السبـــب!

إن كان عندك خمسون عامًا فأكثر، فلابد أن أحدًا من أهلك قد سمع بهذا الرجل المسئول عن (جرعة الحنان) اليومية من الأب والأم للطفل. ففي سنة 1946 صدر كتاب بيع منه سبعون مليون نسخة، وظهرت ترجمته في 40 لغة.

الكتاب اسمه (الطفل والعناية به) للطبيب النفسي بنيامين اسبوك الذي توفي أخيرًا عن 94 عامًا. ومن أشهر أبناء مدرسة اسبوك في التربية النفسية الرئيس الأمريكي كلينتون – هو الذي يقول ذلك.. والحقيقة أن الرئيس لم يلق هذه العناية من أمه. فأمه ممرضة غلبانة. وأبوه مات وهو في بطن أمه واتخذ اسم الزوج الثاني لأمه، والذي كان يضربها وهو مخمور. وأم كلينتون اعترفت بامتنانها لابنها الذي كان ينقذها من شلاليت ولكمات زوجيها الثانى والثالث.

والدكتور اسبوك بعد الحرب العالمية الثانية كان يبشر بالرحمة للأطفال وبالأحضان الدافئة وأن تتفرغ الأم لأولادها.. أما اشتغال الأم فقد حرم ملايين الأطفال من صدر الأم ومن دفء أحضانها... ومن آرائه أن البشرية تعذبت كثيرًا بسبب قسوة الوالدين وهجر الأم لأطفالها.

ولذلك اتهمه كثير من العلماء أنه الرجل الذي أفسد الشباب في أمريكا وفي العالم. وأن الميوعة والمياصة والانحراف في الدنيا كلها

كان هو سببها. وقد ذهب اسبوك في الدعوة إلى اللطف والرحمة والمرح في معاملة الأطفال وإلى منعهم من الاشتراك في حرب فيتنام. فغضب عليه الرئيس نيكسون وقدموه للقضاء وحكم عليه بسنتين سجنًا وقد تظاهر الطالب كلينتون ضد حرب فيتنام..

وقد تزلزلت الثقة به وبدعواه إلى الرحمة واللطف عندما طلق زوجته الأولى، وتزوج فتاة في الثلاثين وكان في السبعين.. وانحدرت حالة الزوجة الأولى حتى دخلت مستشفى الأمراض العصبية.

أما ولداه فيصفانه بأنه رجل في غاية البرود والقسوة، وأنه لم يقبل ولديه مرة واحدة.. وأنه كان طاغية في البيت.. هو الذي يختار الطعام وملابس الزوجة وألوانها، ويختار أصدقاء ولديه..

ولكن في السنوات السابقة على وفاته ندم على كثير من نظرياته.. واعترف أن الشباب اليوم في حاجة إلى ربط وضبط وأن العلاقات العائلية قد انهارت، وأن الشباب لم يعد يحب أن يكون ابنًا ولا أبًا.. وأنه اختار أن يغيب عن الوجود بإدمان المخدرات.. وراح يطالب الآباء بالتشدد في معاملة الطفل، حتى يكون رجلًا.. لا أن يكون – هكذا – وسطًا بين الرجولة والأنوثة – لقد فات الأوان يا دكتور!

الحـــزن
عـلاجًـــا!

أثناء الحرب ترتفع أرقام الزواج ويزيد عدد المواليد..

وفـي السلام تزيد حـالات الطلاق وينقص عـدد المواليد. ففي مواجهة الكوارث والمصائب يتمسك الناس بالحياة. ويؤدي الخوف والإحساس بالخطر إلى الإثارة الجنسية.. وإلى تقارب الناس وإلى نسيان مشاكلهم الصغيرة والذوبان في المصيبة الكبرى - وهذا واضح حتى في أيرلندا الشمالية والبوسنة والهرسك وفلسطين..

وعلماء النفس في بريطانيا يؤكدون أنـه في أيـام الحزن على الأمـيرة ديانا نقص عـدد المترددين على العيادات النفسية إلى النصف، وأحيانًا نقصوا 75٪. فماذا حدث؟ لقد هـانت عليهم مصائبهم حين وجدوا الفتاة الجميلة الشابة الأميرة الطيبة في غاية التعاسة؛ حتى موتها كان بشعًا.

هنا يشعر الناس أن مصائبهم أقل كثيرًا من مصيبة الأميرة.. وأنهم لا يختلفون في الهم والغم عن أكابر الناس وأكثرهم شبابًا وجمالاً.

أي عليهم أن يرضوا بحالهم ويحمدوا ربنا على الذي أصابهم!

ثم إن الناس قد بكوا على الأميرة وطال بكاؤهم. وكان البكاء غسيلاً للهم والغم.. تمامًا كما يلقي الهنود بأنفسهم في الأنهار

المقدسة ويؤمنون أن هذه الأنهار المقدسة تغسلهم من المرض والذنوب.. وقد غرق الإنجليز في أنهار الدموع على أميرة مظلومة شقية..

ولا أنسى أنني جلست في أحد مقاهي روما في صباح يوم بارد عندما رأيت في قناة أوربت الصديق الصحفي عماد الدين أديب يعلن عن وفاة مصطفى أمين. ولم يكن موته مفاجأة. واندهشت كيف أن عماد الدين أديب لم يبد عليه أي تأثر. ولكن عرفت من أخيه الصحفي عمرو أديب أنه بكى كثيرًا قبل إذاعة هذا النبأ. ولكن عندما ظهر على الشاشة كان ملتزمًا بدور المذيع الذي يجب أن يكون محايدًا.. لقد بكيت على مصطفى أمين وعلي أمين وكامل الشناوي وموسى صبري ويوسف إدريس ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس وعبد الحليم حافظ وعاودت البكاء على أمي.. فالحزن يدعو إلى الحزن.. والبكاء يهيج البكاء.. وفي الحزن على الآخرين ننسى أحزاننا وهمومنا.. أو نراها عادية.. ومن هنا كانت الحكمة في المشي في الجنازات وزيارة القبور.

إذن لقد كان الحزن على ديانا علاجًا جماهيريًا.. وفي أيام الزلازل والسيول الجارفة والمعارك الانتخابية يجد الناس نوعًا من (تطهير) الأجسام والنفوس مما تعانيه من هموم خاصة وآلام نفسية..

إنـــه
الكاهــن إي..

أيهما تختار المرأة زوجًا لها: أميرًا مجهولاً وعدوًا لها، أو خادمًا مخلصًا ومعلومًا لها.. هذا السؤال عمره ثلاثة آلاف سنة. فقد وجدت أرملة توت عنخ أمون نفسها وحيدة بعد اغتياله. فـأرادت أن تبقى ملكة إلى جوار ملك قوي وأن تكون أمًا.

ومنذ اكتشاف مقبرة الملك توت سنة 1922 والعلماء في حيرة من مقتل هذا الملك الشاب في يناير 1325 ق. م فقد كشفت الأشعة عن أن أحدًا ضربه على دماغه فنزف ومات. ولما وجدت زوجته فراغًا هائلاً بعد اختفائه أرسلت خطابًا إلى أعدى أعداء مصر – ملك الحيثيين – تقول له إنها لم ترزق بولد يكون ملكًا. وإنها علمت أن لديه الكثير من الأولاد. وإنها ترجوه أن يبعث لها بواحد من أولاده يكون زوجًا وملكًا على مصر وتقول: من الطبيعي ألا أجدني مضطرة إلى اختيار واحد من الخدم زوجًا وملكا!

هنا يجب الوقوف طويلاً. فالملكة أرسلت إلى عدوها وبخط يدها تطلب شيئًا عجيبًا لم يصدقه هو. ولا مستشاروه. فأوفد من يكشف الحقيقة. فقد تكون خدعة مصرية. وذهب الرجل ولا نعرف من الذين قابلهم، ولا كيف قابل الملكة نفسها. ولا كيف عاد إلى الملك ولا ماذا قال له.. ولكن الملك أوفد أحد أولاده. فقتله المصريون..

وغضب الملك. وأرسل قوات تحارب مصر وعادت بعدد كبير من الأسرى، نقلوا إليها وباء قضى عليهم وعلى الألوف..

وقد اكتشف عالم المصريات البريطاني بوب بلاير نقوشًا في تركيا وصورة لجعران على خاتم عثروا عليه في أحد دكاكين بيع التحف بالقاهرة أن قاتل الملك توت وقاتل الأمير القادم ليكون عريسًا للملكة هو الكاهن «إي».. الكاهن الوزير. وهو أيضًا الذي تزوج أرملة الملك توت. ولكن هذه الملكة لم تظهر لها آثار على جدران مقبرة زوجها الأول وزوجها الثاني. بل لا أحد يعرف حتى الآن أين قبرها..

وقد ظهر كتاب العالم البريطاني منذ أيام بعنوان (اغتيال توت عنخ أمون).. وفي فرنسا ظهر كتاب أيضًا عن الملك توت يقول مؤلفه إن صراعًا بين الملك توت وأمير صغير(؟!) على زوجة الملك أدى إلى مقتل الملك ورفض الأرملة أن تكون زوجة لقاتل حبيبها. ويقال اعتزلت الناس. ومن عزلتها خرجت بهذا القرار الذي جعل الوزير (إي) يقتل الأمير ويتزوجها ويمسح اسمها ورسمها من مقبرة زوجها الملك توت.. ومن مقبرته هو أيضًا عقابًا لها!

قبـــلات
الرجـــال..

لا أعرف من الذي يستطيع أن يكون قدوة لنا في أن يكف الرجال عن تقبيل بعضهم البعض. عادة سخيفة. وشكلها أسخف. ثم إنها بلا معنى.

فماذا حدث حتى أراك اليوم وغدًا وأجدني مضطرًا إلى تقبيلك.. فإذا لم أفعل أكون قد أخطأت. أو لم أعد مباليًا، أو تعاليت.. مع أن الذي أفعله ليس قبلة وإنما هو تلامس بالخدين.. كما يتلامس سيفان باردان.. وبعض الناس يقبلك تقبيلاً حقيقيًا. وهذا أسخف!

وعندما كان الروس في مصر يشترون التفاح بالواحدة، وكذلك البصل والخيار، كان باعة الفاكهة من الصعايدة ينفرون من الروس لهذا السبب مع أنهم في أوروبا كلها يفعلون ذلك؛ أي يشترون ما يحتاجون إليه. ولا داعي لتخزين الزائد على الحاجة في الثلاجة. لقد كان الروس يقتصدون في الشراء ولكنهم يسرفون في القبلات: واحدة على خدك الأيمن والثانية على الأيسر والثالثة على شفتيك، وكان المرحوم عبد الحليم حافظ يفعل ذلك وكنا ننفر من ذلك وظللنا نستنكره حتى امتنع. وفي البلاد العربية يقبلون ثلاث مرات. مرة على الأيمن ومرتين على الأيسر، مجرد تلامس الخدين والصدرين، وأحيانا يقبلون الأكتاف.. والجبهة، وأحيانا الأنف، وكلها سخافات متنوعة!

الهنود هم أحسن الناس.. إنهم يكتفون بضم الكفين ورفعهما إلى أعلى للدلالة على المودة.. واليابانيون أعمق من الجميع؛ إنهم ينحنون جالسين وواقفين. ولا سلامات ولا قبلات!

السفير الأمريكي الجديد في مصر كورتسر أفلح في أن يتفادى أحد المسئولين الأمريكان قبلات الرئيس عرفات التي لا معنى لها.. كان عرفات قد هبط في المطار الحربي بواشنطن، وكان المسئول الأمريكي لا يريد هذه القبلة العرفاتية. فنصحه السفير كورتسر أن يمد ذراعه اليسرى ويضعها على كتف عرفات – أي يبعده عنه – ثم يصافحه باليد اليمنى. وقد نجحت هذه الحيلة.. ومن الممكن أن تنجح في مصر أيضًا!

هؤلاء المشردون في الشوارع. لماذا؟

في دراسة لعدد من علماء النفس والتربية الإنجليز يقولون: ليس السبب الأول هو الفقر. وإنما الخلافات العائلية.

الخلافات بين الزوج والزوجة وحيرة الأبناء أين يقفون؛ مع الأب ضد الأم؟ أو مع الأم ضد الأب؟ .. ثم إنهم لا يعرفون بالضبط ما الذي جرى بين الزوجين.. ولكنهم فقط يسمعون كلمات عنيفة، ويرون أطباقًا وسكاكين وشوكًا تتطاير في الهواء، وبعد ذلك صمت رهيب وانفتاح الأبواب وخروج الأبوين ولا يعرفون إلى أين. ثم عودتهما إلى البيت مرة أخرى لاستئناف الخلافات. ويخرج الأولاد، بنين وبنات إلى الشوارع. يعودون أو لا يعودون إلى البيت.

أو يكون السبب أن الأم تزوجت رجلاً آخر يكون هو الآمر الناهي ويكون أقسى من الأب. أو يتزوج الأب سيدة أخرى تكون أعنف من الأم.. أو يكون معها أولادها الذين يلقون عناية أكثر وأكبر..

أو يبقى الأولاد في البيت رغم الخلافات ولكن يظهر الانحراف على الأولاد: تعاطي المخدرات والمسكرات.. أو يكون للولد صديقة تقيم معه.. وللبنت صديق أيضًا. ويرفض الأبوان ذلك.. ويخرج الأبناء إلى الشوارع يشتركون في السرقة والنهب.. أو تعود البنت حاملاً إلى البيت. ويكون الحمل متعمدًا لتعود إلى البيت..

وجاء في التقرير أن الكثير من الآباء والأمهات يرفض الذهاب إلى مراكز الشرطة لإنقاذ أولادهم.. لقد تعبوا في النصح والتوجيه، ويرون أن الوقت قد حان ليلقوا العقاب الذي يستحقونه. وجاء في التقرير أن أحد الأغنياء قد أيقظوه عند الفجر يقولون له: إن ابنتك سرقت وقتلت وأجهضت نفسها وهي في حالة إغماء شديد. تعال أنقذها.

ويبعث الأب محاميه يقول: إن كانت قد قتلت نفسها فأمها فعلت ذلك. وإن كانت سرقت فأخوها أيضًا. وإن كانت أجهضت فهذا شأنها.. وليس لي بنات!

فيقولون له: إنها فضيحة..

ويكون رد الأب وألوف الآباء أيضًا: إنها فضيحتها هي... وليست فضيحتي فلست مسئولاً عن واحدة بلغت العشرين من عمرها.. حتى إذا ماتت فقد توقعت لها ذلك من سنوات..

وليس هذا ردًّا ولا حلاً، وإنما هو انسحاب من حل مشكلة ملايين الضالين في شوارع الدنيا!

تحيــــة
بــلا قبـــلات

هناك إصرار من بعض الناس على التقبيل. رغم سخافة المنظر وانعدام المعنى. الكثير يقول لك: رغم أنك لا تحب أن يقبلك أحد، فإنني مصر على ذلك!

وقد تلقيت عشرات الرسائل من مصر والبلاد العربية يتمنون اختفاء هذه العادة السخيفة. وأن نتعلم من اليابان والصين والهند. وبعض الرسائل تؤكد أن كثيرين قرروا رفض التقبيل، فلا يقبلون أحدًا ولا يقبلهم أحد.

وهناك أربع طرق: طريقة د. مصطفى كمال حلمي رئيس مجلس الشورى وهو أن يمد يده متصلبة بينك وبينه. فلا تستطيع أن تقبله...

وهناك طريقة السفير الأمريكي في القاهرة. فقد سألوه في واشنطن ماذا نصنع إذا وجدنا أنفسنا أمام إصرار ياسر عرفات على التقبيل. وكانت نصيحة السفير الأمريكي أن تمد ذراعك اليسرى وتضعها على كتف ياسر عرفات، وبذلك تبعده عنك وتجعل التقبيل صعبًا عليه!

أو طريقة الناقد الرياضي الكبير جهينة. فكان يرحمه الله يؤمن بالحسد. فلا يكاد يقترب منه أحد حتى يرفع يده في وجهه محاولاً أن يتفادى نظراته قائلاً: أنت صحتك كُوَيسة جدًا..

ويفزع الناس من ذلك فيمتنعون عن مصافحته. وكان يقال للأستاذ جهينة: ولكن الناس يغضبون منك ويكون رده: غضبهم أهون من مرضي!

وهناك طريقة رابعة تلجأ إليها الفتيات التي عليهن عفريت. فقد كنت أندهش كلما زارتني هذه السيدة الجميلة التي جُنَّ بها أحد الشعراء. وأسألها كيف تنبعث منها هذه الرائحة؛ رائحة البصل الشنيعة. وكان جوابها: إن العفريت الذي يركبها لا يريد أن يقترب منها أحد فلا يصافحها ولا يقبلها ولا يتزوجها! ويأمرها أن تأكل بصلاً وأن تمسحه في ملابسها!

وتلقيت من بلدياتي د. فتحي علي يونس رئيس قسم المناهج بكلية التربية أنه جاء في كتاب (سلسلة الأحاديث الصحيحة) لمحمد ناصر الألباني أن رجلاً قال للرسول عليه الصلاة والسلام: يا رسول الله: أحدنا يلقى صديقه أينحني له؟ قال: لا .. قال: فيلزمه ويقبله؟ قال: لا.. قال: فيصافحه؟

قال: نعم- إن شاء!

ليس بخيلاً..

كان الخليفة عمر بن عبد العزيز رجلاً متقشفًا قاسيًا على نفسه وأهله. وكان يحسبها جيدًا عندما يدفع أو يكافئ أو يعوض أحدًا.

والناس يصرخون من بخله الشديد الذي أغضب كل الطامعين والجشعين وبيته وأقاربه وحاشيته، وكان الخليفة يرى أن الوقت ذهب.. ولذلك لا ينفقه إلا في قضاء حاجات المسلمين وفي الصلاة وفي الندم على حياته السابقة التي كانت لهوًا وعبثًا.. ولم يخف الناس دهشتهم من سلوك الخليفة العجيب.. فهو يفتح صدره وأحضانه وخزانته ويتسع وقته للعلماء. بل كان يبحث عنهم في كل مكان، فلا يكاد يسمع عن عالم في إحدى المدن حتى يبعث له بمن يستدرجه إلى مجلس الخليفة، ويظل الخليفة يسأله ويدعو علماءه إلى الحديث معه ساعات طويلة، ثم يعطيه الكثير ويستبقيه ضيفًا عليه وعلى الدولة..

ويتعجب الناس كيف يكون زاهدًا شحيحًا، وفي الوقت نفسه يكون سخيًّا. وكان للخليفة رد جاهز.

يقول عمر بن عبد العزيز: إن جلسات العلماء هي (تلقيح) للعقول.. وإثراء وإنعاش لها حتى تلد أفكارًا جديدة وتشيع النور في كل جنبات القلب وجوانب العقل..

وكان يقول: إذا كان الشعب في حاجة إلى من يعلمه.. فإن الحكام أحوج. فهم الذين يدفعون ويوجهون الناس إلى الخير والسلام.

وأثرهم أعمق وأبعد.. وليس أقسى على الشعوب المتعلمة من حاكم جاهل، فالحاكم الجاهل هو (القوة الغاشمة).. ولم ينصفه بعض المؤرخين فوصفوه بأنه حاكم شاذ – أي متناقض– مرة يبسط كفيه، ومرة يقبضهما، ثم تساءلوا بالضبط ما هذا الذي يفعله الخليفة؟!

فكان رده: إنني أبذر الذهب حيث أراده الله، لا حيث أراده الناس – فالعلم نور الله في عقول العلماء، والعلماء نور العلم في عقول الناس!

ولما قيل للخليفة عمر بن عبد العزيز عن أحد العلماء: ولكنه يا أمير المؤمنين رجل فاسد. فكان رده على الفور: ولكنه عالم.. فقيل له ويضرب زوجته فأجاب: ولكنه عالم. فقيل له: ولكنه يشتمك يا أمير المؤمنين فأجاب: ضميره لله وعقله لنا.. هو أعلم منا والله أعلم به – والله ما تقدمت شعوب إن أهنتم شيوخها!

ضحايا العنف

أمير الشعراء شوقي فزع من أن التلامذة الصغار يقتلون أنفسهم وآباءهم بسبب السقوط في الامتحانات... وفسر الناس ذلك بأنه القدر. والأطباء قالوا: جنون. أو هي قسوة الأبوين أو هو الفقر أو عدم الإحساس بالأب والأم.. ولكن لا الشمس المضيئة لها أب ولا القمر الجميل! يقول شوقي:

قال ناس: صرعة من قدر	وقديمًا ظلم الناس القدر
ويقول الطب: بل من جُنَّة	ورأيت العقل في الناس ندر
ويقولون: جفاء راعه	من أب أغلظ قلبًا من حجر
وامتحان صعبته وطأة	شدها في العلم أستاذ نكر
لا أرى إلا نظامًا فاسدًا	فكك العلم وأودى بالأسر
رب طفل برح البؤس به	مطر الخير فتيًا ومطر
وحبي أزرت الدنيا به	شب بين العز فيها والخطر
ورفيع لم يسوِّده أب	مَنْ أبو الشمس وجد القمر؟

وهؤلاء أطفالنا الذين يحرقون المدرسة.. وأطفال في كل الدنيا يقتلون الأطفال والمدرسين.. ما هذا العنف؟ ما هذه النار في أيديهم والصرخات أمامهم ووراءهم..

إنهم يرون العنف في الأفلام وفي الشارع وفي الفيديو وفي الألعاب الإلكترونية.. ولذلك لم يعودوا يفرقون بين أفلام الحرب

وأفلام عن الحرب، فالأفلام عن الحرب أجمل والنتيجة لا شيء يخيف.. ثم هذا العنف في خناقات الأبوين. وانشغالهما عن الأطفال وتركهم للخادمات والجارات والعمات والخالات..

وقد صحت الدنيا على طفلين «12 سنة» في أمريكا وقد أمسكا المسدسات وأطلقا الرصاص فقتلا أربعة أطفال ومدرسًا وعشرات من الجرحى.. وفي بريطانيا طفلان في السابعة من العمر قتلا زميلاً وجرحا ثالثًا ورابعًا! لماذا؟

إنهم جميعًا يشربون من ماء واحد: ماء فاسد ويشمون هواء بالبارود، ويتوارون في دخان المدافع.. وطبيعي أن يضعوا أيديهم على الزناد.. والباقي يتولاه الرصاص في كل العواصم الأوروبية والأمريكية. والسبب واحد: إن هؤلاء الصغار قد اعتادوا على النار والدم، فالذين يرتكبونه ليسوا إلا صدى وتقليدًا لما يرون! يدبرون في غياب الأبوين اللذين يتبادلان أيضًا إطلاق النار.. فكان الأطفال هم الضحايا في البيت وفي الشارع.

أنـــواع القبـــلات

باريس – بعض الأصدقاء يغيظون. فيقول الواحد منهم: أنت لا تريد أي قبلة من أحد ولكني سوف أقبلك!

كأنني ما قلت ولا كرهت ولا دعوت إلى العدول عن هذه العادة السخيفة: قبلات الرجال. ويكون الواحد له لحية كأنها جلد القنفد ويكون للسجائر والقهوة والأسنان الصناعية رائحة كريهة ويصر على أن يقبلك! ومن الصعب أن تصارحه ولو قلت لأغضبته. مع أنك لم تعترض إلا على سماجة القبلة التي لا معنى لها.. والتاريخ يقول لنا إن القبلة ظهرت في جنوب شرق آسيا.. وإن كلمة (قبلة) في اللغة السنسكريتية معناها: الرضاعة أيضًا. وكانت الأم تفعل بالضبط ما تفعله الطيور عندما تمضغ الطعام ثم تدخله في أفواه الصغار..

وكان هناك اعتقاد أن ريق الأم دواء وشفاء. فالعين إذا التهبت فإن ريق الأم قادر على شفائها. وقد مارس المسيح عليه السلام العلاج بريقه وكذلك سيدنا محمد ﷺ..

وهناك قبلة الحياة وقبلة الموت.. فقبلة الحياة هي أن تنفخ في حلق إنسان أصيب بأزمة وهذه هي قبلة تعيش بعدها.. أما قبلة الموت فقد كانت العادة الآسيوية والأوروبية القديمة أن تجيء الزوجة أو الأم وتلتقط بفمها آخر أنفاس المريض.. وبذلك تنقل آخر

أنفاسه إليها وإلى أولادها ويكون ذلك امتدادًا لحياته في زوجته وأولاده..

إنني لاحظت أخيرًا أن عددًا كبيرًا من الناس إذا صافحك كان حريصًا على أن تكون هناك مسافة بينك وبينه حتى لا تفكر في اختصارها بقبلة خاطفة أو قبلة طويلة.

أذكر أنني كنت أزور ألمانيا بعد الحرب مباشرة. ورأينا مصريين لم نكن قد رأيناهم من وقت طويل.. فأسرع واحد منهم وقال لنا: لا قبلات وإلا اعتبروكم شواذ! وأذكر أننا كنا نسير جماعات في (شارع جنزا) في طوكيو عندما سمعت فرملة صارخة لإحدى السيارات ونزل منها موظف في السفارة المصرية لينبهني والصديق كمال عبد الرءوف ألا نمشي وأيدينا متشابكة حتى لا يظنونا من الشواذ! أُمال لو رأوا قبلات اللقاء والوداع!

المعـــــدة

أولاً..

نصيحة : اهتم بمعدتك، أما بقية الغدد فسوف تهتم بنفسها.

الحديث النبوي الشريف يقول: المعدة بيت الداء.. أي فيها يكمن الداء. أي في الطعام والشراب وقدرتها على الهضم..

وإذا استراحت المعدة، استراح الجسم كله.. وكل عناصر الصحة والمرض موجودة في الطعام والشراب والهواء..

وكان العالم المصري الكبير أحمد زكي يقول: إذا غنيت رقصت معدتك!

أي إذا كانت حالتك النفسية جيدة، إذا كنت مفرفشًا، كانت المعدة أقدر على العمل. على الهضم. أي أن الحالة النفسية هي سبب سعادة المعدة. ففي المعدة وإليها ومنها الحياة والصحة والمرض. وفي حياتنا اليومية ألف دليل.. إذا أنت ملأت معدتك ونفختها ضاق تنفسك.. ضاق صدرك وأصبح نومك قلقًا، وتفكيرك مشوشًا.. وإذا أنت ملأت جانبًا منها، سهل عملها وزادت قدرتها على الهضم وذلك بأن نشطت ملايين الغدد التي تفرز أحماضًا تذيب الحديد! نعم تذيب الحديد.. ولكن هذه الأحماض لا تذيب هذه الخلايا لأنها تحمي نفسها مما تفرزه.. تمامًا كالثعبان يفرز السم في أنيابه ولا تقتله هذه السموم التي يفرزها..

وفي كتاب صدر أخيرًا لعشرة من الذين تجاوزوا المائة عام يقولون. عشنا بالجوع وليس بالعطش.. أي أنهم أكلوا قليلاً وشربوا كثيرًا، وأكثرهم كان يشرب الماء أو اللبن.. ومعظمهم كان يشربه من ثدي الماعز أو البقر.. وبعضهم كان يخلطه بعسل النحل.. يشربه باردًا ولا يضعه على النار أبدًا.. وأربعة من هؤلاء العشرة نباتيون لم يذوقوا اللحم.. وستة منهم متزوجون.. وثلاثة منهم بلا أولاد.. واحد منهم فقط هو الذي قال: إن عنايته بمعدته لا يفوقها إلا عنايته بقلبه.. فقد فتح قلبه لكل من هب ودب.. وقال: إن قلبي كان معدتي الثانية.. كل من دخله هضمته واتجهت إلى غيره.. وقال إنه خطب عشرين فتاة ولم يتزوج منهن واحدة.. ولكن لو عادت إليه العشرون فإن قلبه سوف يدق من جديد..

وإذا كانت المعدة تضيق بالطعام الواحد فالقلب أيضًا!

أصلهـــا فصيــح..

ردًا على رسائل السادة القراء في معاني بعض الكلمات العامية أو ترجمتها وإن كان لها أصل فصيح. فعلاً معظم الكلمات العامية فصيحة. وإن كنا قد خرجنا بها إلى معان جديدة..

فالقدماء يتحدثون عن الكاتب (اللوذعي). والكلمة فصيحة وهي من كلمة: لذع.. أي لذعه بلسانه.. واللذعة جمعها لواذع.. والرجل اللوذعي أي سليط اللسان وظريف أيضًا..

والقهوة عند العرب هي الخمر. وقد سميت قهوة؛ لأنها تجعل الإنسان (يقهى) عن الطعام.. أي لا يريده.. فهي تصده عن الطعام.. ونحن نقول: المقهى. وقد حاولت أنا أن أترجم بيت الشاي (تي – هاوس) بكلمة (المشهى).. وحاولت أن أترجم الكافتريا – المكونة من (كافي) بمعنى قهوة (وتي) بمعنى شاي إلى كلمة: القهوشية. وأصدر المجمع اللغوي بيانًا ينفي عن نفسه أن هذه ترجمته. ولكني لم أدع ذلك. وإنما ترجمت وعندما سافرت إلى أمريكا وجدت أن الأجزاخانة تبيع الجزم أيضًا فاقترحت – ساخرًا – أن يسموها: الأحذاخانة!

ونحن نقول (حكم رجال الدين). وفي اللغات الأوروبية يستخدمون كلمة: ثيوقراطية – ثيو – معناها في اليونانية إله.. وكراتيا يعني: الحكم.. ولكني ترجمتها هكذا: الدينوقراطية. ولا أدعي أن أحدًا غيري قد اختار هذه الكلمة.

وردًا على إن كانت كلمة ملظلظ عربية. وفي الفصحى: لظلظ الثعبان رأسه أي هزها.. واللظلظة هي الاهتزاز.. والحديث النبوي الشريف يقول: التظوا في الدعاء بيا ذا الجلال والإكرام؛ أي اثبتوا على هذا الدعاء.. وهذا معنى آخر للكلمة..

ونقول: فلان لعيب – بتشديد العين. والفصيح: لعاب بتشديد العين.. ونقول رجل تلعابة: أي بالعامية (ملعب) بضم الميم؛ أي كثير الهزار والمرح ولكن كلمة لعِّيب التي نطلقها على البارعين في كرة القدم خطأ لغوي ولكن أكثر انتشارًا من الكلمة الفصيحة.

وكلمة (فشوش).. معناها اللبن الذي ينزل من ثدي الحيوان.. ويكون ضعيفًا؛ ولذلك يتناثر هنا وهناك.. وتقول فلان مفنجل – أي مفتوح العينين. والمعنى صحيح لولا أن العرب كانوا يقولون عن الذي يمشي متباعد الساقين بأن مشيته فيها فنجلة..

وألوف الكلمات الفصيحة اتخذت دلالات حديثة.. ولا يتسع لها هذا المكان وإذا اتسع فسوف تضيق به صدور القراء!

لا خطـــورة
لصــــدام..

لست أنت في حاجة لأن تحلف على المصحف أو على أي كتاب مقدس آخر إنك غير قادر على الفهم. وأن الذي تفهمه لا يقنعك أو أن الذي يقنعك لا يقنع غيرك. فلا أنت فاهم ولا أنت مقتنع ولا هو ولا هي ولا كلنا! ولكي أكون واضحًا فليكن كلامنا عن موقف أمريكا من العراق.

هي قررت ضرب العراق. حاولت أن يكون لها حلفاء. تخلى عنها الحلفاء: الإنجليز والألمان والوحدة الأوروبية وكل دول الشرق الأوسط. وهناك نوع من (الردح) السياسي بين بريطانيا وأمريكا. نائب الرئيس الأمريكي تشيني يهمز ويلمز ويغمز في الإنجليز. ويقول:

إنهم مندهشون من قرارنا بتوجيه ضربة ساحقة ماحقة لصدام حسين. وقد نسي الإنجليز أن الزعيم تشرشل طلب توجيه ضربة مماثلة لهتلر.ولو ضربنا هتلر كما رأت بريطانيا ما اشتعلت الحرب العالمية الثانية ولا فقدنا حياة خمسين مليونًا!

والإنجليز عندهم كلام: وهو أن صدام ليس مثل هتلر الذي كان خطرًا كبيرًا على أوروبا بقوته العسكرية وعلمائه. فهتلر داس بالجزمة معاهدة فرساي وأنشأ سلاحًا للطيران. وزادت قواته العسكرية على مائة ألف التي حددتها المعاهدة، ثم إنه دخل بجيوشه وانتشر في

حوض الراين المنزوع السلاح. واتجهت مدافعه إلى فرنسا وبلجيكا وتعداد سكان الدولتين أقل من سكان ألمانيا وحدها الذي كان يبلغ في ذلك الوقت 66 مليونًا.

يعني إيه؟ إنه من رأي الإنجليز أنه لا يوجد وجه للشبه بين هتلر وصدام، ولا يوجد دليل قوي على خطورة صدام حسين على الشرق الأوسط.. ثم إن هناك وسائل أخرى للقضاء عليه - هذا إذا لم ترد أمريكا حربًا معقدة النتائج مضمونة الخسائر لها ولحلفائها!

إلا
الأطبـــاء..

من المؤكد أن د. عوض تاج الدين وزير الصحة كان حسن النية. فقد دعاني وألفًا من الأطباء إلى الإفطار. ولم يكن الطعام فيما يبدو صحيًا. فكميات اللحم والكباب وطواجن صغيرة لا أعرف ما فيها. لأنني لم أمد يدي فكلها لحوم أو مشتقاتها. وكالعادة لم أجد لي طعامًا. فلم يدخل في حساب النادي الكبير الضخم الفخم أن أحدًا نباتيًا لا يأكل اللحوم.. ولذلك كان لابد أن أنتظر بعض الوقت. وانتظرت وجاء ما (يكسر الصوم) على أن أفطر في بيتنا. فليكن..

وجاءت مطربة شابة اسمها ريم كمال، وظهرت وغنت لأم كلثوم. واجتهدت.. وصوتها قوي.. واستمع لها بعض الحاضرين. أما الأطباء فلم يظهر على وجوههم أي معنى: لا ضيق ولا استحسان.. ولا قرف. فقد اعتادوا من يقول: آه يا بطني.. آه يا قلبي.. وليس: آه يا ليل.

صحيح قد اتجهوا إليها.. وكأنهم ينتظرون أن تسقط البنت على الأرض. ولن يتحركوا طبعًا قبل أن يجيء البوليس. والبنت لا تزال تغني. ولكن أحدًا لا يشعر بها. ولم يقصد د. تاج الدين (وأد) هذه المطربة في متحف الشمع!

طبعًا لم يعتذر لها وزير الصحة. وإنما تطوعت بالاعتذار لها وقلت لها: إن الأطباء ليسوا قرفانين منك، ولا من طعام الإفطار.. ولكنها

طبيعة فيهم. ففي وجوه الأطباء درجات متفاوتة من التعالي واللامبالاة والقرف! وهم معذورون فهم لا يرون من الدنيا إلا أسوأ وأوجع ما فيها

.. وليس في استطاعة مطربة ناشئة أن تخرجهم عن طبيعتهم. ولكن إذا كان لابد من نصيحة فهي ألا تغني للأطباء فليس هذا هو الجمهور الذي يفتح النفس على الغناء، ويفتح الشهية على الطرب.

صحيح قد كان هناك من يصفق في النهاية: إنهم الإداريون في مكتب الوزير.. والزميلان الكبيران رجب البنا وعصام رفعت!

دكـــان الطبيعـــة

هناك أطباء كثيرون يرون أن العقاقير لا ضرورة لها. لأن الجسم لا يستفيد من الكيماويات. وأن الفائدة كلها في دكان الطبيعة، الخضراوات والفاكهة والأوكسجين والبروتينات في اللحوم والبقول مع النوم الهادئ والهضم السليم.

يعني كل ما في الزجاجات والعلب من العقاقير: بكش في بكش. هذا رأي. ولكن السؤال: كيف نعرف أن طعامنا اليومي ناقص الفيتامينات والمعادن الضرورية؟ كيف لي أن أعرف. الجواب: لابد من التحليل من حين إلى حين لكي أعرف الناقص في جسمي فأعوضه باللبن والزبادي والخضراوات والأوكسجين والنوم وطرد الهموم والرياضة المنتظمة.

يعني: دواؤك في يدك. يعني: أنت طبيب نفسك.

ولكن لكي أكون طبيب نفسي يجب أن أكون طبيبًا. أن نكون جميعًا أطباء من هذا الطراز!

رأي آخر يقول: الاحتياط واجب. والاحتياط هو أن تأخذ الفيتامينات بالتقريب. والجسم هو الذي يقبل ما يحتاجه ويرفض ما زاد على حاجته.. ولا خوف على الجسم من المقويات الزائدة. ففي الجسم عقول مدبرة حكيمة تختار لك وأنت نائم كل احتياجاتها.

ورأي ثالث يقول لك: شوية جرجير وبصلة وفص ثوم وحبة طماطم ورغيف وشوية ملح هي غذاء كامل. وبعد ذلك لست في حاجة إلى أي دواء ولا أية روشتة – طبعًا لم تدخل في هذه الوصفة حالتك النفسية والاجتماعية والعائلية والسياسية والاقتصادية وقدرتك المالية.

والصبر مفتاح الفرج. ومن رضي بقليله عاش..

والحل: إذا وجدت وقتًا فلاحظ ما طرأ عليك بعد أن تجرب كل هذه الوصفات.. فالدواء من عندنا والشفاء من عند الله!

وكانت قواته تتناقص حتى بلغت مائة ألف، أي نصف قوات مونتجمري.

والمؤرخون المنصفون الإنجليز يرون أن مونتجمري ليس هو الذي انتصر في هذه المعركة، وإنما هو قد سرق النصر من اثنين من القادة هما (شيك) و (أوخنلك) اللذان اخترقا الخطوط الألمانية بعنف وكانت هذه بداية النهاية، فلما جاء مونتجمري كانت المعركة قد تحولت إلى الحلفاء بسبب ما يعانيه الألمان من نقص الإمدادات والوقود والجنود وغياب روميل، وقد ترك روميل وراءه مساعده الجنرال اشتومه الذي قتل في الساعات الأولى من هجوم الحلفاء...

وقد قفز روميل من سريره إلى العلمين ليركب جنوده السيارات البريطانية والدبابات التي استولوا عليها مستخدمين الوقود البريطاني

الذي وقع في أيديهم... واستطاع روميل أن يقوم بأعظم انسحاب في التاريخ.

ولكن الكنائس في بريطانيا أخذت تدق أجراسها معلنة النصر على هتلر والابتهالات ألا تقع حرب ثالثة... واستجاب الله لدعاء الملايين فلم تشتعل حرب في أوروبا، ولكن سوف تندلع في آسيا وفي العراق، وفي فلسطين. وفي العلمين (7239 صليبًا) شاهدًا على قبور ضحايا المعارك الدامية على أرضنا، ومن تحتها ملايين الألغام تحتاج إلى مائة سنة لإزالتها، لقد انتهت الحرب: دخانها ونارها وهديرها، ولكن آثارها لا تزال مشتعلة في قلوب وعقول الملايين، فالحرب لن تخمد أبدًا ما دام الظلم سيد الكون!

لا أحـــد
يطيـــق أحـــدًا

طبيعي أن يزداد استهلاك العالم كله من المنومات والمهدئات والمخدرات، وترتفع نسبة الطلاق. فلم يعد أحد يطيق أحدًا.. لا الآباء والأمهات والأبناء ولا الأصدقاء.. لذلك حالنا يشبه حيوان القنفذ الذي ارتدى جلده بالمقلوب.. فالملابس كالنوم، والكلام: شائك.. وأكثر الكلمات شعبية هي: آسف.. حقك علي.. وأندرها على ألسنة الناس: شكرًا.

يحدث كثيـرًا أن يتحدث الناس في هدوء ويضحكون.. وفجأة ينفعل واحد وينقلب بركانًا زلزالًا.. شيء عجيب.. ماذا حدث.. ليس في الكلام ما يبرر هذه الغضبة.. صحيح.. ولكن الأسباب هناك.. تحت الجلد.. فهناك مخزون من التوتر أتيحت له فرصة أن ينفلت.. فانفجر.. تمامًا كالزلازل والبراكين.. إنها نار وشرار تحت الأرض تضغط طوال الوقت لعلها تزحزح حجرًا عن مكانه فإذا تزحزح انطلقت تحاول الخروج فتعترضها أحجار أخرى فتكون الهزة الأرضية.. في بلاد أخرى تطاوعها الأحجار فتخرج النار بألسنتها وحممها تدمر وتهلك حتى تفش غليلها.. وتسكن.. لتعاود الخروج مرة أخرى.. فقد عرفت طريقها إلى فوق.. بعد عام.. بعد قرن..

لذلك فالمثل الذي يقول: اتق شر الحليم.. فليس شريرًا لأنه حليم.. ولكنه لأنه حليم فهو يكظم غيظه ويكتم غضبه ويداري على سخطه..

وفجأة يفلت الزمام ويتحول إلى بركان.. والبركان مفاجأة.. إذ كيف يكون حليمًا وينفجر هكذا.. الحقيقة هي لأنه حليم ولأنه يضغط على أعصابه وتوتره.. فلابد أن ينهار أمام سورته وثورته.. وهذا طبيعي.. وقد تنجح المهدئات والمنومات والمخدرات.. لكنها مثل مخدات من الحرير تحت الرأس.. هذه المخدات تريح الرأس لكنها لا تأتي بالنوم.. ويكون ذلك سببًا جديدًا للغضب والثورة على كل شيء آخر!

العواجيز فقط..

كنت في جزيرة بالي سنة 1959 عندما كنت ألف وأدور حول العالم فوق وتحت خط الاستواء مرورًا بالقطب الشمالي، وجزيرة بالي هي الجزيرة (البوذية) الوحيدة في كل الألفي جزيرة في إندونيسيا، ولكن بها جالية حضرمية، هم أحفاد الحضارمة الذين نقلوا الإسلام والحضارة الإسلامية إلى كل آسيا، وقد رأى سفيرنا في ذلك الوقت أن يقدمني للإخوة الحضارمة، فأعطاني خطابًا يقول فيه إنني من علماء الأزهر، ولا يقول إنني كاتب أو صحفي، فقد أراد أن ألقى احترامًا خاصًا في جزيرة المتناقضات اليومية، هكذا.

وفي الطريق إلى الفندق كنت وغيري ننظر من وراء النافذة إلى الشارع وكأننا لا نقصد ذلك تمامًا، فقد اشتهرت جزيرة بالي بأن النساء عاريات الصدور، إما بسبب حرارة الجو، وإما لأنها عادة بوذية، فالنصف العلوي عند المرأة ليس عورة، ولكن كانت خيبتنا قوية، فقد وجدنا العواجيز من النساء عاريات الصدر، وفتحنا النوافذ نبحث عن الذي جئنا من أجله، واكتشفنا أننا تأخرنا سنوات، فقد ألغيت هذه العادة السياحية!

وجاءني في اليوم التالي الإخوة الحضارمة وطلبوا مني أن ألقي خطبة الجمعة وأصلي بالناس، فقد كنا نفعل ذلك ونحن طلبة عندما

نتلقى أمرًا من المرشد العام حسن البنا بالذهاب إلى المساجد القريبة من إمبابة، وكانت مفاجأة لي، ولكنها ليست صعبة، ففي استطاعة من يعرف عددًا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أن يؤلف بينها في خطبة معقولة!

وفي الليل حضرت زفافًا لعروسين من الجزيرة، وقالوا: اقعد هنا، فقعدت، قالوا: ضع قدميك في الطشت المملوء بماء البركة، ففعلت. وقالوا: تناول هذه الموزة، ونمت. وأفقت على أن المدعوين جميعًا قد انصرفوا، وعدت إلى الفندق حافيًا، وكانت أيامًا جميلة وبلادًا فطرية حلوة، ولكن كل جنة ولها إبليس، وقد امتلأت هذه الجنة بالأبالسة من أشرار المتطرفين.!

إنهم مختلفون

لا أعرف أسماء المطربين الشبان الذين استمعت إليهم، ربما عشرون، من مصر، من البلاد العربية، أكثر هذه الأغاني خفيفة على الأذن مرحة، كحياة الشبان، وليس من الضروري أن نسأل عن (عقلانية) الأغاني، فأنت إذا جلست إلى الشبان فليس كل الذي تسمعه عقلانيًا أو منطقيًا، إنها حياة مختلفة، وحوارهم قصير، وعباراتهم غير مفيدة وغير متوافرة الشروط التي تجعلها كذلك، ولكنهم هكذا يتفاهمون، وأحيانًا وجدتهم كالطيور، لهم أصوات، أو كلمات لها رنين، ولكن غير مألوفة ولكن لها دلالة عندهم، هي أسلوبهم في التعبير.. غلط؟ صح؟ لا غلط ولا صح.فأنت لا تقول للعصافير: تكلمي عربي.. إنها تطلق أصواتًا عالية النبرة أو منخفضة الطبقة، وتتفاهم بالصوت أو بحركة الرأس أو الجناحين، فهذه كلها لغات تعيش بها وتحب وتتوالد، وليست عربية، ولا فرنسية، ولا إنجليزية، إنها لغة وقد ذهبت إلى أواسط إفريقيا في الكونجو، وفي غينيا، وأوغندا، ودخلت في غياهب الغابات والناس حولنا ينظرون ويشيرون ولا يقولون، وإذا قالوا فأصوات كأنها بلا حروف ولكنها لغة.

وكذلك موسيقى الشباب حلوة حية مثلهم، وفيها عبارات جميلة، وفيها أمل وليس فيها حزن. وليست مأتمًا على الذي كان، لأن هؤلاء

الشبان ليس لهم ماض يبكون عليه، وإنما هم فرحون بحاضرهم، والحاضر سريع، والمواقف أسرع، فلا وقت للبكاء، ولكن الغناء والرقص: وخليك روش إلخ!

أما أغانينا القديمة الشجية التي تطربنا وتهزنا وتبكينا على اللي راح واللي فات، فهي موجودة في مكان رفيع من نفوسنا ومن ماضينا، ولك أن تختار! وأنت في كل حالاتك النفسية لا تختار إلا ما يرضيك ويصالحك على نفسك وزمانك!

رجب البنا..

كنت ضمن وفد المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب سنة 1959 المسافر إلى الصين برياسة د.أحمد نجيب هاشم ولكنهم سافروا إلا أنا. فقد كتبت مقالًا تعليقًا على كتاب عن الصين للكاتب الكبير محمد عودة. وجعلت عنوان المقال: (العن أباك تصبح زعيمًا في الصين) ..فقد جاء في الكتاب أن ماوتسي تونج شتم أباه أو ضربه وترك له البيت والبلد ولم يعد إلا زعيمًا للصين. وقد سافرت عدة مرات إلى بكين مع الرئيسين السادات ومبارك، ولم أجد فيما رأيت أو سمعت ما يؤهلني إلى أن يكون لي رأي في بلاد الصين العظيمة الماضي والمستقبل.

حتي جاء الكاتب الكبير رجب البنا وأصدر كتابه (رحلة إلى الصين) في 230 صفحة عن (دار المعارف) .هو رأى وناقش وتعاطف وكانت عينه وقلبه على مصر. فالصين أقرب إلينا من أمريكا، والذي جربته الصين يسهل تجربته في مصر. ولكي يتحقق لنا ذلك فلسنا في حاجة إلى معجزة وإنما بالعلم والانضباط. قالوا له: إنك تحتاج إلى عشر سنوات لزراعة غابة كبيرة ومائة سنة لبناء إنسان. وفي الصين صنعوا الغابات وألف مليون نسمة في وقت واحد. وقالوا له: إننا نهتم بالبحوث الأساسية والنظرية ولكن نركز اهتمامنا على البحوث التطبيقية لتطوير الصناعة والزراعة.. والصين وجدت حلًا

لعدم تزايد السكان. فالأسرة لا يزيد أطفالها عن واحد وزوجة واحدة لتصبح قادرة على إطعامه وتربيته. فلكل طفل ستة يهتمون به الأب والأم والجد والجدة والأقـارب حتى أصبح الطفل في الصين إمبراطورًا..

ومما رأى الأستاذ رجب البنا وعايش وانبهر كتب لنا هذه الرحلة الممتعة والمفيدة أيضًا.. وعاد ومعه قصيدة جميلة في وصف النيل. القصيدة من نظم نائب وزير خارجية الصين تقول:

تتدلى السماء حتى تلامسه.. وتنساب أمواجه الخضراء الجريئة.. عبر سبعة آلاف سنة وتطفو وتسقط.. فأين النهاية؟ والحياة تتجدد فأين النهاية؟ لا تعليق أيها النيل العظيم فأنت كالزمن لن تنال منك السنين. وأنت كالزمن لا تشيب.. وعلى ضفافك يتحرك الناس بحرية وتعيش العقول في راحة قرونًا بعد قرون!

إننا نريد يا سيدي أن نتحرك لا في راحة بل في قلق على بلدنا حاضره ومستقبله.. نريد أن نلحق بالصين.. آمين..

هنـــاك
أجمـــل وأروع..

لا نحن قــادرون على تفتيش جيوب من يسافرون إلـى مصر ولا الذين يسافرون خارجها، بحثًا عن المخدرات أو الآثار الفرعونية. ولذلك سوف يظهر تمثال أو لوحة فرعونية في أماكن مختلفة من العالم. والله هذا أفضل. فنحن نشعر بالفخر ونرى المتاحف الأوروبية والأمريكية والحفاوة العظيمة بأجدادنا.. وهذه الأبهة هي التي تغري السياح بأن يجيئوا إلى مصر.. بل إنها تغرينا نحن أن نرى المتاحف الأوروبية كأننا ننشد لآثارنا العدل من اللامبالاة التي تلقاها في مصر ـ وهو عقوق لا تستحقه!

وتمنيت وأنا أقرأ عن بيع تمثال رمسيس الثاني في كبرى قاعات المزادات، ألا يعود إلى مصر.. فبقاؤه هناك أجمل وأروع. فمن مائة سنة تلقت إحدى المدارس الإنجليزية تمثال رمسيس الثاني أحد ملوك الأسرة 18 وهو فرعون موسى – أي الفرعون الذي طارد اليهود الخارجين من مصر وراء موسى عليه السلام للضياع في سيناء أربعين عاما سنة 1250 ق.م

وحاولت السفارة المصرية أن توقف البيع قبل وبعد أن تم. فالمدرسة كانت في حاجة إلى مبلغ من المال لإنشاء مكتبة جديدة. والمدرسة من أشهر المدارس الإنجليزية ومن أرفعها وبها 700 تلميذ

يدفعون 17 ألف جنيه سنويًا. ولذلك عرضت التمثال وتحفًا أخرى لحاجتها إلى مليون جنيه وإلا أغلقت أبوابها. وهذه المدرسة وغيرها من الهيئات التي تملك متاحف أثرية كانت حريصة على أن تظل التماثيل عالية الإقامة رفيعة المقام. وقد اشترطت عند بيعها إلا تكون في حوزة أفراد مهما تكن ثرواتهم. وإنما في حوزة هيئات محترمة ليظل التمثال محترمًا. وكذلك يفعلون في أوروبا وأمريكا.

والأمثلة على ذلك كثيرة، وأكتفي بمثل واحد في أكبر ميادين مدريد. فقد منحهم الرئيس عبد الناصر معبدًا متواضعًا جدًّا. أضاءوه وأضاءوا الطريق إليه. ووضعوه في أعظم ميادينهم، لا لأن المعبد يستحق كل هذا الاهتمام، ولكن لأن اهتمامهم بالتاريخ واحترامهم له عظيم جدًّا.. أما نحن فكثيرون من أبناء الجيزة يظهرون على الشاشة يضحكون بلا خجل عندما يقولون إنهم لم يشاهدوا الهرم حتى الآن؟!

صعب
جدًّا..

من الصعب جدًّا أن يضع أي واحد نقطة في نهاية سطر حياته. ويقول: الآن قررت أن أتوقف عن الكلام. فقد قلت كل ما عندي! فمن الصعب أن يفعل ذلك ياسر عرفات.. أو يحاول أحد أن يقنعه بأن دوره انتهى. وأنه تجاوز عمره الافتراضي. فقد عاش شخصًا وجاء دوره ليكون رمزًا. حتى لا يكون وجوده عبئًا على القضية الفلسطينية!

وأذكر أنني عندما لاحظت أن صوت سيدة الغناء العربي أم كلثوم بدأ يضعف ـ وهذا طبيعي جدًّا ـ قلت لها: تعرفي يا ست لو الأستاذ العقاد أو طه حسين أو الحكيم توقفوا عن الكتابة الآن، فالذي كتبوه قبل ذلك يضمن لهم العظمة والبقاء. كفاية جدًّا ما قالوا من كلام جميل وفكر بديع.. ولم تفهم أم كلثوم أنني أريد أن أقول لها: لو أنت توقفت عن الغناء فالذي أسعدنا من أغانيك يكفيك.. ويكفينا..

حاولت أن أقترب من هذا المعنى فقلت لها: بعض ما كتب هؤلاء العظماء في السنوات الأخيرة ليس في أبهة ما كتبوه قبل ذلك... إنها الشيخوخة في العقل والجسم.. ولم تفهم أم كلثوم أنني أقترب منها أو أحاول أن ألفت نظرها إلى ما لا تحب، وقالت: أبدًا أنا لا أتفق معك.. بل يجب أن يكتب الواحد حتى يسقط القلم من يده.. إنهم مثل الجنود في الميدان.. مقاتلون لآخر قطرة دم وآخر نفس.. هكذا البطولة!حاولت

ذلك مرة أخرى مع المطربة الرائعة الصوت والأداء فايزة أحمد.. وكانت قد مرضت.. وهي على يقين من مرضها. وطلبت منها أن تحرص على صورتها عند الناس.. فلا تكون لها أغنيات هابطة الصوت والأداء.. مؤكدًا لها أن صوتها لا يزال جميلًا وأنها وأنه!

ولذلك فياسر عرفات قد جعل الموقف صعبًا على كل الذين يريدون أن يقولوا له إنه عقبة.. أي بعد هذا الكفاح الطويل أصبح هو الذي يعوق الوصول إلى ثمار الكفاح: الدولة المستقلة والسلام!صعب جدًّا على الرئيس مبارك أن يساعد في الوصول إلى حل دون أن يغضب بوش وعرفات.. وعرفات ليس إلا ثمرة نضجت على شجرة الحرية.. وبعد النضج يجيء السقوط.. ومن تلقاء نفسه!

مسائـــــل شخصيـــة

من فكاهات الديمقراطية ما تقرؤه في الصحف البريطانية عن رئيس الوزراء توني بلير وزوجته المحامية شيري بلير، وعن أولاده أيضًا.

فحكومة العمال دعت الشعب الإنجليزي إلى ضرورة التطعيم للوقاية من الجدري، والدعوة ليلًا ونهارًا. وأقبل الناس على ذلك. وفجأة كشفت الصحف البريطانية عن أن رئيس الوزراء يرفض تطعيم ابنه الصغير. سألوه: لماذا ؟

لم يرد.. عادوا فسألوه: فكان رده أن هذه خصوصيات ابنه، وليس من حق أحد أن يخترق أو يعرف خصوصياته.

أي أن هناك أسبابًا خاصة لا يصح أن يفصح عنها. وقالوا: اشمعنى؟!

وظهرت زوجته وقد وضعت قرطًا فضيًّا في أذنيها، وحاولت أن تغطيه بشعرها. ثم كشفتها الكاميرا. وسألوا فكان الجواب.. إنه خاص بالتخسيس. وسألوا: كيف لواحدة مثقفة على هذا القدر العظيم من العلم والكفاءة وزوجة رئيس الوزراء أن تؤمن بهذه الخرافات الصينية! ولم ترد. وظل القرط في أذنيها!

وهاجمت الصحف توني بلير واتهمته بالنفاق والكذب والخداع. لماذا ؟

لأنه استأجر عددًا من المدرسين ليدرسوا لابنه الأكبر. أي أنه يشجع على الدروس الخصوصية. ومعنى ذلك أن التعليم في بريطانيا ناقص، ورئيس الوزراء يكمله بفلوسه حيث يتقاضى هو وزوجته 300 ألف جنيه استرليني سنويًا!

وكان لابد أن يرد توني بلير. ورد وقال: أنا حر أعلم أولادي بالطريقة التي تعجبني والتي أقدر عليها!أما أقوال الصحف البريطانية بأن توني بلير هو كلب الرئيس بوش المستأنس والمدلل، فهو لا يرد عليها.. لا دفاعًا عن نفسه ولا عن الرئيس ولا عن الكلاب..

أما القول إن ميزانية مخصصات رئيس الوزراء ومرتبات معاونيه أكبر من ميزانية الملكة - ومعه حق – فلأنه يعمل ليلًا ونهارًا، ورجاله ومعاونوه كذلك!

مــــاذا
يقــــرأون..

ماذا يقرأون في الصيف – أقصد الآخرين في الغرب!طلعت قوائم الكتب الأكثر انتشارًا في بريطانيا وفرنسا وألمانيا، وأدهشني ما وجدت. فهم في بريطانيا لا يزالون يقرأون جديدًا عن زعيمهم تشرشل. وفي فرنسا عن نابليون وماري أنطوانيت زوجة لويس السادس عشر. وفي ألمانيا عن هتلر، وعلى الرغم من أن مئات من الكتب قد صدرت في كل اللغات عن هذه الشخصيات التاريخية، فإنهم يقبلون عليها.. يقبلون على الجديد الذي يلتهمونه، لم ينشر قبل ذلك، أي أن المؤرخين لم يتوقفوا في البحث عن خفايا حياتهم. والناس شهيتها مفتوحة. لأن هناك جديدًا، ولأن هذا الجديد جاء في أسلوب ممتع!ومعنى ذلك أيضًا أن المؤرخين يمشون على قاعدة: إنه عظيم ولكن.. إنه شرير ولكن أو أنها مسرفة سفيهة ولكن.. وهذه ولكن هي الجديد الذي قد عثروا عليه. ويتوقعه الناس. ثم إن هذه الشخصيات من التنوع والتلون والتعقيد، ولذلك فهي في حاجة إلى من يكشف أسرارها ويكشفها أو يغطيها في إطارات فنية.

ونحن نلاحظ ذلك في الكتابة عن الفراعنة. إن الفرنسيين قد انفردوا بفك طلاسم مصر الفرعونية ـ فك طلاسم الكتابة والتاريخ أيضًا وأمامك مكتبات فرنسا التي لا تخلو كل عام من كتب جديدة عن مصر الفرعونية وكيف وأين يجدون كل هذه الأسرار دون خوف

من بوار هذه الكتب الكثيرة – إن الفرنسيين عشاق لمصر الفرعونية لأنهم هم الذين علمونا كيف نقرأ وكيف نحب وكيف نعتز بها.. وزيـارة واحـدة لمتحف اللوفر وبعدها تجد أن هامتك قد طالت وارتفعت ـ فالفراعنة يلقون عظيم الاحترام منْ مؤرخيهم ومؤلفيهم وفنانيهم..فماذا نقرأ نحن في الصيف؟ لم يعد هذا السؤال ذا موضوع، فالكتب كثيرة ورخيصة وفي كل مكان ومضى ذلك الزمان الذي كنا نركب الحمير ونشد الرحال أملًا في الحصول على كتاب عند صديق.. أما اليوم فلا حمير ولا سفر. وإنما عند أطراف أصابعك كل جديد في التاريخ والأدب والفن – فالكتب للجميع.. والقراءة يجب أن تكون ممتعة للجميع – وهي كذلك. وما دامت القراءة عادة ممتعة فوقتك ليس ضائعًا ثم إنك الحافز الأكبر لكي يؤلف المبدعون هنا. هناك!

أسامـــة
عبـــاس

الفنان القدير أسامة عباس إنسان طيب فاضل مستنير، وقد ظهرت براعته في أدوار كثيرة، ولابد أنه إنسان متواضع فهو قد ظهر في أدوار قصيرة وطويلة.. وفي هذه الأدوار كان يؤكد اقتداره على البراعة الفنية.أما تمثيله لشخصية إسماعيل المفتش في مسلسل (بوابة الحلواني) قد بلغ قمة الأداء السهل والإقناع وجعلنا نضيق ونتعجل اختفاءه.. وأسامة عباس مهيأ لذلك تمامًا، فملامحه محيرة أيضًا: عيناه ضاحكتان وشفتاه صارمتان وصوته ساخر.. وإذا نظرت إلى عينيه يخيل إليك أنه معك يتفرج على إسماعيل المفتش!

وشخصية إسماعيل باشا صديق معقدة، فهو الرجل الأول في عصر الخديو إسماعيل حارس كنوز الخديو ومبددها، يذل من يشاء ويعز من يشاء.. ويقترض من الدول الأوروبية بجنون، وينفق بسفه، ولما تجاوز هو ومولاه حدود احتمال الدول الغربية أمسكوا عنه أيديهم. ودفعه الندم إلى بوس القدم.. والبحث عن ضحية، وكان إسماعيل صديق هو الضحية، مع أنه أخوه في الرضاعة... أو لأنه أخوه.. فأول جريمة في التاريخ ارتكبها أخ ضد أخيه!ولا أحد يعرف نهاية إسماعيل المفتش، هل قتلوه في القاهرة أو في الخرطوم... هل

انتحر بـأن وضع في حلقه زجاجتي شمبانيا، كما فعل الخديو إسماعيل.. أو كما يقال إن الملك فاروق فعل ذلك. مع أن فاروق لم يذق الخمر ليس تدينًا، ولكن لأنه لا يحب رائحتها، هكذا قالت لي الملكة فريدة وابنه الأمير أحمد فؤاد الذي لا يشرب أيضًا.

وقد استحق أسامة عباس جائزة على هذا الدور، وكان يستحق جوائز أخرى، ولكن المهم أن جاءت الجائزة والتكريم.وإذا كان إسماعيل المفتش قد اختفى في ظروف غامضة، فقد أعاده أسامة عباس، وكافأه إسماعيل المفتش على ذلك بـأن رفعه درجة من الامتياز والبلاغة الفنية!

الإنســـان الأول..

بعثة من عشر دول وأربعين من علماء الإنسانيات والآثار برياسة العالم الفرنسي ميشيل برويه الأستاذ بجامعة بواتييه يعملون في تشاد منذ سنة 1994.

والهدف: البحث عن الإنسان الأول الذي عاش ومات من سبعة ملايين سنة. كيف كان.. وراح العلماء يجمعون الحفريات، عشرون ألفًا هي بقايا قرود وأسماك وزواحف وحيتان.. وفيلة. ولا يزالون يخربشون في الحجارة، ويتعمقون في الرمال الملتهبة شمال العاصمة أنجمينا. وأخيرًا كانت المفاجأة الكبرى: وجدوا جمجمة سليمة الفكين لأول مرة في التاريخ. وهذه الجمجمة أكبر من رأس الشمبانزي وأصغر من رأس الإنسان.. وتأكد العلماء من أن صاحب هذه الجمجمة كان يمشي مستقيم الظهر تمامًا كالإنسان.وإيه يعني؟

المعنى هو أن هناك كائنات لا هي قرد ولا هي إنسان قد ظهرت في ذلك الوقت. تشبه الشمبانزي، وتشبه الإنسان. أطلق عليها العلماء اسم (إنسان الساحل) أو (إنسان تشاد) .

وهذه قضية قديمة أثارها ما كتبه العالم الإنجليزي داروين. ورغم أنه لم يقل إن الإنسان أصله قرد، فإنه لاحظ وجود شبه. وبدأ يتساءل فقط. ولا يزال العلماء يحاولون إن يجدوا دليلًا ملموسًا على

أن القرد تحول إلى إنسان؛ أي أنهم يبحثون عن مرحلة التحول هذه.. وإن كان العلماء يؤكدون أن القرد هو الذي تحول إلى أنواع أخرى متشابهة في ملامح الرأس والفكين والعمود الفقري.. مع إنسان هولندا أو إنسان إثيوبيا.. وحتى إنسان تشاد..،

ولكن لا يوجد حتى الآن أي دليل علمي على أن الإنسان أصله قرد.. وإنما هناك تشابه كما يوجد تشابه بين حيوانات كثيرة.. فليس القرد مرحلة من مراحل نمو الإنسان، ولا الإنسان آخر مراحل القرود!

وتأجلت القضية

المغاربة يسمونها جزيرة (للا) والإسبان يسمونها جزيرة (البقدونس).

والجزيرة في مساحة استاد القاهرة من الصخور الوعرة التي تعيش فيها السحالي والحشرات وينبت عليها البقدونس البري. وفيها كهوف يختبئ فيها المهربون والمهاجرون. وكان بها جنود إسبان انسحبوا عند استقلال المغرب سنة 1956.

ولما عاد الجنود المغاربة قال الإسبان: غزو مضحك. يذكرنا بغزو الأرجنتين لجزر فوكلاند البريطانية..وتصريحات من هنا وتهديدات من هناك في ليلة زفاف ملك المغرب.. وحومت الطائرات ودارت البوارج الإسبانية لتزداد العلاقات سوءًا منذ انسحاب السفير المغربي..

..وخوف البلدين من إثارة جروح قديمة منذ استيلاء إسبانيا على مدينتي سبتة ومليلة وسكانهما من المغاربة أو الإسبان من أصول مغربية. وبسرعة تشاورت إسبانيا مع رؤساء أوروبا والرئيس مبارك. وكانت دعوى إسبانيا أن العالم كله يرفض العدوان المغربي(؟!) والإرهاب والعنف!

وفي الوقت نفسه بدأت الصحف كالثيران الهائجة تحذر وتنذر.. ومما قالوه للشعب الإسباني: احذروا أن يتكرر ما حدث سنة 1921

عندما قامت القوات البربرية بزعامة عبدالكريم الخطابي بذبح 13 ألفًا من الإسبان. وكان ذلك أعظم انتصار إفريقي على أوروبا.. فما كان من إسبانيا إلا استخدام الغازات السامة تساعدها فرنسا في أبشع جريمة ضد الإنسانية!

فالجزيرة التي استولت عليها إسبانيا من ثلاثة قرون لا تساوي كل هذا الغضب أو التهديد بالحرب في عالم مزقه العنف. وإذا كانت الجيوش عاطلة لا تجد عملًا مجديًا، فلماذا لا تعمل في فلاحة الأرض ورصف الطرق وبناء المستشفيات.. ولذلك سوف تتأجل هذه القضية ثلاثة قرون أخرى!

ماذا تريد إسرائيل!

سؤال القرن الماضي وهذا القرن: ماذا تريد إسرائيل؟ وماذا يراد لفلسطين؟

الجواب: لا حل اليوم ولا غدًا، وإنما (هز) للموقف، وليس تحريكه، فالموقف معلق من سقف البيت الأبيض، وكل من هب ودب يدفع القضية المعلقة فتهتز يمينًا وشمالاً وبس!

وهذا الموقف، أو انعدام الموقف يضاعف القلق ويعمق اليأس ويرخص الحياة، ويطلق الناس على الناس.. الشعب الجائع على الشعب العاطل على الشعب البائس الذي اتخذ قرارًا وحيدًا هو أن يموت مع عدوه في مكان واحد ليدفنا في قبر واحد. ولا أحد يستطيع أن يمنع الشعب الفلسطيني من أن يقتل ويحرق إذا استطاع. لا عرفات ولا مائة غيره قادرون على كبح ثورة شعب أهين على أرضه، وفي عرضه، وفي دينه. ولابد لأمريكا وإسرائيل من اتهام أحد، وليس أمامها إلا عرفات، مع أن عرفات حبيس مثل كل الشعب، لا هو قادر على الدخول والخروج والكلام، ولا التوجيه، ولكن لابد من (توحيد) مصدر القلق لإسرائيل وأمريكا، فلم يجدوا إلا عرفات، ولذلك لا كلام معه، ولا سلام له، وسوف يستشهد شبان كثيرون دون توجيه من أحد، فقد هانت عليهم الحياة.

فلماذا لا تجرب أمريكا انسحاب قوات إسرائيل من كل الأرض الفلسطينية، وإطلاق يد عرفات في شعبه يقنعه بضبط النفس شهرًا، أو شهرين، وبعد ذلك يتفاوضون، وإذا لم تستقر فلسطين برغم حرية عرفات، فلتجرب أسلوبًا آخر. والسؤال الثاني: هل أحد لا يريد السلام الكامل؟

إذن فليكن السلام الممكن الذي تزداد رقعته بهدوء غدًا أو بعد غد، وكل شيء يبدأ في فلسطين وبمساعدتنا ومساندتنا ومساعينا، وإلا فليس هناك إلا سلام واحد أبدي: موت الجميع!

تاريـــخ
هـانوفـــــر

أسعدني أن تلقيت هذه الإضافة من الأستاذ صالح عبدون مدير الأوبرا الأسبق. قال: ففي سياق إحدى كلماتكم وما تزخر به (مواقفكم) من معلومات وطرائف نسعد بقراءتها كل صباح توقفنا أمام قولكم عن مدينة «هانوفر» في حاضرها المزدهر ومهرجاناتها للشعر والفن، إنها بلا خلفيات تذكر في تاريخها! وفي الحقيقة أن الموسيقار «هاندل» كان قد بدأ مسيرته منها كمدير للموسيقى في طريقه إلى أن يكون من الثلاثة الكبار في العصور الأولى لموسيقى الحضارة الأوروبية، مع مواطنه باخ والإيطالي سكارلاتي، وقد ولدوا جميعًا في نفس العام 1685.. ومنها انتقل إلى إنجلترا ليثري تاريخها الفني بموسيقاه الاحتفالية والدينية والأوبرالية، وليسجل له تاريخ الفن والموسيقى الكثير من المآثر. وقد حظيت بشيء منه مدينة هانوفر، وتوارثه مواطنوها الذين جاء منهم من يقيم المهرجانات والمناسبات التي أشرتم إليها.

وأضيف أنا إلى ذلك: الفيلسوف الإنجليزي بركلي قد ولد في نفس السنة وكذلك الأديب جون حابي مؤلف (أوبرا الفقراء).

وقد جاءني من د. ألفت نعمة الله شلايفر من هانوفر أن العالم المصري د. التطاوي قد ألقى محاضرة في هذه المدينة. ومن الغريب

أنه كان يطلب إلى المستشرقين أن يعيشوا وقتًا أطول في الشرق الأوسط ليفهموا العرب أكثر. فإذا كتبوا أنصفوا، وإذا درسوا تعمقوا. فلا يزال كثير من المستشرقين يخطف المعلومات خطفًا، أو يتعمد الإساءة إلى الحضارة الإسلامية العميقة.

وقد وعدتني د. ألفت أن تبعث لي بهذه الدراسة التي كتبها الباحث المصري د. التطاوي وقالت إن صديقًا ألمانيًا لأسرتها قد تزوج مصرية من طنطا وهي بلد د. التطاوي وإنها تحتفظ بخطاب من د. طه حسين وقد وعدهم فيه بالزيارة وإلقاء عدد من المحاضرات.

..أي إنها تقول إن في هانوفر أخبارًا وحكايات وشخصيات – بس تعال!

غلطات الرجل كثيرة

- موهبتك ترفعك إلى فوق.. وإرادتك تجعلك تبقى هناك!
- طفل سأل والده: متى أستطيع أن أفعل ما أريد عندما أريد؟ فأجابه: لم أسمع عن أحد استطاع ذلك!
- السياسي هو الذي يشعل النار في بيتك ويقنعك بأنه الوحيد الذي يمكنه إنقاذك!
- غلطات الرجل كثيرة.. أما المرأة فلها غلطتان: كل ما تقول وكل ما تعمل!
- مهما تكن للوجه تجاعيد، فإن القلب لا يراها!
- اهتمامك بالناس يجعلهم أصدقاء، اهتمامك بنفسك يجعلهم أعداء!
- إذا كنت لا تشغل بالك أين ذهبت زوجتك وكم أنفقت فأنت قد تقدمت في السن!
- الإنسان لا يشغل مكانين في وقت واحد.. ولكن قولي لي: كيف أنك هناك.. وأنت هنا في قلبي في الوقت نفسه؟!
- حماتك لها أحكام تستأنفها ابنتها ضدك دائمًا!
- كل واحد اختار الزوجة غير المناسبة، ولكن يظل طول عمره.. يحاول أن يجعلها مناسبة!
- أولادك كبروا فلم يعودوا يسألونك من أين جاءوا، ولا يحبون أن تسألهم أين كانوا؟!

- إذا قال لك أي واحد أنك مغفل فلا تسأله لماذا؟!
- في هذه الدنيا أنت أي واحد، ولكن بالنسبة لمن يحبك أنت الدنيا كلها في واحد!
- في الحياة الزوجية: يتوارى الحب ليظهر سوء الفهم!
- أعصابك هي الشيء الوحيد الذي تفقده كل يوم وتسترده عند خروجك من البيت!
- عندما يتكلم الرجل فالناس يسمعون له ثم لا ينظرون، وإذا تكلمت المرأة فإنهم ينظرون إليها ثم لا يسمعون!
- الحب: قلب بلا عقل.. والغيرة: عقل بلا قلب!

هــذا الرجــل
صـــادق

يمكنك أن تقرأ هذا الكتاب المهم على أنه مسلسل بوليسي. ففي كل صفحاته الدامية: ما الذي فعلته أجهزة الأمن بالإخوان المسلمين؟ الكتاب يجعلك تلهث وتلعن، ففي كل صفحة مأساة فاجعة وفجيعة ووجيعة. الكتاب من تأليف د. محمود جامع الإخواني القديم وعنوانه (..وعرفت الإخوان) في 230 صفحة عن (دار التوزيع والنشر الإسلامية).

ود. محمود جامع طبيب وكاتب ومؤرخ مجرب، ومنصف، وما كتبه عن الرئيس السادات يجعلك تثق في قلمه وتستريح إلى ضميره. فقد عايش وعاش وكتب وصدق. وفي كتابه هذا يحدثك عن البدايات الأولى لجماعة الإخوان المسلمين وحرب فلسطين وثورة يوليو وعبدالناصر والسادات. وكذلك عن الجماعات الإسلامية والنقابات المهنية في مصر.

ولأن د. جامع قد عرف الكثير والكثيرين، فقد ملأ كتابه بحكايات لا يصدقها العقل.

ولكن يجب أن نصدقها فمن الطبيعي أن تحدث في حينها. فقد كان الإخوان مصدر رعب.. وكانت أفكارها ودعواها ودعاواها عنيفة التنبيه والتنوير على المستوى المحلي والعربي والعالمي. فقد أقامت موائد الرحمن الفكرية في كل مكان: أفكارًا وتوجهات. وكان أعضاؤها شديدي الإيمان بما يقولون ويدعون إليه في كل مكان من الجهاد والإصلاح.. وكان من أبنائها علماء بارزون في الاقتصاد والطب

والصحافة والسياسة والفلك والذرة – فالدين يدعو إلى الإيمان. والعلم – أيضًا – يدعو إلى الإيمان.

ود. جامع قد وقع في غرام اثنين من رجال مصر: السادات وحسن البنا – وعلى اختلاف وخلاف بينهما فإن بين الرجلين صفات كثيرة مشتركة والهدف هو مصر وصلاح حال المسلمين.

يقول د. جامع في مقدمة الكتاب: أتوجه إلى كل الناس خاصة شبابنا الحائر. وسأحاول أن أظهر الحقيقة الناصعة ولو كانت علقمًا. وليس لنبش الماضي وتصيد الأخطاء.. ولكن لمعرفة المحاولة والخطأ. ولابد من الخلاف والاختلاف. وصحابة رسول الله اختلفوا وتقاتلوا ولكن منهج الله ثابت لا يتبدل ولا يتغير.

وقد كان د. جامع عضوًا في الإخوان المسلمين وأرغم على تركها. وصحبه السادات صديقه إلى الاتحاد الاشتراكي. وحوكم سياسيًا في كل أنواع المحاكم عسكرية وجنايات وأمن دولة ودخل جميع أنواع سجون مصر منذ خمسين عامًا.

ويأسف د. محمود جامع ويأسف لهؤلاء الذين يسخرون من دعاة الإسلام الكبار: ابن تيمية، وأبو الأعلى المودودي، ومحمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، وحسن البنا، وسيد قطب، والشعراوي، والغزالي، وسيد سابق، وعبدالحليم محمود، وعبدالحميد كشك، ويوسف القرضاوي، وعمرو خالد وغيرهم، اللهم اجعله لسان صدق في العالمين ـ آمين.

زكـــي
مبـــارك

هذان كتابـان فــي كتـاب واحـد. الـ 29 صفحـة الأولـى بقلـم كريمة زكــي مبـارك، والثانـي من تأليـف الأديب الجزائري حـواش مصطفـى بن بكير عن (زكي مبارك – عروس الأدب العربي) في 155 صفحة.

أما إهداء الكتاب فقد جعله الأستاذ حواش: إلى كل غيور على لغة القرآن، إلى من يتذوق الأدب العربي بكل ما يحمله من معان سامية كغذاء للفكر والروح والوجدان.

.. إلى ذلك الأديب الذي هجر اللفظ البذيء والكلمة الجارحة، واتسم إنتاجه بسمة الأدب الإسلامي الراقي في أبهى صوره.. إلى ذلك المفكر الذي تشبع بـالأصالة العربية كأصالة دين وحضارة لا أصالة عرق.. أهدي: زكي مبارك عروس الأدب العربي.

وقد استطاع الأديب الجزائري أن يستمتع بما كتبه زكي مبارك الأزهري الثائر على الأزهر وعلى عصره من قوالب النقد والأدب وأصنام السياسة والسلطة في زمانه.

.. ورغم أن زكي مبارك أديب كبير وشاعر أيضًا ورغم اجتهاداته العديدة وإبداعاته ومعاركه مع كبار الأدباء في زمانه، فإنه لم ينل ما يستحقه من تقدير. وربما كان السبب أنه لم يكن يحسن العلاقات المعقدة ولا دار حول الأصنام ولا نافق الحكام.

وإنما كان في كل مناسبة يلقي قنبلة فيلتفت الناس إلى الفرقعة وينسون السبب. ولم يستوعبوا ما كان يريده زكي مبارك.

أما أسلوب زكي مبارك فسهل جميل. وأما لغته العربية فقوية رصينة. وأما حرصه على جمالها وجلالها ففي كل مؤلفاته. ولا يمكن أن يدرس أحد الأساليب الحديثة دون أن يحتشد لقراءته. وقد كانت مفاجأتي وخجلي عظيمين عندما قرأت كتابه عن (النثر الفني) .لقد كان اكتشافًا رائعًا في الأدب العربي القديم..

ساعات من الرعب

إذا بلغ الطفل الثامنة عشرة من عمره فيكون قد شاهد على شاشة التليفزيون 15 ألف جريمة وربع مليون فعل عنيف - هذه إحصائية أمريكية عن الذي يصبه التليفزيون في أعماق كل طفل. فكيف لا يكون لذلك أثر بليغ في لسانه ويديه وكيف لا تتلوث أخلاقه ومستقبل بلاده؟!

وفي بريطانيا تدل الأرقام على أن الطفل يشاهد يوميًا التليفزيون والإنترنت خمس ساعات على الأقل. وقد دلت الدراسات النفسية والجنائية في بريطانيا على أن العنف قد تضاعف، لأن المسلسلات التليفزيونية أصبحت مكثفة وأن هناك تنافسًا ملونًا شرسًا بين القنوات الأوروبية والأمريكية. وأن هذا التنافس من أجل الانفراد بالمستهلك الذي (يتسمر) أمام الشاشة فيبتلع الإعلانات المثيرة المشهية عن كل احتياجات الطفل والشاب والأسرة ثم تجيء نشرات الأخبار عن الموت والدمار في كل الدنيا، وقبلها وبعدها تظهر أفلام تسجيلية عن الحروب التاريخية. فلا يعرف المشاهد إن كانت الحروب تمثيلًا أو كانت التمثيليات حروبًا. فلا فرق بين القاتل هنا والذي كأنه قاتل هناك!

وقد أجريت تجربة بسيطة على طفل صغير جعلوه يرى رجلًا يحتضن تمثالًا من الخشب لامرأة جميلة. ثم أدخلوا الطفل إلى نفس

الغرفة وتركوه وحده فأمسك التمثال وراح يعانقه ويقبله - تمامًا كما فعل الرجل؟!

ثم جعلوا الطفل يرى هذا الرجل وقد أمسك ساطورًا وراح يحطم رأس التمثال.. ثم يقطع أصابعه. وبعد لحظات أدخلوا الطفل وتركوه وحده. فأمسك الساطور وراح هو الآخر يحطم التمثال وبعصبية. والمعنى واضح..

حتى الموسيقى والأغاني صارت عنيفة أيضًا. انظر كيف يرقصون... كيف يتشنجون ويحطمون ما في أيديهم. إنه العزف العنيف والغناء الصارخ والرقص الجنوني. وملايين الشباب في كل الدنيا ينشال ويتهبد على الإيقاعات العاوية الداوية الدامية.. والاسم: موسيقى وغناء وطرب.. إنه العنف الموسيقي.. إنها الحرب الغنائية والحرب الرياضية.. والقنابل البشرية والحفلات المفخخة..

وإذا لم تتدخل الدولة والمعاهد والمساجد والكنائس، فسوف نظل في حالة حرب أهلية.. أما مشعلو النيران فكل وسائل الإعلام!

1 – قلبـــي
علـى قلبـــي

في كتابها الأخير الذي عنوانه (قلبي على قلبي) بالفرنسية تقول دكتورة سينا روصنم: ليس ضعيفًا من يحب، بل هو أقوى الناس وأعظمهم وأقربهم إلى السماء... انظر إلى العاشق كيف يختصر المشاعر كلها في شعور واحد، كيف يعيد تكوين الكون وترتيب الأحداث وإيقاف الزمن...

وتقول د. سينا عن لقائها الأول مع المحبوب: نزل قلبي بسرعة في كفي، في أصابعي عندما مددت له يدي.. وبعد أن انسحبت يدي من يده انسحبت الحياة من جسمي وعندما ذهبت إلى فراشي لم أعرف ما الذي ارتمى على السرير.. إنني كتبت نسيمًا تمدد فوق السحاب... ولم أشعر بأنني أتقلب وإنما أرفرف... أهفهف.. ماذا جرى؟

لا شيء... هذا هو الحب... وأين هو؟ لا أعرف أين؟ ولا أعرف هو، ولا يهمني إن كان له أين أو متى أو كيف... المهم أنني هنا أزداد شفافية... إنني استطعت وحدي أن أحول الجسم إلى طاقة، وأن أحول الطاقة إلى نور ونار...

وفي مقطوعة موسيقية من البلاغة الفرنسية تقول: ودعته.. وودعني.. ودعت الدنيا.. غاب عني.. غبت أنا عن نفسي.. ليس حولي إلا الغياب.. كل ما كان لم يعد.. كل ما رأيت لم أعد أراه ولا أسمعه..

هل هذا انعدام؟ هل هو عدم... عدم لكل الدنيا لأنني احتويتها واحتويته أيضًا... وأصبحنا معًا دنيا غير الدنيا... فمن يقول إن العاشق ضعيف!

وعندما أهداها (دائرة المعارف الفرنسية) الجديدة، كتبت في مذكراتها: ما هذا الذي أهديتني يا حبيبي؟... إن هذا الكتاب الضخم ينقصه مجلد أكبر من كل المجلدات... وفيه كلمة واحدة أروع من كل الكلمات: أحبك... إنك لو قلبت هذا الكتاب من أوله لآخره ومن آخره لأوله فلن تجد هذه الكلمة، ولو وجدتها فلن يكون لها نفس الحجم والوزن والطول والعرض والعمق والأبهة والنعومة والرواء والبهاء.. ربما وجدتها على لسان هلويزة التي أحبت الراهب الفيلسوف أبيلار... أو على لسان بياتريشه التي أحبها الشاعر دانتي ولم تعرف معنى أن يخلع عليها مثل هذا الشرف.. ربما قالتها صوفيا التي أسعدت الشاعر نوفاليس...

وفي آخر سطر من كتابها الجميل الغريب في زمن لا يعرف الحب ولو عرفه لأنكره، فلا الحب له شكل الدولار ولا سعر اليورو... وإنما هو غريب في زمن غريب... تقول: أغلق كتابك وابحث لنا عن كلمة من حرفين... أو من حرف واحد تحتوي كل ما قلنا!

2 – هــذه الكلمــات

تسألني د. سينا روصنم عن معاني بعض الكلمات الدارجة أو التي تجيء على الألسنة ونقذف بها مثل قشر اللب. وكثير من المصطلحات الأخرى التي ابتدعها الشباب حتى صارت لغة الحوار عندهم غير مفهومة. ولكنها لغتهم.. وزمانهم. وهم أحرار في أن يخترعوا ما يفي باحتياجاتهم العاجلة في نحت الكلمات الغريبة. أما الكلمات فهي: كلمة (يدكن) ،ومعناها أن يضعها في الدكان أي يخفيها. وهي ليست من الكلمة الألمانية بيدكن يعني: يخفي..

وكلمة (بالينا) ومعناها الفرخة في الصعيد. وهي من الكلمة الإيطالية (جالينا) بمعنى دجاجة أيضًا. وكلمة (الشركبين) المستخدمة في شمال مصر وهي من الكلمة الإيطالية (إسكاربنا) بمعنى شبشب.. وكلمة (كرواسان) وهي كلمة فرنسية بمعنى هلال. وقد استخدمها أهل فيينا للانتقام من القوات العثمانية التي احتلت المدينة، فكانوا يصنعون الخبز على شكل الهلال في العلم العثماني ويضعونه في النار.. وكلمة (مافيا) ليست إيطالية. وقد حاول كثيرون أن يجعلوا لها معنى إيطاليًا والحقيقة أنه في القرن الثاني عشر كان العرب يقيمون في جزيرة صقلية التي انتشرت فيها العصابات وقطاع الطرق، فكان البوليس إذا هاجم بيتًا بحثًا عن اللصوص قالوا له: ما في.. أي

لا يوجد هنا أحد من اللصوص.. وتحولت كلمة (ما في أحد) إلى كلمة مافيا.. وكذلك كلمة (كانجارو) وهو اسم الحيوان الأسترالي المعروف الذي يخفي صغاره في جيب في بطنه. وأصل الكلمة أن البحارة الذين اكتشفوا قارة أستراليا عندما رأوا هذا الحيوان سألوا أهل الجزيرة من الزنوج عن هذا الحيوان فتساءل أهل الجزيرة: كانجارو.. أي ماذا تقولون؟ فظن البحارة أن هذا هو اسمه!

ثم كلمة (زمبا) وكذلك (زمبجي) ..وهما كلمتان تركيتان.. والزمبة معناها المسمار (وزمبة جي) أي الرجل الذي يدق المسامير ويستخرجها أيضًا. والمعنى أن فلانًا أعطاني زمبة أي دق لي مسمارًا وخلق لي مشكلة.. أما الكلمات الأخرى مثل: (مفيش) أي ما في شيء.. و(معلهش) أي ما عليه شيء.. وكلمة (يطنش) أو طناش بمعنى أنه السكوت أو عدم الكلام، وهي مأخوذة من اسم طناش وهو يوناني كان عضوًا في مجلس الأمة.. لا يصد ولا يرد!

أما البسملة والحوقلة والعنعنة – فهي كلمات عربية اختصار لبسم الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والعنعنة أي (عن) فلان (عن) علان أنه قال كذا وكذا!

كلهم ماتوا..

كأنني لا أرى روما اليوم، وإنما أستعيد روما القديمة. روما يوم كنت صغيرًا. ولكنها لا تزال صغيرة، عندما أذهب إلى إحدى المكتبات وأسأل: وأين روجيرو..

– أنت تعرفه... إنه جدي.. تعيش إنت؟!

وفي المطعم الصغير «المحندق» الذي في ميدان بربريني أسأل: أين جبرييلا؟

تعيش إنت.. أمي ماتت أولاً وبعدها خالتي.. ولكن جدتي تشرف علينا من حين إلى حين..

وأين فلانة وأين فلان.. كلهم ذهبوا.

وطلبت من أصدقائي أن ينقلوني إلى أي مكان آخر لم أره. لم أعرف فيه أحدًا. فلم أسأل عنه. وتوالت الشوارع الجميلة والعمارات الجديدة والفلل والحدائق.. ولم أشأ أن أتوقف لأن شيئًا لم يستوقفني.

وهذه مدرسة الراهبات، وكانت فيها فتاة مصرية، أحبت وفشلت. وفرض أهلها عريسًا عليها، وفرضت هي الحزن عليها والبكاء. واطمأنوا إلى أنهم سوف يرونها في الجنة. وجاءني خطاب منها أن أراها.. أن أجلس إليها.. وجاءت وجلست كأنها إحدى القديسات قالت كثيرًا وسمعتها ودوختني. ونقلت إلى أهلها. وكذبت عليها بأنني لن

أطلع أحدًا على سرها. وجاء أهلها. وكان يوم اللقاء هو يوم البكاء العالمي: فتيات من كل لون وشعب يبكين. كل واحدة تبكي على حالها. فإذا بكت عين واحدة سالت دموع ألف عين.. تعبت. نعم تعبت. مع أنني لم أتحرك من مكاني من المقهى. ولكن كأنني مسحت كل شوارع روما بقدمي ويدي وقلبي وعقلي.. ثم طويت الشوارع منديلًا حريريًا ورحت أضغط عليه وأضغط حتى صار في حجم قرص منوم وبدلًا من أن أبتلعه وضعته في جيبي ملتصقًا بقلبي..

وككل العشاق لا أرى ولا أسمع ولا أتكلم، وإنما كل الذي حولي يقول ويعيد ويغني، وأقصى ما أستطيعه هو أن أهز رأسي وأحنيه حتى تمر العاصفة... والعاصفة لا تمر!

اقــرأ
هــذا الكتــاب

ما دامت مصر تهمك: ماضيها وحاضرها ومستقبلها، فلابد أن تقرأ هذا الكتاب: (محمد علي مؤسس مصر الحديثة) تأليف جي فارجت ترجمة محمد رفعت عواد في 220 صفحة من منشورات المجلس الأعلى للثقافة، فهذا السياسي العظيم محمد علي الكبير مؤسس الأسرة العلوية في مصر كان ذكيًا مستنيرًا أميًا ومثل الزعيم السوفيتي جورباتشوف لم يتعلم القراءة والكتابة إلا في الأربعين... وقد ولد في نفس السنة التي ولد فيها نابليون وولنجتون سنة 1769 وهو مثل هتلر جاء من النمسا ليحكم ألمانيا، ومثل نابليون جاء من كورسيكا ليحكم فرنسا... وقد ولد في نفس المدينة التي ولد فيها الإسكندر الأكبر... وقد بدأ حياته قاطع طريق مثل ستالين، ووراء كل ذلك كانت الموهبة والذكاء والقدرة على الفهم والحسم، واستطاع أن يعايش المستحيل في السياسة العثمانية، وأن ينفذ بجلده، وأن ينفرد بمصر وأن يحكم وأن يتحكم ـ وقد تحكم كثيرًا وبعنف، ورغم سيئاته الفادحة فقد قفز بمصر إلى النور.. ووسع أرضها ونفوذها فشملت الشرق الأوسط شرقًا وغربًا وجنوبًا في السودان..

وكل من يؤرخ لحركة التنوير في مصر لابد أن يقف طويلًا ويتأمل كثيرًا ما فعله محمد علي وما نجح فيه وما فشل أيضًا، فالذي

استطاعه محمد علي في مصر كثير، والذي قدم والذي بنى وشيد كثير أيضًا، وبقدر سعادته في مصر كان في أسرته تعيسًا: قتل أحب أولاده ومات بالمرض ثاني أولاده... واستطاع ابنه إبراهيم باشا أن يكون كما أراد الأب...

وبراعة محمد علي أيضًا في السياسة أنه أفلح في الهروب من كثير من المؤامرات عليه في مصر والدول العظمى والباب العالي العثماني.. وتاجر وباع واشترى وقدم الأموال والأرواح من أجل أن يبقى في موقعه في مصر ضد المماليك وضد أبناء بلده، وإذا كان محمد علي زلزالًا في مصر والشرق الأوسط، فإن هذا الزلزال قد أصابه هو أيضًا... فقد أصيب بخلل عقلي وهذيان حتى مات يوم 12 أغسطس سنة 1849 في الثمانين من عمره.

أما جنازته فكانت تبعث على الأسى فلا حضرها السفراء ولا الكبراء... ولم تغلق المحلات أبوابها.

كأن الرجل لا قدم ولا أخر في تاريخ مصر، وكان محمد علي قد أعد لنفسه مقبرة كان يذكرها كثيرًا وهو على فراش الموت، ولم يفهم أحد بالضبط ما الذي يقول، وما الذي كان يرسمه في الهواء... وكانت وفاته في الإسكندرية ونقل جثمانه في مركب في النيل.. فتحرك وحيدًا ونعشه وحيدًا وجثمانه أيضًا ـ وليس ذلك فريدًا في التاريخ، فمن عادة الشعوب نكران الجميل للذين أضاءوا لها وحرَّروها وتركوها أفضل!

الشعب
المسحوق..

بين المطرقة والسندان.. بين شقي الرحى.. بين طرفي المقص.. بين البحر خلفي والعدو أمامي.. وفي أساطير الإغريق جبلان يعترضان السفن.. فإذا مرت سفينة بينهما اقترب الجبلان حتى يسحقاها تمامًا – واضح أنني أتحدث عن الشعب الفلسطيني المحصور المحاصر بين إسرائيل وأمريكا.. أو بين أمريكا وأمريكا أو إسرائيل وإسرائيل. فالذي تقوله إسرائيل صباحًا تردده أمريكا مساء.. سراب يحسبه الظمآن ماء فإذا جاءه لم يجده شيئًا.. إلى متى؟

ليس هذا هو السؤال. فكل شيء يدل على أنه لا نهاية لشيء. فقد تلاشت البداية والنهاية. ولم نعد نعرف من الذي يقول: لا ومن الذي يقول: نعم..

حتى هذه اللحظة لم يعترف أحد بأن الشعب الفلسطيني في حالة دفاع عن النفس.. في حالة جهاد من أجل الحد الأدنى من الحياة.. فلا هم أحياء مثل البشر ولا هم أموات كالشهداء. وجريمة شعب فلسطين: أنه يريد أرضًا وبيتًا وشعبًا وأمنًا وكرامة في الحياة وإكرامًا في الموت. بس. ولكن فقهاء القانون الأمريكي والدستور الإسرائيلي يرون أن الشعب الذي سلاحه الحجارة والذي هانت عليه نفسه وحياته فراح ينسفها هو شعب إرهابي تاركًا وراءه الفقهاء

يتناقشون إن كان هذا الذي مات هل كان شهيدًا أو منتحرًا.. مع أنه لا فرق بينه وبين الذي ذهب للقتال وهو يعلم أنه شهيد.. ولذلك قرر هؤلاء الفارغون الذين يتساءلون إن كان له مكان في الجنة.. وما مساحة هذا المكان!

وكأن إسرائيل وحدها ليست كافية لتواجه الحجارة بالطيارة والدبابة والصاروخ فجاءت أمريكا على كتفي صدام حسين أبي المعارك وبلديات صلاح الدين. جاءت لتبقى. حاربت لتكسب. ومات شبابها دفاعًا عن أرض ليست لهم، وقضية مفتعلة وأسلحة وهمية. وضحكت علينا أمريكا وجعلتنا نتوهم بأنها تقاتل المسلمين الذين يجب أن نحاربهم. وأن نقتلهم قبل أن يقتلونا. وأن نساعدها على ذلك.. وإلا فرضت علينا ديمقراطية رعاة البقر وحكم رامبو.. وقد بدأت بالفعل. ووجدت من يصفق لها ويبارك (القاعدة) الأمريكية و(القاعدة) البريطانية.. والبقية تأتي!

من روفريتو (إيطاليا) .

لقد قررت هذه المدينة أن يكون لها موقع فرعوني على الإنترنت. وعلى هذا الموقع سوف تنشر صورًا فرعونية. وتريد أن تحصل على إذن من مصر في بيع هذه الصور لمن يريدها. وتستأذن مصر.

وتوقع بروتوكولًا مع د.زاهي حواس. وكان الاحتفال بالتوقيع. ولو لم نوقع، وراحت تبيع وتشتري، فإن أحدًا في مصر لن يدري بذلك. ولكنه مبدأ. قانون. أخلاق. حضارة. احترامهم لأنفسهم. القانون حق الأداء العلني والملكية الفكرية!!

وفي هذه الاحتفالات ظهر عدد كبير من العلماء الإيطاليين الذين يدرسون التاريخ الفرعوني، والذين يحفرون حول الأهرام وفي الصعيد ـ رجالًا ونساء. وللإيطاليين سجل حافل في الحفر والتنقيب. وكذلك للفرنسيين والأمريكان والبولنديين والإنجليز.. ولا يزال د.زاهي حواس أشهر علماء مصر على شبكات التليفزيون وفي الصحف يشغل فضول مستمعيه وهو يحدثهم عن اكتشافات جديدة.. حول الهرم وفي داخله. وأن العام القادم هو عام كشف المستور من أسرار الفراعنة: كيف أقاموا الهرم ولماذا، ولماذا الأبواب وراء الأبواب ولماذا الأبواب ذات المقابض النحاسية التي صورها الروبوت، والتي سوف يصورها

ويتجاوزها في العام القادم. وسوف يكون ذلك على شاشات التليفزيون بعد تصحيح الأخطاء ولعب العيال الذي ظهر على شاشات الدنيا يوم دخول الروبوت هرم خوفو ـ لعب عيالنا بالتاريخ والجهل بالمناسبة التاريخية الفريدة!

وفي اليوم التالي لوصولنا نشرت الصحف أن العالم الأثري زاهي حواس طلب نوعًا من البسكوت ـ وذلك قبل أن يصافح ويعانق مستقبليه من محبي مصر الفرعونية.. أما البسكوت فإنه قد وعد طفلًا رآه يقرأ أحد كتبه فوعده.

وخاف أن ينسى في زحمة الأحضان والقبلات هذه المكافأة التي وعد بها القارئ الصغير.

وتساءل الناس إن كان هذا التوقيع الغريب العجيب الذي يشغل صفحة كاملة لزاهي حواس فرعونيًا. فقلت: بل مصر؛ لأن إمضاءه يشبه حلويات (المشبك) التي يبيعها أهله في بلدتهم دمياط!

ولما سألوني عن الأدب الإيطالي والفلسفة الحديثة قلت إنني أول من قدم إلى اللغة العربية الأديب ألبرتو مورافيا وزوجته الأولى ألسه مورانته وزوجته الثانية داشيا ماريانى..أما الثالثة فلم تكن أديبة إنما ورثت كل ثروة الأديب العظيم الذي رشحوه لجائزة نوبل ست مرات. ولم يفز لأنه أديب جنسي ولأنه ملحد ولأنه شيوعي أيضًا.

وقدمت أيضًا الأديب الإيطالي كورتسيو ملبارته وروايته (الجلد) وكذلك الأديب شيزاره بافيزه وحكاية انتحاره الأليم. وقبل ذلك قدم لنا د.عبدالرحمن بدوي الشاعر الحزين ليو باردي.. وأن د.حسن عثمان قد ترجم «الكوميديا الإلهية».

..وكان د.عثمان أستاذًا للجغرافيا عاشقًا للأدب الإيطالي وقد عاش منطويًا ولا نعرف حزينًا لماذا. ومات يوم وفاة طه حسين تمامًا كما مات المنفلوطي يوم محاولة اغتيال سعد زغلول.. ويوم مات الأديب الإنجليزي ألدوس يوم اغتيال الرئيس كيندي ـ فلم يشعر به ولا بالمنفلوطي ولا بهكسلي أحد من الناس!

وقلت إنني أيضًا أول من قدم الفلاسفة الوجوديين الإيطاليين: روجيرو وأبانيانو وكذلك صفحات وجودية للفيلسوف الإيطالي الكبير بندتوكروتشه. وأجريت حديثًا طويلًا مع ابنتي الفيلسوف في لقاء لنا في مدينة نابولي.. ودعوتهما إلى زيارة مصر..

وفي أحد المحلات تقدمت سيدة كبيرة في السن. سألتني إن كنت من الذين في زيارة لهذه المدينة الجديدة لأسباب فرعونية.. وإن كنت أنا الذي ظهر في التليفزيون أتحدث عن صوفيا لورين وسيلفانا بمبانيني. فهززت رأسي نعم. فقالت: اندهشت جدًا عندما قلت إنك حضرت تصوير فيلم سيلفانا بمبانيني الشهير: عريس أنا زاكيو. وسألتني إن كنت قد رأيتها في هذا الفيلم من أربعين عامًا. ولم أحاول أن أتذكر. ولكن لما قالت لي: تعرف الأديبة المتعصبة العنصرية ألبا داشبدس. قلت: نعم. قالت: أنا خالتها.. فطلبت إليها أن تجلس وتقول وتحكي لأزداد كراهية لبنت أختها!

الشرق الأوسط لا يهم!

من روفريتو (إيطاليا)، ولا كلمة عن الحرب والسلام في الشرق الأوسط، ولا أسلحة الدمار الشامل، وإنما عن فضائح المعركة الرياسية في أمريكا، فقد بدأ (الردح الرياسي) .. وهي قصة مكررة.

فأيام الرئيس بوش الأب أخرجت الصحف والمجلات فضائح الرئيس كلينتون وعلاقاته الجنسية المتعددة، وبلغت الفضائح قمتها في علاقته بالفتاة مونيكا ومحاكمته وبهدلته علنًا ساعتين، وانتصر كلينتون.. وبقيت فضائح أخرى لابد أنهم سوف يعلنونها عندما يرشحون زوجته السيناتور هيلاري كلينتون للرياسة.

ولكن استطاع الرئيس بوش الأب أن يخفي سكرتيرته في أمريكا الجنوبية كل فترة الحملات الانتخابية.. فقد كانت سكرتيرته عندما كان رئيسًا للمخابرات وعندما كان نائبًا للرئيس – ولم يسكت بوش بل حاول إثبات أن كلينتون لم يدخل الجيش وأنه تهرب من الخدمة العسكرية وأنه تظاهر ضد أمريكا في حربها في فيتنام، وأثبت كلينتون أنه كان مبعوثًا في بريطانيا، وطلبة البعثات يعفون من الخدمة العسكرية، وأنه لم يتظاهر ضد أمريكا وإنما ضد حرب لا ضرورة لها!

واليوم تتجدد الفضائح الرياسية، فالمرشح كيري قال إن بوش الابن تهرب من الخدمة العسكرية فأخرج البيت الأبيض مائة صفحة

وصورة تؤكد بطلان هذه الأخبار الكاذبة، وكشف أنصار الرئيس بوش أن هناك علاقة غرامية بين المرشح كيري وصحفية شابة. ونشروا الصورة والاسم، ويحاول كيري أن ينفي هذه التهمة احترامًا لزوجته ملكة (الكتش أب) الذي ورثته عن زوجها السابق.

ثم عن الفضائح الإيطالية ورئيس وزرائهم بيرلسكوني، وحكاياته مع زوجته ومع صديقته وعمليات التجميل التي يجريها والفساد المالي والإداري.

وتساءلت أنا إن كانت الحرب والسلام في الشرق الأوسط لا تعنيهم، لأن أحدًا لم يسأل ولم يلمح ولا عنده أي رغبة في ذلك، فقالوا: تعبنا من الحرب وسيرة الحرب ونريد الحياة في سلام ورخاء، أما مشاكلكم فأنتم أولى بها.

وهي مشاكلكم ويجب أن تبقى كذلك، ولو استوقفت أي إنسان في الشارع وسألته: وما رأيك في الحرب فإنه لن يدعك تكمل هذه العبارة، فلا تزال آثار الحروب في عيوننا وخيالنا وكفانا.. ولابد أن تشبعوا أنتم من الحرب وويلاتها حتى تفرضوا السلام على أنفسكم...

قلت: يعني إيه؟

قال: إحنا ما لنا!

الرئيـــس مبـــارك

ليس مفاجأة قرار الرئيس مبارك باحترام حرية الرأي، والدفاع عن حرية الصحافة. برغم الشطط أحيانًا. ولكنه من المؤمنين بأن الأخطاء التي يقع فيها الأحرار أكثر احترامًا من التي يقع فيها من لا حرية له. ومقياس الحضارة في أي بلد مدى ما يتمتع به الكتاب والفنانون من قدرة وحرية في التعبير.

ولابد أن غيري أيضًا عنده حكايات مع الرئيس مبارك. وأنا أشهد أنه حدث أكثر من مرة أن اتصل بي الرئيس مبارك يبدي اعتراضه على ما كتبه كبار الكتاب من أمثال إحسان عبد القدوس وحسين مؤنس. ففي إحدى المرات قال لي الرئيس مبارك: إنني قرأت إحسان عبد القدوس وأنا كمواطن مصري أرى أنه كان ظالمًا. وأنه كان قاسي الحكم جارح العبارة.

وأذكر أنني قلت للرئيس إنه من الممكن أن ألفت نظر إحسان عبد القدوس. فرفض الرئيس رفضًا تامًا. وقال: إنه كاتب كبير ولا شك في وطنيته وإخلاصه. ولكني أختلف معه. وأرجو ألا تلفت نظره إلى شيء.

وطبعًا لم أخاطب إحسان عبد القدوس في شيء من ذلك. وأذكر أن إحسان قد كتب مقالًا في (آخر ساعة) يقول فيه: إنه لم يكن يعرف

أن في مصر حرية صحافة حقيقية إلا عندما كتب في مجلة (أكتوبر).

فلم يحدث أن اعترضت كرئيس التحرير على كلمة أو عبارة أو طلبت إليه أن يكتب وألا يكتب. وقد ذكر إحسان ذلك في مقدمة كتابه (على مقهى في الشارع السياسي) ..

ومرة أخرى اتصل بي الرئيس مبارك معترضًا على ما جاء في مقالات المؤرخ الكبير د. حسين مؤنس. فقد كان يكتب سلسلة بعنوان (باشوات وسوبر باشوات) .وهاجم فيها رجال الثورة بمنتهى العنف. وكان من رأي الرئيس مبارك أن د. مؤنس كان قاسيًا وعنيفًا. وأن الرئيس مبارك غير راض عن هذا الذي كتبه د. مؤنس. وطلب مني الرئيس ألا أنبه أو ألفت نظر د.مؤنس. فالرئيس يرى أنه أستاذ ومؤرخ كبير ووطني، وأن هذا رأيه وأنه حر في ذلك.

ولما كتب المؤرخ العسكري جمال حماد ردًا على د. مؤنس اتصل بي الرئيس يبدي إعجابه واتفاقه مع ما كتبه جمال حماد. وطلب مني أن أبلغه بذلك.. وفعلت.

فليس مفاجأة ما قرره الرئيس من حماية لأقلام ورقاب الصحفيين!

وعلى الماء السلام

من غير زعل. إن السلام في الشرق الأوسط، أو السلام المصري هو القائم على الماء. فإلى الجنوب انظر.. إلى السودان انظر وانتظر. فحياتنا أمس واليوم وغدًا هي ماء النيل. والسلام مع أبناء حوض النيل هو السلام الحيوي الأبدي.

غلطتنا الكبرى هي أن نتحدث عن السودان كلما زارنا شقيق سوداني. فإذا عاد، عدنا إلى صمتنا والكلام على الصراع العربي الإسرائيلي. عدنا إلى الكلام عن خمسة ملايين فلسطيني هم عدد العاطلين في مصر أو المحتاجين إلى العمل بعض الوقت أو كل الوقت. ولا أطلب أن نطبق عيوننا عن الوحشية التي يلقاها شعب فلسطين. ولكن عين هنا وعين هناك أذن هنا وأذن هناك. فإن فتح أبواب المعاهد والجامعات والحرص ليخرج الطلبة قبل أن يتخرجوا، ليس إلا حشدًا لجيش من العاطلين والساخطين والمتمردين طعامًا سائغًا لنظريات التخريب والتدمير...

وليس جهلنا بالنيل جهلًا وإنما هو هلاك لنا ولأجيال من بعدنا... قف في الشارع واسأل أي واحد أفندي كم طول نهر النيل؟ لا يعرف.. كم فرعًا لنهر النيل.؟

لا يعرف. كم عدد البحيرات كم عدد دول حوض النيل. ما الذي يغضب دول الحوض... متى يبيعون مياه النيل. متى يطالبون ببيع

المياه لإسرائيل وفلسطين والأردن... كم عدد الأفدنة الصالحة للزراعة في السودان... كم عدد الفلاحين والعمال المصريين الذين في استطاعتهم أن يعيشوا في السودان – إذا نحن أصبحنا مع السودان سمنًا على عسل!

إننا لسنا في حاجة إلى وزارة فقط لشئون الجنوب – السودان وكل دول الحوض – وإنما إلى وزارة وهيئات ومعاهد متخصصة قبل أن ينفصل جنوب السودان عن شماله – ومن المؤكد أن هذا سوف يحدث بقوة الكنيسة وشركات البترول. وسوف نبوس القدم ونبدي الندم على أن قناة جونجلي التي كنا قد شققناها وسط المستنقعات قد تلاشت، ويجب أن تعود... أن نعيدها نحن حتى لا تتبخر ملايين الأمتار المكعبة... لماذا؟

هذا ما يجب أن نعرفه. لأنها ألف باء الحياة والرخاء والسلام القائم على الماء!

علـــم
الصوتيـــات..

كلنا لاحظنا وتضايقنا وأسفنا على مستقبل الشباب، ثم لم نفعل شيئًا فنحن نندهش لأن الشبان الصغار لا يحسنون النطق باللغة العربية. وإذا نطقوا تكلموا بسرعة. وإذا تكلموا ابتلعوا الحروف وكسروا الكلمات وشنقوا المعاني. وضحكوا لنحزن نحن على ذلك..

ولا لوم عليهم. فهذا جيلهم. وهذا أسلوبهم في الكلام والقراءة والكتابة والمعلومات العامة ثم إنهم يضيفون إلى ذلك كلمات غريبة يخترعونها. بعض هذه الكلمات عربية فصيحة.. وهم لا يعرفون من أين أتوا بها. ربما كان شكلها أو صوتها يؤدي المعنى الذي يريدون. مثل كلمة: روش بكسر الواو أو الروشنة. بمعنى الجدعنة أو الفهلوة. وقد وجدت في القاموس أن كلمة (روس) بالسين معناها أن الإنسان إذا (روس) يعني مشي يتمخطر.. ووجدت أن كلمة أخرى هي (روش) بالشين أي يأكل كثيرًا. ولذلك فهو (روش) ..فالروش هو الأكل الكثير والورش هو الأكل القليل.. ولابد أن اختراع كلمة الروشنة أي الأكل الكثير مع المخطرة – ربما!

ولكن في بريطانيا اتخذوا الموقف الصحيح.. فقد لاحظوا أن الشبان لا يحسنون التعبير.. وأن عددًا كبيرًا من الشبان يكتفي بكلمتي نعم ولا. وبذلك ينتهي الحوار. أو يبتر الحوار أو يجهض الحوار.

ولا يذهب الشاب إلى أبعد من ذلك.. وأن بعضهم لا يحسن النطق ويأكل الحروف والكلمات. بينما الشبان الأمريكان أحسن حالًا. فعندهم كلام وحكايات وحوارات. ولذلك قررت وزارة التعليم في بريطانيا إدخال مادة الصوتيات والنطق السليم وامتحان التلامذة في هذه المادة. ابتداء من المدارس الابتدائية وانتهاء بالمرحلة الثانوية. وأن النطق أو النطق السليم مادة يمتحنون فيها الطالب – وهي مادة نجاح ورسوب.

فليس معقولًا ألا يتكلم أي إنسان لغته وبطريقة صحيحة ولا عذر مقبولًا له في ذلك. وأن هذا انحراف واعوجاج وعجز يجب تقويمه في سن مبكرة.. وسوف يفعلون من العام القادم.

كلهم
في انسجام

باريس: مدينة النور.. وفرنسا: دولة الحرية. والنور في باريس ليس فقط من صنع أبنائها وإنما أيضًا من صنع الذين جاءوا إليها من كل مكان ليتألقوا ويشعوا على الدنيا – هكذا كانت باريس وهي الآن وسوف تبقى.. وقد قرأت مقالًا بليغًا لوزير الثقافة الفرنسي جان – جاك إياجون في صحيفة (فيجارو).. قال إن أهم معالم الثقافة الفرنسية هو الانفتاح على كل الثقافات الأخرى.. بالأحضان والقبلات وقاعات المحاضرات والمتاحف ودور النشر. وأكبر دليل على ذلك ما كان في القرن الماضي، فقد كان في باريس العبقري الإسباني بيكاسو والعبقري السويسري لوكوربوزيه والأديب الأيرلندي بيكت ومصمم الأزياء الألماني لاجرفيلد والراقص الروسي نورييف.

وقال الوزير الفرنسي إن في فرنسا الآن 35 ألفًا من الفنانين والأدباء والمهندسين والخبراء، كلهم يعمل في انسجام مع نظرائهم الفرنسيين، وفرنسا تؤمن (بحب الأجانب). وهؤلاء الأجانب مكسب للثقافة الفرنسية؛ لأن فرنسا تؤمن بالتفاعل والانسجام والتنوع في كل الفنون والآداب..ويقول الوزير الفرنسي إنه أنشأ في وزارته جهازًا لتشجيع الفنانين الأجانب واحتضانهم والإنفاق عليهم.. وفي ذلك

ترويج للثقافة الفرنسية وكذلك للصناعات الفرنسية التي تتعاون فيها وزارة الثقافة مع وزارة الخارجية..

وقد لاحظ وزير الثقافة الفرنسي أنه عندما كان يشارك في الإعداد لعام (فرنسا – مصر) سنة 1997 غياب عدد كبير من منقبي الآثار والمؤرخين المصريين، على خلاف ما كان يفعله الجيل السابق. أما السبب فهو أن هؤلاء المصريين قد انصرفوا عن فرنسا لأنهم وجدوا تشجيعًا أكثر في ألمانيا وبريطانيا، ولذلك لابد من استعادة الدور الفرنسي التقليدي، والذي كان قوة جاذبة للفكر والأدب والفن من كل مكان في الدنيا، ولابد أيضًا من تشجيع المواهب الفذة على أن تشغل مكانًا رسميًا في المؤسسات والمعاهد الفرنسية وبذلك يكونون نموذجًا رفيعًا لتفاعل الحضارات.ونحن في مصر نذكر دائمًا ما يقوله الرؤساء الفرنسيون في حفلات التكريم لهم. ولا أنسى ما قاله الرئيس ديستان وما قاله الرئيس الأديب ميتران. فهم يحتفلون بالأدباء والعلماء ورجال القانون والمهندسين الذين تعلموا في فرنسا.. ثم عادوا إلينا نابهين وسفراء مخلصين للثقافة الفرنسية..

كرافتـــة
نازيـــة..

ضحك الرئيس السادات حتى ظهرت الدموع في عينيه عندما قلت له: هل صحيح يا ريس أنك ذهبت إلى إسرائيل بكرافتة مرسوم عليها الصليب النازي!

وجئنا بالصورة ورأينا الكرافتة. ففيها أشكال هندسية تحتمل أي تفسير، وليس معقولًا طبعًا أن يذهب السادات إلى إسرائيل من أجل السلام فيعلن عليهم الحرب في كرافتة يعلقها في رقبته. غير معقول. ولكنهم في حالة من الهوس والجنون.. ففي كل كلمة يجدون وراءها العداء للسامية.. وفي كل رسم يجدون فيه الصليب النازي المعقوف.. وكل شعر يتدلى على الوجه يجدونه هتلر - إنه مرض ولا شك! إنهم يطالبون المسلمين بتخفيف (الجرعة) الدينية، حتى لا يكون هناك تعصب أعمى، وحتى لا يؤدي التعصب إلى العنف إلى الحرب ضد اليهود في كل مكان. ثم لا يطالبون أنفسهم بشيء من ذلك. إن المتعصبين اليهود هم الذين أقاموا الدولة وهم الذين حرسوها.. وعندما انهدم الهيكل مرتين أقام الحاخامات هيكلًا آخر هو كتاب (التلمود).. فأقام اليهود في هذا الكتاب هيكلهم الجديد ثم جعلوا التلمود أهم من التوراة. والذي يؤمن بالتوراة ولا يؤمن بالتلمود فهو كافر.. ولذلك كان موقفهم عجيبًا من اليهود المصريين.. الذين هم (القراءون) أي الذين يؤمنون بالأسفار الخمسة الأولى من التوراة

ولا يؤمنون بالتلمود. ولذلك يرونهم يهودًا إلا قليلًا.. وكذلك يرون الفلاشا الأحباش يهودًا ناقصين أو منقوصين.

وقال لي صديق إسرائيلي مصري إن ابنه شارك في الدفاع عن إسرائيل ولما مات تركوه في الشارع دون أن يدفنوه لأنه من القرائين؟!

بل إنهم الذين يجب أن يكونوا أقل تعصبًا وأقل هوسًا حتى يكون هناك سلام بين الأديان وبين الشعوب.. وقد نجح اليهود في أن ينقلوا عدوى أمراضهم إلى كل الشعوب أيضًا. فلا يجرؤ أي إنسان أن ينطق الحرف الأول والثاني من كلمة (يهودي). هنا تنقلب عليه وضده كل قوانين التفرقة العنصرية والعداء للسامية – مع أن حكام إسرائيل ليسوا ساميين. بل الشعب الفلسطيني ومعظم الشعوب العربية ساميون أكثر منهم!

إنها أخطاء يتراكم بعضها فوق بعض حتى تضع جدارًا عازلًا فاصلًا شائكًا مكهربًا بين الشعوب اليهودية والشعوب الأخرى – وهي غلطتهم!

كتـــــاب
ممتــــع..

أنت الآن تقرأ ويدك قد احتكت بالورق ثم مسحت جبهتك، وسويت ثوبك، ونفخت في الهواء، وأشعلت سيجارة أو شربت شايًا ساخنًا، ونظرت من النافذة. فرأيت أو لم تر شيئًا. هذا هو موضوع كتاب ممتع ومذهل أيضًا. وهو مذهل لأن الموضوع الذي تمارسه كل يوم دون أن تدري: ما الذي فعلته أنت وحدك في جو الكرة الأرضية؟!

الكتاب الذي قرأته في جلستين طويلتين اسمه (الحياة الخفية للغبار) تأليف الدكتورة هانا هولمز ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي في 420 صفحة أصدرته (دار العين للنشر) .

أما تفسير هذه السطور الأولى: إنه في كل حركة تقوم بها يكون من نتيجتها تحريك ذرات من القماش أو من الورق أو من الحبر أو من بخار الماء، كلها تضاف إلى ذرات التراب والفحم والمعادن وجلد بشرتك الذي تساقط منك ومن ستة آلاف مليون نسمة، مضافًا إليها الشيء نفسه من أجسام الحيوانات والنباتات ودخان المصانع والمعادن.. والمعادن السامة. وأنا أقرأ هذا الكتاب وجدت تفسيرًا لم تذكره المؤلفة وهو كيف مات الموسيقار العظيم موتسارت. ولم يضع له أحد السم في الشراب أو الطعام. ولكنه مات مسمومًا بسبب طلاء الغرف التي يجلس فيها والمغلقة دائمًا..

وهذا الكتاب لم يتعرض لما أصاب الذين فتحوا المقابر الفرعونية، فتسلل إلى صدورهم تراب المقبرة والمومياء والمعادن وفطريات البذور والمواد الحافظة.. ولكن هذا الكتاب الذي يتعمق فيما نعيشه كل يوم في أي مكان.. نخوض في بحر من السموم. ولابد أن الإنسان اكتسب قدرة هائلة على المقاومة والمناعة، ولكنه في الوقت نفسه أضعف ما يكون. وليست الأمراض الذي تصيبه إلا بسبب المعركة غير المتكافئة بيننا وبين الأجواء حولنا.

لن تمل هذا الكتاب لكثرة الأمثلة التي تقدمها المؤلفة في الحرب والسلام، في المصانع ومع الموتورات والمكانس الكهربية في البيوت.. إنها لم تأت بجديد. ولكن الجهد الذي أتت به هو أنها فتحت عيوننا وآذاننا وأنوفنا، ونشطت أصابعنا لنلمس بأنفسنا هذه المقبرة التي وسعتها السماوات والأرض، والتي تفور وتمور وتتدفق بالغبار الذي بدأ مع نشأة الكون من 15 ألف مليون سنة!

وقـــال الشعـــراء..

كنت ضمن الوفد المصري الذي ذهب إلى اليونسكو يشارك في قضية التعريب. وكانت د. سهير القلماوي رئيس الوفد. وكنت أنا الوفد. واختلفنا من أول لحظة على معنى الكلمات المشتقة من كلمة (فرد) :فردية وفردانية وتفردية وأفرادية والمذهب الفردي. وعدنا كما ذهبنا دون أن نتفق على معنى أو مرادف لا عندنا ولا عند الأشقاء العرب..

وقد استأنف د. محمود المناوي أستاذ أمراض النساء بقصر العيني في كتاب جاد ضخم شاق بعنوان (أزمة التعريب) في 500 صفحة. وليس د. المناوي أحسن حالًا فهو يتراوح بين اليأس والأمل. يقول في أول الكتاب. عن المؤتمرات المتكررة لجامعة الدول العربية والمجامع العربية والأهلية إنهم يجتمعون كل عام يذرفون الدمع كأنهم أمام (حائط المبكى). ولا يفعلون شيئًا كأنهم ينتظرون صلاح الدين لينقذهم مما هم فيه – وسوف ينتظرون طويلًا. أما تأليف هذا الكتاب فلماذا؟ يقول د. المناوي في نهاية الكتاب: إن قضية التعريب في أزمة. وإن غاياتها في أزمة أشد من القضية. وقد أراد أن يحرك الماء الراكد. وقد هزه ولكن لم يحركه. فكأن شيئًا لم يكن. وكأنه ما قال. ولكنه يهون علينا هذه الملحمة اليائسة بقصائد بديعة للشعراء الأطباء: إبراهيم ناجي وحسن علي إبراهيم وعبدالرءوف

حسن والشاعر الكبير علي الجارم.. يقول إبراهيم ناجي في البحر الميت:

عجبت لمن يسمي ذاك ميتًا   وقلت يمين ربي ذا افتئات
يكاد المرء يشربه سرورًا   كأن الملح فيه صار عذبا

وقال د. عبدالرءوف حسن:

إلى القدس الشريف وفي حماه   نزلنا مكرمين معززين
غدوتم أهلنا حقًا فكونوا   على ثقة بأنا عائدون

وألقى د. حسن علي إبراهيم قصيدته الرائعة في نهج البردة النبوية في المؤتمر الطبي سنة 1979:

ما ذبت شوقًا لجيران بذي سلم
ولا أرقت بذكر البان والعلم

وما أبحث لريم القاع سفك دمي
في الأشهر الحل أو في الأشهر الحرم

سألت العفو ربي أنني بشر
جم الذنوب وأنت الواسع الكرم

ثم ذلك الحوار البليغ الذي يتخيله الشاعر الكبير حسن إبراهيم بين المتنبي وأبي العلاء والبحتري وأبي تمام.

ومهما تشعبت وتعقدت وتعملقت المشاكل فأنت أمام باحث جاد أصدر كتابًا عظيم الاحترام!

حيرة شاعر

قال شاعر حكيم يائس قرفان:

ضحكت فقالوا: ألا تحتشم بكيت فقالوا: ألا تبتسم؟
بسمت فقالوا: يرائي بها عبست فقالوا: بدا ما كتم
صمت فقالوا: قليل اللسان نطقت فقالوا: كثير الكلم
حلمت فقالوا: صنع الجبان ولو كان مقتدرًا لانتقم
بسلت فقالوا: لطيش به وما كان مجترئًا لو حكم
يقولون: شذ إذا قلت: لا وإمعة حين وافقتهم
فأيقنت أني مهما أرد رضا الناس لابد من أن أذم!

ولكن لابد من الناس.. أن تكون معهم وبهم وضدهم.. تمامًا كما أن الهواء ضروري للطائرة تعلو به وعليه وتتحرك به ولا يحطمها إلا الهواء.. وكالماء للسفينة تطفو به وعليه وتتحرك على صدره وضده وهو مقبرة لها أيضًا.

ولما قيل لبوذا وماذا تعمل بالناس.. قال: أعمل بهم ما يفعلونه بي.وقيل له: وماذا يعملون بك؟ قال: لا يرونني ولا يسمعونني، فلا أراهم ولا أسمعهم. ولما قيل له: ولكنك تراهم وتسمعهم وتكلمهم وتنتظرهم وينتظرونك وتغضب منهم ولهم، وترضى عنهم وتسعدهم. فقال: إنهم أسوأ ما في حياتي وأنا أسوأ ما في حياتهم.. ولابد أن أحدًا يلعن أحدًا.. هم يلعنونني وأنا أيضًا!

ولما قيل لكونفوشيوس: ألا توجد نهاية للشكوى؟ قال:ما دام هناك أناس فلا نهاية.. ولما قيل له ألا توجد نهاية للألم قال: ما دام هناك أناس. ولما قيل له وما الجسر إلى السعادة وراحة البال قال: الناس.. ولما قيل له: ولكنهم تعاستنا وعذابنا وشقاؤنا ويأسنا في الحياة؟ فأجاب: إنهم كذلك. ولو كنا استطعنا أن نجد السعادة مع الحيوان لفضلناه على الإنسان.

ولكننا لم نجد ولم نستطع.

يعني إيه؟ يعني أن الحياة معًا هي الحياة. وحتى لو اختار الإنسان العزلة والابتعاد عن الناس. فهو قد قرر ذلك بسبب الناس. الضيق بهم والقرف منهم. ولكن سواء ذهب بعيدًا أو قريبًا أو انفرد بنفسه فهو هكذا: ابتعد عن الناس واقترب من الناس وانزوى هربًا من الناس.

وكما تمشي في الشارع فمع الناس وإلى جوارهم ولن تجد الشارع خاليًا.

ولكنك طول الوقت تأتنس بهم وتخشى أن تصطدم بهم..ولو صحوت فلم تجد أحدًا في البيت ولا في العمارة ولا في الشارع ولا في المدينة فكأنك في سفينة فضاء انطلقت وانقطعت صلتها بالأرض: فإن لم يكن ذلك هو الموت فهي مقدماته!

هـــــارون
الرشيـــــد

هذا الكتاب ظريف يضحكك ويسليك، ولن تجد له مثيلًا في المكتبة العربية، ولكن هذا الكتاب الذي يبدو سهلًا خفيفًا كان سيئ الحظ، إنه يستحق اهتمامًا وامتنانًا أكثر وأعمق، الكتاب اسمه (هارون الرشيد) من تأليف محمد أبو رحمة ومن منشورات مدبولي في 350 صفحة، أما النوادر والحكايات والقفشات، نثرًا وشعرًا، فشيء كثير جدًا، وأما الضحك حتى الدموع في عينيك فهي المكافأة التي تستحقها، لأنك قرأته وقلبت وتأملت وحاولت أن تحفظ لكي تفرفش جلساتك الخاصة والعامة.

ولم يتناول المؤلف حياة هارون الرشيد فقط، وإنما أهم من ذلك جلساته مع الأدباء والشعراء والعلماء والفقهاء أيضًا، مثل أبي نواس وأبي العتاهية والعباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد، وكذلك علماء النحو والرواة من مثل الكسائي والأصمعي والخليل بن أحمد وسيبويه.. والفقهاء في الإسلام مثل الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام بن حنبل.. ولابد أن يتعرض للبرامكة ونكبتهم، ومن الفصول الجميلة في هذا الكتاب ما جاء عن الموسيقيين والمغنين: إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق وزرياب وابن جامع ودنانير، واخترع المؤلف شخصيتين هما بشرى وغلام يطوف بقاربه في نهر الدجلة..

وقد حشد المؤلف مئات النكت والنوادر والقفشات وكلها من التاريخ مما جعل الكتاب متعة مؤكدة وكنزًا لخفة الدم، وصورة حية لمجلس الخليفة الشهير في التاريخ، والذي نسبت إليه حكايات ومعارك وغراميات ومشاحنات ومساجلات امتلأت بها كتب التاريخ والأدب والشعر والفقه، ولا أعرف كم من الوقت استغرقه الأستاذ أبو رحمة في جمع وتنسيق هذه النكت التاريخية، ولا كيف استطاع أن ينظمها في خيط واحد، وهذا الكتاب قادر على أن ينسيك النظر إلى ساعتك وأن ترد على التليفون وموعد الغداء والعشاء، أنت في حاجة إلى من يهزك فتضحك.. ويكون الضحك أرخص علاج للملل والقرف والهم والغم وكلها مفردات الحياة في زماننا، فاقرأ يا أخي واضحك، واشكر الذي والذين يسروا لك ذلك!

الأحجـــار:

عـــلاج..

علاجك من أمراضك النفسية والجسمية عند أي جواهرجي. هذا ما يقوله د. زكريا هميمي في كتابه العجيب (علاج الأمراض بالأحجار الكريمة ـ علاج العجز الجنسي. الأرق. الالتهابات. السكر. الصرع.. الصلع والنزيف والأورام) والكتاب بالصور الملونة وفي 144 صفحة ومن منشورات (مدبولي) ..

وأما المراجع التي اعتمد عليها المؤلف فهي للإبشيهي وأبي الأكفان وابن حوقل وابن سينا وإخوان الصفا وداود الأنطاكي والبيروني والتيفاشي والحميلي والخربوطلي والمسعودي وغيرهم. وقبل أن تسيء الظن بالمؤلف الذي يرجع إلى هذه الكتب القديمة أقدمه لك: إنه د. زكريا هميمي أستاذ الجيولوجيا التركيبية وله مؤلفات عن الزلازل والذهب والإعجاز العلمي في القرآن والألماظ رتبة النبلاء والسلاطين وموسوعة الأحجار الكريمة.

هناك أحجار كريمة عضوية النشأة وليست معادن مثل: اللؤلؤ والمرجان والكهرمان وأنياب الفيل وعظام السلاحف والفيروز العظمي. والأحجار الكريمة ملونة: الياقوت (أحمر) والزمرد (أخضر) والفيروز (أزرق) أو لا لون لها مثل الألماس أو الألماظ.

والأحجار الكريمة لها صفتان: التألق. أي مقدرة البلورات على عكس الضوء إلى العين. ولها صفة التشتت: قدرة البلورات على

تشتيت الأشعة.. ومن أهم خصائص الأحجار الكريمة: أنها نادرة. وعدد المعادن التي تتكون منها قشرة الأرض نحو أربعة آلاف معدن.

والشيخ التيفاشي نقل عن الفيلسوف أرسطو أن الألماظ كان يستعان به في تفتيت حصوات المثانة وضد المغص، وإذا علقناه على المعدة من الخارج فإنه يشفيها، ويحفظ الطفل عند ولادته من الصرع ومن لدغ الثعبان!

والإبشيهي في كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف) أن الياقوت يسهل قضاء الحوائج ويدر الريق ويقطع العطش ويحفظ الإنسان من الحسد والإشعاعات الكونية..

- الفيروز يجلو البصر ويقويه وينشط الإنسان ويقيه من القتل والغرق!
- أما الزمرد الأخضر فيقول عنه أبو الأكفان في كتابه (نخب الذخائر في أحوال الجواهر) إذا شربناه مسحوقًا فإنه يشفي من السموم. ثم إنه يساعد العذارى على الاحتفاظ بعذريتهن!

أما اليشم (الجاد) الأزرق خير يقول عنه جالينوس: إنه يصلح المعدة..

أما (حجر القمر) فيقول عنه د. الجميلي في كتابه (الأحجار الكريمة): يطمئن المفزوع ويصرف الوسواس ويجمع شمل المحبين.

أما العقيق الأحمر فيقول عنه الشيخ التيفاشي يهدئ المحبين عند الخصام.. وقال الإبشيهي إنه يديم المحبة، وقد استشهد بحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام: «**من يختم بالعقيق لم يزل في بركة**».

وأنت إن لم تصدق فوائد الأحجار الكريمة التي ليست في متناول الناس، فهي معلومات عامة مفيدة كمعلوماتنا عن سطح المريخ!

أجمل محطات الدنيا

لا يعرف روما من لم يقف عند أكشاك الصحف. لم يعرف روما من لم يمش في شارع دلكورسو (السباق) ..لم يعرف روما من لم يذهب إلى محطة السكك الحديدية – روما ترميني. أنا أقول إنها أجمل محطة في الدنيا، وآخرون يقولون بل محطة موسكو أو محطة فيكتوريا في لندن – إنها مسألة مزاج وذكريات. والسكك الحديدية هي هي في أي مكان.. ولكن المعاني تخرج منا نحن، وتجعل للمكان معنى وللزمان معنى.

ولذلك فمحطة سكك حديد روما هي أجمل المحطات، وأجمل ما في روما. لماذا؟ لا يوجد سبب غير الذي حاولت أن أقوله. وقد لا يكون له معنى عندك..

وهنا ولأول مرة سنة 1950 أعطيت ظهري لنافورة (تريفي) .وكما هي العادة ألقيت الليرات التي معي في النافورة. وتمنيت. وتحققت أمنيتي عشرين.. ثلاثين مرة هي عدد زياراتي لروما بعد ذلك. وهنا في هذه الحانة الصغيرة جدًّا كان ما لست أذكره. ولكن ذكرته في عشرات من كتبي. فلا شيء يمضي. ولا شيء يذهب. وإنما كل المعاني خرجت من هنا – يدي على قلبي – وعادت إلى هنا، يدي على عقلي، ثم استقرت هنا – يدي والقلم على الورق. وهذا هو التاريخ وهذا هو

الذي يبقى، والذي من أجله نعيش وفي سبيله نموت.. ولا يبقى إلا الصدق..

يومًا سألت الشاعرة الإيطالية: قولي لي يا أدريانا.. ما اسم هذا؟ قالت: الذي يردده الناس. ولا يعرفونه. ويحاولون ولا يبلغونه. ويسألون عنه. ويجدونه في الشعر وفي اللوحات ولا يجدونه. وأنت ماذا تسميه؟

وقلت: أنا لا أسميه. فليس من الضروري أن يكون له اسم واحد.. قلت: لم أقل وإنما حاولت. سألتني الشاعرة أدريانا شيزاروه دابارکا: أينا أوضح؟ قلت: الوضوح ليس ضروريًا. وإنما الحب الواضح هو الذي انتهى. كل العشاق أوضح كلامًا في حفلات التأبين.. لا في حفلات الزفاف.. زفاف اللفظ إلى المعنى!

مـع الأب
قنواتـــي

مدينة روما لا أعرف كم مرة جئتها.. ذهابًا وإيابًا وحياة وعشاء وغداء وكتبًا وتماثيل ونافورات وأدباء وشعراء وفلاسفة.. صديقي الأديب مورافيا وزوجته الأولى ألزه مورانته وزوجته الثانية داتشا ماريانى..وبنات الفيلسوف العظيم كروتشه..

ولابد أن أضحك في كل مرة أتذكر كيف أننا جلسنا مع الأب قنواتي ثم نهضنا بسرعة لكي نبحث معًا عن موسى حلاقة جديد.. وسرنا كيلومترات لكي يشتريه أرخص من إحدى صيدليات الفاتيكان ـ إنه كاثوليكي طيب! وهنا وعلى مدى أمتار رأيت الملك فاروق لأول وآخر مرة بعد خروجه من مصر. رأيته بلا تاج ولا عرش ولا جيش.. وحده ووراءه اثنان من الحراس. ربما كان الذي يجلس إليه هو سكرتيره المصري.. كيف خرج؟ كيف أخرجوه.. هذه أول مرة أرى ملكًا مخلوعًا. فقد قامت ثورة يوليو وأنا في البحر. ولما نزلت إلى الشاطئ رأيت صورة رجل أسمر هو قائد الثورة واسمه الجنرال نجيب. من هو؟ من أين جاء؟ كيف حدث؟

وكانت الإعلانات في الشوارع عن فيلم إيطالي اسمه (عريس أنازاكيو).. أما العروس فهي الممثلة الإيطالية الجميلة سيلفانا بمبابنيني. وهي برفقة العريس. ليست هي وإنما أي جزء منها يساوي ألف عريس كهذا الذي تراه: قصير بكرش وعنده فلوس وعمدة.

وبس! وعمدة روما في ذلك الوقت ـ عند المصريين ـ كان صلاح يوسف كامل مدير الأكاديمية المصرية وابن الفنان الكبير يوسف كامل. وفلاح مصري ما تعرف.. طلياني ما تعرف.. ولكنه أحيانًا يحاول أن يكون مصريًا وفي معظم الأحيان ليس في حاجة إلى أن يحاول أن يكون إيطاليًا. وبسرعة يخرج بسيارته إلى خارج روما.. وليس صحيحًا أنني أعرف كل هذه الوجوه التي تبتسم. فهي وجوه مألوفة كما أن ضحكها عمال على بطال عادي جدًا. وليس أحد مقصودًا بكل ذلك. وهذا ما يجعل أي إنسان يشعر فورًا أنه لديه علاقات إيطالية.. وأنه في بيته أو في البيت المجاور لبيته. ورغم أن الوجوه مألوفة، فإنني لا أمل ذلك.. لأنني عاشق لروما!

طفـــل عجيـــب

في ليلة السفر لا أنـام، مع أنه لا داعي للقلق، فكل شيء مرتب تمامًا. والمقاعد محجوزة، والسيارة سوف تجيء. والوصول إلى المطار والقيام والصعود. ولكنها عادة سيئة. والدنيا مظلمة تمامًا. والساعة واضحة المعالم على شاشة التليفزيون. ومددت يدي إلى التليفون فقد حان موعد شرب الشاي الساخن. وقلت صباح الخير. من فضلك أريد شايًا ساخنًا جدًّا ولبنًا ساخنًا أيضًا. ممكن؟ فأجاب بهدوء شديد: لا شاي ولا لبن وليس ممكنًا. سألت: لماذا؟ والجواب: ليس عندنا خدمة ليلية.. وليس عندنا عمال.. إنه حكم اليورو الأوروبي على المارك الألماني. ووجدتني في قلب مشكلة أوروبية.. ولاحظت أن الطاهي نفسه كان يقدم لنا الطعام ويشارك الجرسونات في حمل الأطباق والأكواب وترتيب الملاعق والسكاكين.

وبسبب الإلحاح وأن حالتي صعبت عليه اختفى ليعود هو شخصيًّا بالشاي واللبن معتذرًا. وشكرته.

وذهبت إليه أطلب أن يأتي أحد بحقائبي من الغرفة. فاعتذر بأنه لا يوجد عمال. يعني يجب أن أحمل حقائبي إلى الطابق الأرضي أو أن يصعد السائق ويأتي بالحقائب وهذا ما حدث. والسبب أيضًا نقص الأيدي العاملة.. فمثل هذا الفندق يعتمد على المعارض الدولية للنسيج أو الكمبيوتر أو السيارات أو الأدوات الكتابية.. ولا تعليق على

ذلك وإلا انفتح عليك باب وشباك شراسة الدول الأوروبية التي تمتص رحيق الاقتصاد الألماني..

وكان لابد أن أبحث عن كتب للأطفال. وذهبت ولم أجد.. معقول! وسألت طفلًا يقلب في الكتب. فأجاب على الفور بأنها موجودة في مكتبة تحت محطة سكك حديد هانوفر. وذهبت ووجدت المكتبة مغلقة. وذهبت إلى مكتبة أخرى. وسألت فقيل إن مثل هذه الكتب أو هذه اللعب قد نفدت. ووجدت طفلًا وسألته باعتباره من أهل الذكر. فقال: بل موجودة وأنا سوف آتيك بها قبل أن تقوم من مقامك. وانطلق الطفل ونحن وراءه وأبوه وأمه. فلم يستأذن في أن يجد لي هذه الكتب. ومد يده وأخرجها من مكان لا يعرفه صاحب المكتبة.

وبدأت مشكلة من الذي يكتب الفاتورة. لا يوجد عمال. وإنما موظف واحد في المكتبة كلها بأدوارها الثلاثة. وطابور. واقترب موعد الطائرة ووجدت الطفل الصغير في الطابور فأعطيته الفلوس. وبسرعة أخرج الطفل من جيبه بقية الحساب ووضعه في جيبي. وأدهشني ذلك. ولكن لاحظت موافقة ومباركة من والديه؟!

إنـــه
القولـــون

يقول أ. د. علي مؤنس: إن جسم الإنسان معجزة الخالق في خلقه: عاش من أجله آلاف العلماء ليدرسوا هذا الإعجاز، وسيظلون دائمًا باحثين في أسراره التي ستبقى كذلك بلا نهاية – سبحان الله. وهذه هي آخر عبارة جاءت في كتابه (القولون) في 190 صفحة عن (دار مصر للطباعة).

ولسهولة الكتاب واقترابه منك، يجعلك تشعر بأنه ليس جديدًا. وأنك تعرف أكثر الذي جاء فيه. فليكن. فليس عيبًا. ولكن عندما يحدثك أستاذ حجة في هذا المرض، أو هذه الأمراض التي تبدأ بالقولون أو تنتهي به، يكون الوضع مختلفًا. على كل حال فالقولون هو مرض المثقفين، أو الموظفين الجالسين إلى مكاتبهم لا يتحركون فيصابون بالإمساك أو الانتفاخ أو بتقلص القولون (متر ونصف بعرض البطن).

ومن أشهر الذين أصيبوا بالقولون نابليون بونابرت وأستاذنا العقاد وأستاذ أساتذتنا الفيلسوف الإغريقي أرسطو.

ومن أسباب التهابات القولون: الطعام والشراب والإرهاق وعدم الحركة.

فإذا كان القولون منتفخًا أدى إلى الإمساك، وإذا كان لديك إسهال أدى إلى التهابه.. وإذا كنت عصبيًا التهب القولون والتوى واكتوى أيضًا.

ومن مزايا كتاب (القولون) أنك لا تجلس أمام المؤلف طالبًا في كلية الطب، ولا أنه يقف على منبر فيشخط وينطر، ويتهمك بالجهل والإهمال. ولكنه يجلس إلى جوارك يحدثك في عبارة عادية ويتلمس أماكن الألم من بطنك، ويصف ويحدد لك الطعام الذي يناسب. ويقدم الحكمة الحديثة والحكمة الصينية القديمة..

وكان أ. د. أنور المفتي، ولعله كان أستاذًا للدكتور علي مؤنس، يعالجنا نحن الكتاب. وكان ساخرًا عمومًا، وكان ساخرًا منا خصوصًا ويتهمنا بالوهم والمبالغة في أوجاعنا. ويندهش كيف نتصدى للرأي العام والقضايا الحيوية ونحن هكذا قابلون للكسر. وكان من رأيه ألا نجاهر بمشاكل القولون لأن هذا يسجل علينا الإهمال والكسل والجهل بما يناسبنا من الطعام والشراب والراحة وضبط النفس. وكان علاجه لنا غريبًا: قليل من الأعشاب والفحم وعسل النحل. مرة مرتين.. عشرين مرة. وبس!

ود. علي مؤنس رجل متواضع جدًا مثل عبارته البسيطة. ولكن في كتابه هذا كل ما يحتاجه كل الموظفين والصحفيين والأدباء والفنانين العصبيين.. موجوعي البطن!

مؤامـــرة القـــش

تيجي نلعب (عروستي) .أنا أبدأ: عروستي شوارعها طين، وهواؤها هباب وسماؤها شكاوى ويداها مرفوعتان إلى السماء في انتظار المعجزة طبعًا عرفت أن عروستي هي القاهرة المحروسة من العين!

لا عندك ولا عندي تفسير نقوله للناس الذين جاءوا من أطراف الدنيا للاستمتاع بجو مصر وتاريخها وشواطئها وكرم أهلها، فما الذي يمكن أن نقوله للناس عن سحب الهباب والتراب والدخان.

هل يصدقون النظرية التآمرية للقش، والخلاف بين محافظ القاهرة ومحافظ القليوبية. وأن هناك أكوامًا من القش يتم حرقها ليلا ونهارًا؟ هل تصدق أن وزراء البيئة والصحة والسياحة والحكم المحلي والأوقاف ومفتي الديار لا يعلمون بالضبط ماذا يحدث في بلادنا لبلادنا، هل يعلمون أننا بذلك نضاعف عدد الألغاز في حياتنا؟ فلماذا لا نجرب أن نقول: إنها (لعنة الفراعنة) ما دمنا لا نجد لها تفسيرًا علميًّا. فلعنة الفراعنة قد ظهرت في تاريخنا من الربع الأول للقرن الماضي عندما اكتشفوا مقبرة (توت عنخ أمون) ومات عدد كبير من العلماء ومن حفاري القبور: ومن حقنا أن نسأل ولماذا يخفي الفراعنة هبابهم عند الموت.. لماذا لا يوجهون هبابهم وترابهم إلى حدودنا الشرقية ضد إسرائيل أو ضد الأمريكان في العراق..

أو ضد لصوص الآثـار أو غاسلي الأمـوال أو سارقي أمـوال الشعب ومستقبل مصر؟! وكيف نفسر أيضًا أن الأمطار الغزيرة التي تغسل السماء، وتهبط إلى الأرض ومعها هذا الهباب ليكون منزلقًا للسيارات في كل مكان.. هل الغرض هو دحرجة السيارات وضربها لبعضها في بعض.. هل ضاق الفراعنة بالسيارات ويريدوننا أن نعود إلى عصر السماوات المفتوحة والأرض النظيفة فنستخدم عربات تجرها الخيول والأبقار والحمير! المصيبة أن الفراعنة لا يقولون، وعندما قالوا فقد كان ذلك مرة واحدة للعالم الفرنسي شامبليون، إذن لقد عرفنا: إنهم ينتظرون شامبليون في البيئة والسياسة والاقتصاد والصحة والسياحة.. أخيرًا فهمنا!

ظاهـــرة
قديمـــة..

لا يـزال في حياتنا ما نخجل منه.. ليس فقط: الحروب وظهور الطغاة في كل مكان في العالم والنهب والسلب والتزوير والرشوة والمخدرات.. هنـاك أيضًا تجارة الرقيق الأبيض الذي ملأ الدنيا، وبيع الأطفال وشراؤهم من أوروبا ومن أمريكا اللاتينية. فليس الإنسان هكذا نبيلًا شريفًا. وإنما لا يزال في أحط صوره!

وقد أعلن اليونسكو أن هذه السنة هي سنة ذكرى تحرير العبيد. وسوف تحتفل مدينة كيب كوست بهذه الذكرى الأليمة. فمن هذا الميناء في غانا كان العبيد يشحنون بالكرباج والجوع والسلاسل، حتى الموت، إلى أمريكا للعمل في البيوت والمزارع والمناجم. فقد عبر المحيط إلى أمريكا فيما بين القرنين الـ16 و19 أكثر من 16 مليونًا.

وظاهرة العبيد قديمة.. عرفتها كل الحضارات. فقد كانوا أسرى الحرب، والفقراء والمرضى كلهم يعملون بالإكراه؛ لأن العبودية معناها: أن يملك الإنسان إنسانًا آخر، فلا حقوق له ولا كرامة ولا إنسانية.

وفي عصور التنوير في القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ثار مفكرون أحرار يطالبون بتحرير الإنسان من الإنسان. فصدرت القوانين تحرم تجارة الإنسان في الإنسان.. وإنه لا كرامة لإنسان يحتكر أو يحتقر أو يمتهن إنسانًا آخر..

ولكن ظهرت تجارة العبيد بأشكال أخرى. فالكاتب الأمريكي آرثر ميللر يرى أن السينما هي أهم مراكز تجارة العبيد فهي تبيع وتشتري في الإنسان. ففي مسرحيته (بعد السقوط)، وكان قد تزوج فاتنة السينما مارلين مونرو، يتحدث إلى مارلين مونرو بمنتهى العنف. فقد كانت ترى أن كل الناس هم أصحاب الفضل عليها؛ الذي صورها والذي أخرج والذي أنتج.. ولكن آرثر ميللر ثار عليها قائلًا: بل لولاك ما كان هذا ولا ذاك فالفضل لك. أما هم فتجار يبيعون اللحم الأشقر والدم ملفوفًا في كرامة الإنسان!

ولا تزال أمريكا اللاتينية تبيع أطفالها لمن ليس له ولد.. بل إن في أمريكا شركات تطلب من الطالبات أن يحملن وأن ينجبن من أجل أن يشتريه رجل غني لا أولاد له.. وتضع الشركات شروطًا للبنات: أن يكون أسمر اللون أزرق العينين أو أخضر العينين. كيف؟ عليها هي أن تتصرف وتختار. والشركات تتكفل بولادتها وحضانة الطفل ونفقات الجامعة..

فهذه الشركات لم تحتقر الأم فقط وإنما الأب والطفل والإنسانية كلها. ولكن ليس من حق السلطة أن تعترض. فتجارة الرقيق الأسود لم تختف بينما راجت تجارة الرقيق الأبيض!

اقرأ كتاب (عار علينا) بقلم جورج أشكورد مطبوعات دار (فوكس) لندن في 220 صفحة..

وأنتــــم

أولاد المشركــين!

العالم الجليل د. أحمد عمر هاشم سوف يمتعك ويسليك ويلفتك ويدفعك إلى العناية والحفاوة بمن حولك في أسرتك. اقرأ كتابه (أبناؤنا بين الحاضر والمستقبل في رحاب الإسلام) في 200 صفحة. من مطبوعات الهيئة العامة للكتاب.

وفي كل صفحات الكتاب حكايات ونوادر وقصائد تعمق المعنى والدلالة التي يريدها وفي سهولة وفي متناول كل الناس..

يحكى أن عمر بن الخطاب وجد بعض الغلمان يلتقطون البلح.فلما رأوه خافوا وتفرقوا.. إلا واحدًا، فلما اقترب منه عمر قال الطفل: يا أمير المؤمنين هذا البلح مما ألقته الريح. فقال له: أرني أنظر إليه. فإن ما تلقيه الريح لا يخفى علي.. ثم قال له: صدقت. وفرح الطفل ثم قال له: هل ترى هؤلاء الغلمان هناك؟. إنهم ينتظرون أن أذهب وحدي ويأخذوا ما معي. فضحك عمر قائلا: ابق معي. وسار معه حتى بيته.

ومن توجيهات الرسول عليه الصلاة والسلام: لا تقتلوا الذرية (الأطفال) في الحرب. فقالوا: يا رسول الله أو ليس هم أولاد المشركين؟ قال: أو ليس خياركم أولاد المشركين؟!

وقال الرسول أيضًا: انطلقوا باسم الله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا طفلًا صغيرًا ولا امرأة.. وكثير غيرها من الأحاديث التي تؤكد حرص الرسول على الطفولة والضعفاء.

وينقل د.هاشم عن غرائب عادات المسلمين في الحفاوة بالذكور دون الإناث أن رجلًا اسمه أبو حمزة أنجبت زوجته بنتًا فهجر البيت. فسمع زوجته تقول لمولودها شعرًا:

ما لأبي حمزة لا يأتينا	يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألا نلد البنينا	تالله ما ذلك في أيدينا!

وقد أخجله ما سمع فعاد إلى ابنته وزوجته.

أما الشباب فنصيبه من الكتاب كثير. والرسول يدعو إلى القوة وإلى أن يكون الرجل رجلًا والأنثى أنثى. في ذلك احترام للإنسان ولحكمة الله في خلقه..

وهناك أحاديث كثيرة عن كراهيته للرجال الذين يتشبهون بالنساء والنساء اللواتي يتشبهن بالرجال.. متأثرين جميعًا بما يفعله الغربيون لأسباب عندهم وليست عندنا.

ولقد لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء،والمتشبهات من النساء بالرجال.

وفي نهاية الكتاب يقدم لنا د.أحمد عمر هاشم نماذج من الشباب الإسلامي:

علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عباس وعبد الله بن أبي بكر، وعامر بن فهيرة ومعاذ بن عمرو، ومصعب بن عمير، وأبو دجانة، والزبير بن العوام.. والخنساء التي قدمت أولادها الأربعة للحرب. فلما استشهدوا قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته..

ولماذا المناقرة والمناهدة بين الأزواج وبعد وقت قصير من الزواج؟ ثم كيف تتحول الفراشة الناعمة الرقيقة إلى دبور يلسع؟ وكيف يتحول الحكواتي أبو النكت والقفشات إلى طعام (بايت) وكلام ممل؟

والمناقرة؛ أي استخدام المنقار في الخناق كالديوك، والكلمة عربية فصيحة.. وكذلك المناهدة أيضًا كلمة عربية.. ونهد معناها نهض.. ونهد للحرب أي نهض للحرب..

ويقال في تفسير ذلك إن الحكايات بين الرجل والمرأة قد انتهت. وإذا كان الزوج أيام الخطوبة خفيف الدم ظريفًا ذكيًا كريمًا فكلها أدوات استخدمها لكي يعجب المحبوبة. وقد أعجبها. وتزوجا.. ولم تعد أسلحته لامعة، ولم تعد حكاياته مسلية.. ثم إنه لم يعد (سيد قراره) فالأعزب هو سيد قراره. والمرأة التي سلمت حريتها للزوج وبعد ذلك للأولاد وللأسرة وكثير من العلاقات الاجتماعية لم تعد حرة. وليست المناقرة والمناهدة إلا نوعًا من التمرد على الروتين الزوجي.

وقد قيل للرجل إن الزواج راحة جسمية ونظام. ولكن الرجل ليس عنده وقت ولا رغبة في أن يكتشف أن هذا غلط. فالمرأة ليست جسمًا فقط وإنما هي نفس أيضًا.

وحاجة المرأة الجسمية والجنسية ليست أحضانًا وقبلات، وإنما حنان. فإذا لم يتحقق كل ذلك فليست غلطة المرأة. وإنما هي غلطة الرجل. وعندما يتنبه الرجل أو المرأة لأنهما يشتركان في غلطة كبرى وأنهما في حاجة إلى مواجهة ومصارحة يكون البيت قد ازدحم بالأولاد وقد تقدم الأبوان في السن.. وانتهى العمر يا عمري..

لقد كان في نيتي أن أبعث بهذه الكلمات في رسالة خاصة للقارئة (أ.س) ولكني تراجعت حتى لا أصب بنزينًا على نار بدأت تخمد لتموت!

الشفـــاء
مـن اللـــه..

زمان ذهبت مع كاتبنا الظريف محمود السعدني - شفاه الله - ندق عيادة د. أنور المفتي. ولكن أحدًا لا يرد. أدخلنا ورقة من تحت الباب. قابلنا د. المفتي ضاحكًا وتكلمنا في السياسة والأدب.. وسألني قلت له: بطني يا دكتور. وسأل السعدني فقال: مش فيه نائب عام.. أنا متألم عام! وكتب د. المفتي ورقتين. أعطاهما لنا. ونزلنا للصيدلي وراح يتأمل ما كتبه د. المفتي كأنه يقرأ قصيدة لشوقي أو يسمع أغنية لأم كلثوم وهز رأسه طربًا. وسألناه فقال: شيء عجيب. إنه كتب لكما: أعشابًا وفحمًا وعسل نحل. ولمدة ثلاثة أيام.. هوه إنتم عندكم إيه!

تفسير هذه الفزورة: نحن نشكو من أوجاع في البطن. والسبب سوء الهضم وقلة الحركة والانتفاخ بسبب الإمساك أو بسبب الإسهال مع التوتر العصبي والكثير من القهوة والشاي واضطراب مواعيد الأكل والنوم. وبس! والمصران الغليظ هو مرض المثقفين أو البيروقراطيين - أي الذين يجلسون طويلًا إلى مكاتبهم. يحركون أيديهم وأعينهم وأرجلهم ولكنهم لا يبرحون مكاتبهم إلى السير في الشوارع ساعة كل يوم.

وقد كان الإنسان زمان يعيش على صيدلية الله؛ أي الثمار في الحدائق والبذور في الغابات، ولم يكن الهواء ملوثًا، ولا الأعصاب

محترقة. ومنذ أيام طلع علينا عالم بريطاني هو سير مايكل وكنز يقول إن نصف مرضى المستشفيات بسبب الروشتات الغلط.. أي الطبيب أخطأ في تشخيص المريض والصيدلي أخطأ في تركيب الدواء. أو أن الدواء صح ولكن ما يصلح لي لا يصلح لك.

أي أن الشفاء من عند الله، والدواء والداء من عند الدكاترة والصيادلة والذين يسرفون على أنفسهم في الأكل والشرب والكسل!

وعدل
عن المشروع

كان مؤنس طه حسين (82 سنة) مريضًا من وقت طويل. وقد أبعده المرض وعزله عن الناس. وانفرد به السرطان فكان موته متوقعًا.

وقد عمل في بداية حياته مدرسًا بقسم اللغة الفرنسية في آداب القاهرة. ثم قرر الهجرة إلى فرنسا وكان مسئول الترجمة في منظمة اليونسكو. أما زوجته فهي ليلى العلايلي حفيدة أمير الشعراء أحمد شوقي. أما أختها وصديقتنا العزيزة فهي إقبال العلايلي التي تزوجت الأديب المصري جورج حنين. أما ابنة مؤنس طه حسين فاسمها أمينة، وكانت أخته الوحيدة اسمها أمينة أيضًا وهي زوجة د.محمد حسن الزيات وزير الخارجية الأسبق. وماتت زوجة مؤنس ونظم فيها شعرًا بالفرنسية.

ولم أَرَ د. مؤنس طه حسين إلا مرة واحدة عندما جمعنا د. طه حسين في مؤسسة فرانكلين ليقول لنا خبرًا سعيدًا. وهو أنه قرر أن يشرف على ترجمة كل مسرحيات شيكسبير. ووزع علينا المسرحيات. وكلف ابنه مؤنس بترجمة مسرحية (روميو وجولييت).... وأدهشنا ذلك. فلم يكن مؤنس طه حسين متمكنًا من اللغة العربية ولا قادرًا على أن ينقل شاعرية شيكسبير إلى العربية الشاعرية أيضًا. ولكن أحدًا منا لم يسأل طه حسين لماذا؟ وفجأة وبعد فترة قصيرة قال لنا طه حسين

إنه عدل عن المشروع.. وعرفنا فيما بعد أن خلافًا بينه وبين مؤسسة فرانكلين قد أنهى هذا الحلم الجريء! وكتب مؤنس طه حسين مذكراته.. وعلمت من الأستاذ علي القاضي الذي كان مستشارنا الإعلامي وهو زوج بنت أخت مؤنس طه حسين أن هذه المذكرات تحتاج إلى مراجعة. ففيها كلام لا يستأهل النشر. وإنما هو تسجيل لأحداث يومية لا قيمة لها. ولذلك لابد أن تقوم ابنته أمينة بتصفية هذه المذكرات حتى تصبح صالحة للنشر. وقد أهداها مؤنس طه حسين إلى ابنته وأحفاده. أما ابنته أمينة فهي تعمل مشرفة على متحف آسيوي في باريس. أما زوجها فياباني وقد أنجبت منه ولدين... وزوجها أستاذ للغات الشرقية في إحدى جامعات فرنسا.

وكنت قد سمعت من الأديبة المصرية البريطانية (جويس منصور) أن د. مؤنس طه حسين قد وعدها بأن يشتركا معًا في كتاب عن الحياة مع والده طه حسين، على أن تكتب هي قصة حياة سوزي زوجة طه حسين. وأنهما اتفقا مع ناشر فرنسي على ذلك.. ويبدو أنها كانت فكرة وقد ماتت معهما. شيء غريب: فكل أولاد الأدباء ليسوا كذلك!

عبـــد المنعـــم
الحفنـــي

يا دكتور عبدالمنعم الحفني ماذا تسمي هذا الجهد العظيم الذي تقوم به وحدك. إن آخر مؤلفاتك في أربعة آلاف صفحة. اسم مؤلفك الضخم هو (موسوعة القرآن العظيم) في مجلدين من منشورات مدبولي!

وقبل ذلك أصدر هذا الباحث المحترم عددًا من الموسوعات في الدين والمذاهب وعلم النفس وعلماء النفس والفلسفة والفلاسفة والتصوف، وعددًا من المعاجم الفلسفية والنفسية. ولا أعرف أحدًا قد فعل مثل الذي فعله د. عبدالمنعم الحفني. وقد ألهمه الله الصبر على المتاعب ومنحه التواضع والتصوف. ولابد أن تكون راحة البال هي الجزاء الذي وهبه الله إياه..

ففي هذه الموسوعة الجديدة: قدم لنا القرآن وقصصه وأمثاله وسوره وأسباب نزول آياته وشبهات المستشرقين من اليهود والنصارى والمسلمين والردود عليها. وعلى اتهاماتهم للنبي ﷺ فيما يخص القرآن والشروح في مسائل الزواج والطلاق والميراث، وما في القرآن من اقتصاد وقانون جنائي وتجاري، والحدود والآراء فيها والمرأة ومكانتها وحقوقها، وحقوق الإنسان عمومًا.. والمقارنة بين القرآن والتوراة والأناجيل.. والموسوعة بيان لعلوم القرآن وما

ينبغي للمسلم عند تلاوته وحفظه وتقييم كتب التفسير السابقة، وأوجه العظمة في القرآن، وأنه لا ينافي العلوم ولا التقدم ولا السلام، ويدعو إلى التفاهم بين الشعوب والتعارف فيما بينها.. ولسهولة العبارة وحسن العرض والوضوح الشديد، فإن هذه الموسوعة يجب أن تكون في كل بيت، وعلى كل مكتب. لأنها خلاصة قراءة واسعة ومئات الساعات من المتابعة والتدوين والتأليف والمراجعة.. إنها ليست كتابًا واحدًا في مجلدين وإنما هي مكتبة من ألوف الكتب، استطاع د. عبدالمنعم الحفني أن يوفر عليك كل هذا العناء والعذاب وأن يجعلها كلها سائغة سهلة العبارة مفهومة لأقل الناس ثقافة.

وهذا مما يضاعف تقديرنا لهذا الجهد العظيم الذي بذله عالم جاد صابر لا يبغي إلا وجه الله.. فشكرًا له، وثوابه العظيم عند الله.. وأرجو أن يكون عند الناس أيضًا..

عاشـــق للفـــلك..

لا فائدة من كل هذا الذي أقرؤه بمتعة ساعات طويلة. لا فائدة لي أو لأحد من الناس. ولكني مستمتع والذين ألفوا هذه الكتب يجدون متعة.

ما الموضوع؟ أنا واحد من الذين يعشقون الفلك والنظر إلى السماء الصافية – لا توجد عندنا هذه السماء. وإنما هناك في الصحاري البعيدة عن الأضواء وعن بخار الماء والتلوث... أو رؤية ذلك في الأفلام العلمية أو الكتب الفخمة الغنية بالمعلومات والألوان.

مثلًا: اتفق العلماء على أن الكون بدأ من 15 ألف مليون سنة.. أو من 14 أو 13 أو 12 ألف مليون سنة. وإيه يعني؟ ولا حاجة. وأن هذا الكون قد بدأ على شكل ذرة لا نهاية لكثافتها. وفجأة انفجرت الذرة وتناثرت في كل الاتجاهات وتحولت إلى ما لانهاية له من النجوم والكواكب والشهب والنيازك والسحب.. ولا يزال الكون يتسع منذ ذلك الوقت. إلى أين؟ لا نعرف. وكيف كان الكون قبل هذا الانفجار؟ لا نعرف. وهل هذا الكون الذي نعرف جزءًا ضئيلًا جدًّا منه هو الكون الوحيد؟ الجواب: لا.. بل هناك ملايين الأكوان. هل استفدت أنت أي شيء مما قلت؟ لا أنت ولا أنا.!

وفي الوقت نفسه من الممكن أن تتغير كل هذه النظريات وتتهاوى كل هذه المعلومات التي نراها اليوم اكتشافًا عظيمًا.

ولكن لماذا يبحث هؤلاء العلماء في عز الليالي في مراصدهم؟ ويحللون ما تبعث به المراصد المدارية حول الأرض أو التي استقرت فوق القمر أو فوق المريخ أو فوق أحد الأقمار التي تدور حول كوكب المشتري؟ إنهم يريدون أن يعرفوا. فربما كانت لهذه المعلومات فائدة فيما بعد.. فائدة لأناس في استطاعتهم أن يكونوا سببًا في تطور الحياة... في إسعاد الإنسان وراحته. ولكن العلماء يستمتعون شخصيًا. ونحن الذين نقرأ أيضًا. ولكن ليس في استطاعتهم أن يكونوا سببًا في تحسين صناعة الخبز أو الشفاء من الصداع. إنها عوالم رائعة مروعة وبس. صحيح لا فائدة منها ولا فائدة لها. ولكن لا أقوى على مقاومة هذه الروعة والأبهة في السماء ثم الانحناء طول الليل والنهار أمام عظمة وجلال الله!

واحـــد لــه اسمـــي!

الأعمار بيد الله. فقد نشرت الصحف نعيًا وتلقيت العزاء فيمن ليس ابني ـ فليس لي أبناء. فشكرًا للذين بعثوا بالبرقيات ولا أستطيع أن أبعث بها إلى أهل الفقيد، فليسوا المقصودين كما أنني كذلك. وهذا يدل على نشاط سكرتارية الوزراء ورؤساء مجالس الإدارات الذين لم يكادوا يرون اسمي حتى قاموا بالواجب وزيادة. فالذي نشرته الصحف أن الذي ابنه قد مات هو السيد محمد أنيس منصور. وأنا اسمي أنيس محمد منصور.

وأول مرة عرفت أن هناك من يدعي أنه يكتب ما أكتبه عندما نبهتني إلى ذلك الفنانة الكبيرة زوزو ماضي. وسألتني. وقلت لها. ثم اضطررت إلى نشر صورتي.. وفي يوم ذهبت أقبض مرتبي عندما قال مدير خزينة (أخبار اليوم) إن البنك حجز على مرتبك. وكانت مشكلة هذا الرجل الذي له اسمي أنه مزنوق في تجهيز إحدى بناته. ومرة أخرى ذهبت أزور صديقي حمدي عاشور محافظ الإسكندرية وكنت قد طلبت منه كابينة في المنتزه.

فبادرني بقوله: يعني لا حمد ولا شكر؟! فقلت: على إيه؟.. فقال مستنكرًا: على الكابينة في المنتزه. وكانت مفاجأة. فقد ذهب واحد، وسألوه إن كان هو فلان. فقال نعم: اسمي أنيس منصور. مبروك عليك يا بيه. وكانت الكابينة من نصيبه.

وبالأمس وأنا أقرأ في تاريخ الجبرتي (عجائب الآثار) رفعت رأسي بسرعة منزعجًا فقد وجدت في الهامش موت الأمير أحمد شنن أبن أخي شيخ الأزهر ـ أعوذ بالله! ففي لحظة قفز إلى رأسي صديقي المحامي الكبير أحمد شنن ـ مع أن المسافة بين أحمد زمان وأحمد اليوم أكثر من 200 سنة!

بل حدث أن وجدت واحدًا له اسمي في صفحة الوفيات ومضيت أقرأ النعي مندهشًا كيف أن كل هؤلاء الذين لا أعرفهم أقاربي. وفي النهاية أفقت؛ أنني لست الفقيد! غريبة! ولكن حدثت!

كيف نتعلم الدين

القضية ليست: دين أو لا دين. فالدين ليس قضية. وإنما كيف نتعلم الدين أو كيف نعلم الصغار والشباب مبادئ دينهم. ومن الذي يعلمهم ويظل محترمًا محبوبًا عميق الأثر فيهم.. ولا أقصد أحدًا من السادة الذين يتحدثون عن الأخلاق الكريمة التي يدعو لها الدين في التليفزيون. أما إنهم علماء فلا شك في ذلك. وإنهم مخلصون صادقون ولكن.. نعم ولكن ليس هذا هو الأسلوب.. وليست هذه هي القضايا. وأنا لا أنسى خطبة الجمعة في الحرم المكي. خطبة لم أسمع لها مثيلًا. ولا أعرف كيف نجح الخطيب في ذلك. ولا لماذا لم يعلق أحد على هذه الخطبة. لقد كانت مفاجأة. وقد كتبت هنا تعليقًا عليها. لقد ابتعدت الخطبة عن (العنعنة) أي عن فلان عن علان عن ترتان إنه قال كذا وكذا. وإنما الخطيب عرض قضايا الشبان المعاصرين تمامًا كأنه يكتب أو يقرأ في صحيفة أو مجلة للشباب. شيء عجيب! وقال وناقش واستشهد بأسماء لأناس أحياء. شيء عجيب. وانتهت الخطبة بسرعة. وبدأت أفكر! وعندنا نموذجان ناجحان لمعالجة قضايا الشباب: أحدهما (امرأة من زمن الحب) بطولة سميرة أحمد والثاني (العمة نور) بطولة نبيلة عبيد. القضايا واحدة. ولكن الأسلوب مختلف تمامًا. ففي مسلسل سميرة أحمد:

فن وشجاعة وإقناع وصبر وتسامح. ففي هذا المسلسل نواجه كل مشاكل الشباب والبيت والأسرة والمجتمع بالحوار وبالعقل. وهي قضايا حيوية حقيقية. ولكن العلاج كان سهلًا وجميلًا وذكيًا.

ومسلسل نبيلة عبيد يواجه عددًا من المشاكل الحقيقية، والعلاج تربوي ساذج، ولكنه صادق وعلى حساب الفن والحرفنة والواقعية. والذي يهمنا هو عرض المشاكل ومحاصرتها وشرحها وتشريحها بشجاعة وصدق. إننا في بعض الأحيان نضيق بما نرى ولكن الإنصاف يجعلنا نعترف ببراعة المؤلف الفنان في مسلسل سميرة أحمد وافتقار المؤلف المدرس الواعظ في مسلسل نبيلة عبيد إلى ذلك. وكلا المؤلفين يريد حلًا.. حلولًا لمشاكل ازدادت تعقيدًا.. ولكن لابد أن نحاول وأن نرسم طريقًا ونموذجًا. وقد نجح المؤلفان، ولكن اثنين لا يكفيان لحل ألف مشكلة!

اسألوا الفلاسفة

عندما كان الأديب العظيم سومرست موم في القاهرة سألته: كيف يعمل كاتب عظيم مثلك في المخابرات؟

ولابد أن السؤال ساذج لدرجة أن الرجل لم يشأ أن يصدمني فسألني: وإذا انتشر مرض من الأمراض فهل تبعث دولتك بمهندس أو أديب أو بطبيب.. وإذا الفيضان أغرق مصر فهل تجند الحكومة المحامين والقضاة أو تستعين بالمهندسين؟

وكذلك في الحرب العالمية الأولى والثانية لكي تعرف الدول اتجاه الرأي العام في بلادها والبلاد الأخرى كان لابد أن تجند علماء النفس والمفكرين.. وهذا بالضبط ما فعلته دولتي معي!

معقول.. تذكرت ذلك عندما فوجئت بأن إحدى الصحف البريطانية قد طلبت من أساتذة الفلسفة في الجامعات الإنجليزية أن يقولوا رأيهم عن الشعور العام في بريطانيا قبل وأثناء المباراة النهائية بين بريطانيا وألمانيا على كأس العالم في كرة القدم.. لقد اختلطت مشاعر الناس.. وعادت إليهم مشاعر الحرب العالمية الثانية عندما ضرب الألمان لندن بالصواريخ التي استولى عليها الأمريكان فأطلقوها إلى الفضاء تحمل أقمارها الصناعية.. فهل هي حرب أخرى؟ هل ينتصر الألمان في الملاعب، أو هل ينتصر الإنجليز؟

وهل طبيعي أن يسترجع الناس مشاعرهم القديمة؟ وهل الألمان والإنجليز لم ينسهم الزمان ما كان مع أن الدنيا تغيرت في الحرب وفي السياسة والرياضة.. وأصبح أعداء الأمس أصدقاء اليوم والغد!

اتجهت الصحف إلى الفلاسفة – فلاسفة فعلاً – ولا أعرف كيف يكون شعور د. الجنزوري لو سأله أحد عن مباراة الأهلي والزمالك.. إن أحدًا لن يذهب إليه.. لأن السؤال لا يصح.. فالرجل غرقان في تصحيح الأوضاع الاقتصادية في مصر.. مع أن هذا هو السبب الوحيد لأن ينصرف رئيس الوزراء من الهم والغم ويفرفش بالفرجة على الكرة..

وحتى إذا رأى الكرة فلن يقول رأيه ظنًّا أنه لا يصح أن ينشغل بالفرجة على اللعبة.. مع أننا نرجوه ونتوسل إليه، بأن يفرفش ويخفف التوتر العصبي حتى يكون قادرًا على التفكير والتدبير لصالح الشعب..

كما أنني غير موافق على ما قاله الرئيس مبارك من أنه لا يأخذ إجازة بل يجب أن تكون لك إجازة يا ريس.. كل رؤساء الدنيا يفعلون ذلك من أجل صحتك وصحة قراراتك المصيرية!

ولكنهم في بريطانيا أساتذة الفلسفة.. قال آدم مورثون أستاذ الفلسفة بجامعة برستول: ليس النصر أو الهزيمة هو الذي يهم، ولكن الذي يهم أكثر هو رد فعل الناس.

فلو انتصرت ألمانيا لقال الإنجليز إننا نستحق هذه الهزيمة ونستحق من ألمانيا ما هو أكثر، ولو انتصرنا على ألمانيا، لكان ذلك

هو الانتصار الثالث على ألمانيا -انتصارنا في الحرب العالمية الأولى وانتصارنا في الحرب العالمية الثانية.

ومن المضحك أن الإنجليز يعتقدون خطأ أنهم قد انتصروا على ألمانيا في الحرب العالمية الثانية؟!

ومن الطبيعي من الناحية الإنسانية أن يجد الناس أنفسهم في شيء يستغرقهم، وكرة القدم هي أعظم نشاط للتعبير عن استغراق الناس في شيء، أما الدرس المستفاد الذي نستخرجه من كرة القدم فهو أن النظام القبلي والحماس القبلي، لا يزالان مسيطرين على الناس.

وقال دافيد كوبر أستاذ الفلسفة بجامعة ديرهام:

لو كان فيلسوف العسكرية الألماني كلاوسفتش حيًا لقال: إن كرة القدم، وليست السياسة، هي استمرار للحرب، ولكن بأساليب أخرى.

فبريطانيا لا تلاعب فريقًا، بل تحارب عدوًّا ألمانيًّا. إنها روح مباراة كأس العالم سنة 1966 التي استعادت فيها روح الحرب قوتها.. وفي تلك الحرب نظر الشعب الإنجليزي إلى اللاعب الألماني بكنباور على أنه روميل ثعلب الصحراء الذي مسح بنا الأرض ورحنا نحلف بحياته!

وهناك ثلاثة ردود فعل لهذه الروح الحربية:

1- إنها لعب ومرح.. فليكن..

2- إنها الحرب التي يجب أن نحترم فيها العدو من أي دين ومن أية لغة.. وخاصة إذا كانت الحرب مع الألمان..

3- إنه أفضل للناس أن ينفسوا عن عدائهم في الملاعب بدلاً من صفحات الصحف وساحات القتال.

ولن نعرف قبل انطلاق صفارة الحكم هل الذي حدث كان لعبًا أو حربًا وهي فرصة لأن نطهر أنفسنا من العداء التاريخي.. ونسلم بالمنافسة التقليدية المحترمة..

وما زال هناك فلاسفة آخرون لهم رأي في كأس العالم بين ألمانيا وبريطانيا في لندن..

يقول د. جوردون رديفورد أستاذ الفلسفة بجامعة برستول:

أن نكسب مباراة أو أن نخسر مباراة. هو انتصار أو هزيمة أخلاقية.. فالأماني الوطنية كلها معلقة على هذه المنافسة بين بريطانيا وألمانيا. وقد اتخذ اللاعب دور السفير إلى دولة أخرى، فالحصول على الكأس هو انتصار وطني، والهزيمة هي انكسار للروح الرياضية وخيبة أمل اللاعبين. وفي الحالتين نحن نخدع أنفسنا تمامًا.

فاللاعبون البريطانيون ليسوا أحسن خلق الله والألمان ليسوا أسوأ من خلق. فإذا كان اللعب بارعًا على الجانبين، فهو متعة وانتصار لنا جميعًا وإذا كان اللعب سيئًا على الجانبين فالمنهزم نحن أولاً!

ويقول د. جون هالدين أستاذ الفلسفة بجامعة سانت أندورز:

كرة القدم جزء من النشاط الرياضي والحيوية الرياضية وكما أن هناك أشكالاً جميلة وأشكالاً قبيحة في الاسترخاء على البلاجات

فكذلك في كرة القدم. نحن عندما نلتقي لا نفكر في كل هذه المعاني ولكن يجب أن نتساءل: لماذا لعبنا هكذا؟ وسؤال آخر: ما دمنا قد لعبنا فكيف كان ذلك؟ فالألعاب كثيرة وليست كلها تنافسية فصيد السمك ليس تنافسًا مع السفن ذات الأجهزة الإلكترونية في الصيد، ولكنه تنافس ضد شيء ما.. ضد السمك وضد الموج والأحوال الجوية، وتظهر براعة الصياد في التغلب على كل ذلك..

وإذا نحن قلنا إن الرياضة هي الأهم، كان معنى ذلك أن النصر أو الهزيمة لا يهم. ولكن هذا خطأ، ففي الرياضة كما في الحياة لابد من هدف نسعى إلى تحقيقه. وكل نشاط له تحديات يواجهها.. تحديات النصر أو الهزيمة.. وهذا هو معنى الحياة!

ويقول د. توني سكلين أستاذ الفلسفة بجامعة كنت: في ملحمة هوميروس نجد أن المنتصر في الملاكمة يواسي خصمه المنهزم ويمسح على جراحه، فالروح الرياضية النظيفة قديمة قدم الحضارة الإنسانية. وإرادة النصر أساسية في كل رياضة وخصوصًا في مباريات كرة القدم التي تحتاج إلى براعة وذكاء وشجاعة وصبر وروح الفريق. والرياضة تغري الإنسان بأن يستسلم عندما يجد نفسه متخلفًا أو عاجزًا أو تجعل الإنسان شديد الاعتداد بالنفس عندما يتقدم على خصمه فملاعب كرة القدم هي مسرح القيم الأخلاقية والجمالية أيضًا. فالقانون والحكام يفرملون المشاعر العنيفة للاعبين.

وألمانيا وبريطانيا هما أكثر دول العالم تمسكًا بالمثالية في اللعب. فلنستحضر كل هذه المعاني قبل المباراة المهمة وأثناءها وبعدها!

وأخيرًا تقول د. براندا ألموند أستاذة الفلسفة بجامعة هل: يقال إن كرة القدم لعبة يؤديها أناس مهذبون أمام جمهور همجي.. ولكن ليس هذا مبررًا لأن نجعل هذه العبارة حقيقة مؤكدة. فليس أسهل من إطلاق الكراهية الدفينة في قلوب المتفرجين.. وأصعب من ذلك أن نعيد هذه الكراهية فندفنها في قلوب الناس. وهناك فرق كبير بين أن تثير الحماس والنعرة الوطنية وأن تثير الأحقاد العنصرية! فهل من المهم أن تنتصر إنجلترا؟ لا يهم. إنني أفضل أن ننهزم مهذبين، على أن ننتصر وحوشًا برابرة! إن بعض النقاد يدعوننا إلى أن نستعيد ذكريات الحرب العالمية الثانية – عندما حاربنا الألمان، فليكن فلنقبل هذه الدعوة لنقل إن الذين حاربناهم سنة 1939 قد ذهب بهم الزمن، ولم يعد لهم وجود. إنهم الآن أطول وأعرض بسلوكهم وشجاعتهم وقدرتهم على أن يحتفظوا بكوب البيرة عاليًا وفي مكانه الصحيح. دعونا نأمل في حالة النصر عليهم أو الهزيمة إلى أن يعتقد الألمان أننا نستحق منافستهم وإذا لم نستطع فخير لنا أن ننسحب من الرياضة الدولية ونقبع في بيوتنا هادئين خامدين خاملين!

وقال د. ألفرد راو شنياخ أستاذ الفلسفة بجامعة تينجن الألمانية قبل أن يتفرج على مونديال كرة القدم في لندن:

لم أجد نفسي قبل ذلك في هذا الوضع الصعب.. فأنا أحاضر في الفلسفة في جامعات كثيرة. وأتحدث عن الفلاسفة الإنجليز بمنتهى الإعجاب والصدق. والإنجليز يحاضرون عن الفلاسفة الألمان. وعلماء الفيزياء والكيمياء الألمانية بمنتهى الإعجاب والإخلاص..

فلا أنا شعرت بأنني غريب ولا هم يشعرون بالغربة. إننا جميعًا نطلب الحقيقة ونجد في ذلك متعة كبرى.. ولم أفكر لحظة واحدة أنني أدرس فلسفة عدوي، ولا كان لديهم هذا الشعور.. ولم أشعر لحظة بأنني سوف أتفرج على أعدائي يهزمون أو ينهزمون أمام أهلي. إنها رياضة.. تمامًا كالفلسفة والفيزياء.. فنحن مبهورون بالفكر الجديد البديع والأداء الذكي والشجاعة والاحترام للكرة أينما استقرت.. فإن لم يكن هذا حال كل الناس.. فواجبنا أن نجعله كذلك!

انتهى كلام الفلاسفة ويستحق أن نعيد قراءته وأن نتساءل: هل لو فعلنا شيئًا من مثل ذلك في مصر هل يلقى نفس الاهتمام والاحترام والنتيجة؟!

لم تناقش الصحف البريطانية هزيمة أبطالها في كل الألعاب الأوليمبية.. فهي لم تحصل إلا على ميدالية ذهبية مثل فرنسا وإيطاليا..

ولكن الصحف راحت تناقش قضية فتاة الجمباز الإنجليزية التي هي في الخامسة عشرة من عمرها وتبدو كما لو كانت في التاسعة وقد لاحظت الصحف أن أختها الصغرى أطول وأعرض ولها ملامح أنثوية بينما البطلة ليست لها هذه الملامح بل لم تعرف العادة الشهرية بعد.

وقد لاحظ عدد من الأطباء أن معظم بطلات الرياضة محرومات من الأنوثة والقدرة على الحمل وسهولة الولادة. فالبطلة الرياضية تدفع ثمنًا فادحًا من أجل أن تحتفظ بالرشاقة والعضلات القوية، هذا الثمن سوف تدفعه مضاعفًا فيما بعد.

والقضية كيف تفوقت الفتيات الصغيرات بالجوع والتدريب الشاق ساعات طويلة من الليل والنهار لا يأكلن إلا ما يقرره المدرب

فلا تستطيع الواحدة أن تأكل ملعقة أرز أكثر من المقرر، ولا قطعة حلوى إلا مرة كل شهر!

وربما كان ذلك هو السبب الذي جعل بعض الدول تدس المنشطات المجهولة في طعام وشراب اللاعبات. ولاحظ الأطباء أن لاعبات الجمباز اللاتي يؤدين المعجزات في القفز والدوران والثبات ولمدة دقيقة واحدة يلهثن ويتصببن عرقًا بسبب التدريب العنيف مع نقص الطاقة فما هو الحل؟

هذه هي القضية؛ ولذلك رأى الأطباء الإنجليز أنه لابد من إعادة النظر في الطعام والشراب وساعات التدريب ولابد من أطعمة تحقق القوة والصحة ولا تؤدي إلى زيادة الوزن دون إصابة اللاعبة بالتخلف الجنسي ولا توقف نمو الأنوثة والأمومة.

وقد بعث أولياء أمور البطلات يروين قصصًا عجيبة عن الفتيات الصغيرات اللاتي أصبن بالفزع والرعشة المبكرة وكوابيس اليقظة والنوم أيضًا.

كما أن سيدة قد بعثت برسالة توقع القلب تقول فيها: إن الملايين قد صفقوا لابنتي فلما انتهت الدورة السابقة وعادت إلى بيتها لم يتقدم لها عريس واحد.. فقد ازدادت ابنتي ضعفًا وهي الآن مريضة وفي وحدة تامة.. لا جماهير ولا أضواء ولا قدرة على علاج ولا أمل في شفاء!

عندي فيلم عن بطلة الجمباز الرومانية نادية كومانيتشي؛ الفيلم يحكي ميلاد بطلة عالمية – هذه البطلة أو أية بطلة أخرى – ويبدأ إعداد البطلة وهي في الرابعة أو الخامسة من عمرها.. إنها صناعة

بطلة. فالأيدي تمتد إلى ذراعها وساقيها وبطنها وظهرها وصدرها.. وامتحان عضلاتها واحدة واحدة ووزنها وطولها..

ويجيء المدربون والأطباء يدرسون كل طفلة على حدة. ويقررون ما الذي يمكن عمله لكي تصبح العضلات قوية. ولكي تنمو كلها في وقت واحد .. وكيف يمكن تخفيف الدهن والشحم في هذا المكان وكيف يمكن الضغط على المعدة حتى لا تحتاج إلى طعام كثير.. أو حتى لا تطلبه إذا جاعت.. أو حتى لا تجوع مطلقًا مهما احتاجت إلى الطعام..

وكيف أن البطلة توضع في إطارات من حديد.. مشيتها.. جلستها.. نومها على جانب.. ونومها على الجانب الآخر في اليوم التالي.. وإذا وقفت وإذا انحنت.. وإذا تحدثت وإذا جلست وإذا مدت عنقها.. وكيف تقوي عضلات العنق.. وكيف تضع الكتب على دماغها دائمًا.. وكل أسبوع تضاعف عدد الكتب التي تحملها على دماغها وتطلع بها السلم وتنزل ولا تهتز الكتب ولا تسقط.. وكيف يجيء من ورائها زميل أو زميلة وتصرخ فتفزع الفتاة. ولكن يجب ألا تسقط الكتب. كيف؟ هذا ما يحدث.. وإذا تعثرت في شيء فيجب أن يكون رد الفعل رشيقًا أنيقًا كأن تقفز إلى أعلى والكتب فوق دماغها كأنها غزال برية أو أفعى هندية.

وفي يوم – يحكي لنا الفيلم – أكلت نادية قطعة سكر دون إذن من المدرب. طفلة حتموت على حتة سكر وأكلتها! وعلم المدرب فكان يومها عصيبًا. لقد طلب إليها أن تحزم كل أمتعتها وتضعها على ظهرها في أناقة وأن تمشي وراءه ذهابًا وإيابًا عشرة كيلومترات –

حتى يقضي هذا المشوار على أثر قطعة السكر! ويجري دائمًا تفتيش هدايا الآباء والأمهات للبطلات الصغيرات حتى لا تحتوي على ما تحتاجه البطلات من طعام أو شراب.. فالفتاة التي نراها تقفز لفوق لمدة دقيقة واحدة، قد تدربت على هذه الشقاوة عشر سنوات – بلا هوادة ولا رحمة!

الفهــرس

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستاذ

أنيس منصور

(أ) ترجمة ذاتية:

1- في صالون العقاد.. كانت لنا أيام.
2- عاشوا في حياتي.
3 - إلا قليلًا.
4- طلع البدر علينا.
5- البقية في حياتي.
6 - نحن أولاد الغجر.
7- من نفسي.
8 - حتى أنت يا أنا.
9 - أضواء وضوضاء.
10- كل شيء نسبي.
11- لأول مرة.
12- شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

13- الحائط والدموع.
14- وجع في قلب إسرائيل.
15- الصابرا (الجيل الجديد في إسرائيل).
16- عبد الناصر - المفترى عليه والمفتري علينا.
17- في السياسة (3 أجزاء).
18- الدين والديناميت.
19- لا حرب في أكتوبر ولا سلام.
20- السيدة الأولى.
21- التاريخ أنياب وأظافر.
22- الخالدون مائة - أعظمهم محمد (ﷺ).
23- على رقاب العباد.
24- ديانات أخرى.
25- وكانت الصحة هي الثمن.
26- الغرباء.
27- الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

28- عزيزي فلان.
29- هي وغيرها.
30- بقايا كل شيء.
31- يا من كنت حبيبي.
32- قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

•• للأديب السويسري فريدريش ديرنمات:

33- رومولوس العظيم.
34- زيارة السيدة العجوز.
35- زواج السيد مسيسبي.
36- الشهاب.
37- هي وعشاقها.

•• للأديب السويسري ماكس فريش:

38- أمير الأراضي البور.
39- مشعلو النيران.

•• للأديب الفرنسي جان جيرودو:

40- من أجل سواد عينيها.

•• للأديب الأمريكي آرثر ميللر:

41- بعد السقوط.

•• للأديب الأمريكي تنسي وليامز:

42- فوق الكهف.

•• للأديب الأمريكي يوجين أونيل:

43- الإمبراطور جونس.

•• للأديب الفرنسي يوجين يونسكو:

44- تعب كلها الحياة.

** للأديب الفرنسي أداموف:

45- الباب والشباك.

** للأديب الإسباني أرابال:

46- ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

47- الحنان أقوى.

48- من أول نظرة.

49- طريق العذاب.

50- ألوان من الحب.

51- شباب.. شباب.

52- مذكرات شاب غاضب.

53- مذكرات شابة غاضبة.

54- جسمك لا يكذب.

55- الذين هاجروا.

56- غرباء في كل عصر.

57- أظافرها الطويلة.

58- هموم هذا الزمان.

59- زمن الهموم الكبيرة.

60- الحب الذي بيننا.

61- عذاب كل يوم.

62- كيمياء الفضيحة.

63- كل معاني الحب.

(و) دراسات علمية:

64- الذين هبطوا من السماء.

65- الذين عادوا إلى السماء.

66- القوى الخفية.

67- أرواح وأشباح.

68- لعنة الفراعنة.

(ز) نقد أدبي:

69- يسقط الحائط الرابع.

70- وداعًا أيها الملل.

71- كرسي على الشمال.

72- ساعات بلا عقارب.

73- مع الآخرين.

74- شيء من الفكر.

75- لو كنت أيوب.

76- يعيش.. يعيش.

77- الوجودية.

78- طريق العذاب.

79- وحدي.. مع الآخرين.

80- ما لا تعلمون.

81- لحظات مسروقة.

82- كتَاب عن كتب.

83- أنتم الناس أيها الشعراء.

84- أيها الموت.. لحظة من فضلك.

85- أوراق على شجر.

86- في تلك السنة.

87- دراسات في الأدب الأمريكي.

88- دراسات في الأدب الألماني.

89- دراسات في الأدب الإيطالي.

90- فلاسفة وجوديون.

91- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

92- حول العالم في 200 يوم.

93- بلاد الله خلق الله.

94- غريب في بلاد غريبة.

95- اليمن ذلك المجهول.

96- أنت في اليابان وبلاد أخرى.

97- أطيب تحياتي من موسكو.

98- أعجب الرحلات في التاريخ.

99- ماذا يريد الشباب؟

100- الرصاص لا يقتل العصافير.

(ط) مسرحيات كوميدية:

101- مدرسة الحب.

102- حلمك يا شيخ علام.

103- مين قتل مين؟

104- جمعية كل واشكر.

105- الأحياء المجاورة.

106- سلطان زمانه.

107- العبقري.

108- كلام لك يا جارة.

109- فوق الركبة.

110- هذه الصغيرة (وقصص أخرى).

111- يوم بيوم.

112- إنها الأشياء الصغيرة.

113- إلا فاطمة.

114- القلب أبدًا يدق.

(ى) المسلسلات التليفزيونية:

115- حقنة بينج.

116- اتنين.. اتنين.

117- عريس فاطمة.

118- من الذي لا يحب فاطمة؟

119- غاضبون وغاضبات.

120- هي وغيرها.

121- هي وعشاقها.

122- العبقري.

123- القلب أبدًا يدق.

124- يعود الماضي يعود.

(ك) كتب (مقالات):

125- ثم ضاع الطريق.

126- النجوم تولد وتموت.

127- هناك أمل.

128- أحب وأكره.

129- الحيوانات ألطف كثيرًا.

130- مصباح لكل إنسان.

131- أتمنى لك.

132- لعل الموت ينسانا.

133- اقرأ أي شيء.

134- ولكني أتأمل.

135- حتى تعرف نفسك.

136- الحب والفلوس والموت.. وأنا.

137- نحن كذلك!!

138- اللهم إني سائح.

139- كائنات فوق.

140- تعال نفكر معًا.

141- آه لو رأيت!

142- النار على الحدود: لعبة كل العصور.

143- انتهى زمن الفرص الضائعة!

144- هناك فرق.

145- الرئيس قال لي.. وقلت أيضًا - الجزءان الأول والثاني.

146- يا نور النبي.

147- وأنت ما رأيك؟

148- حضارة الإوز والبقر.

149- حلمنا الجميل.

150- ضاع الجيل ضاع.

151- قالوا (الجزءان الأول والثاني).

152- وآخرتها.

153– من أول السطر.

154– أظافرها الطويلة.

155– القلب لا يمتلئ بالذهب.

156– تكلم حتى أراك.

157– الذي خرج ولم يعد.

158– ليلة في بطن الحوت.

159– والله زمان يا حب.

160– أجيال من بعدنا.

161– قلبك يوجعني.

162– شمعة في كل طريق.

163– أكثر من رأي.

164– معذبون في كل أرض.

165– تعالوا نفكر.

166– معنى الكلام.

167– اللعب غريزة منظمة.

168– في انتظار المعجزة!

169– وأنا اخترت القراءة.

170– من أجل عينيها.

(ل) الترجمات القصصية:

171– رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكي أرفنج والاس.

172– (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.

173– (لو كنت مكاني) للأديب السويسري ماكس فريش.

174– (قصص مورافيا) للأديب الإيطالي ألبرتو مورافيا.

175– (الجلد) للأديب الإيطالي كورتسيو ملبارته.

176– (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكي جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

177– الفلسفة الوجودية الألمانية ـ لإميل تسلر.

178– الفلسفة الوجودية الفرنسية – لجان جاك رسو.

179– معنى العدم عند هيدجر وسارتر – لجانيت أردمان.

180– مسرح العبث الفرنسي – لإتيان ماريبو.

181– الفيلسوف الروسي برديائف – لفيكتور لوزتسيف.

182– من كيركجورد إلى مارسيل – لأنطوان بابيف.

183– سيمون دبوفوار تلميذة رصينة – لفرنسواز روسلان.

184 – رسائلها إليه ـ لفرنسواز روسلان.

185– فاشلون لكن نبلاء – لجان ماري روار.

186– ما الميتافيزيقا؟ – لمارتن هيدجر.

187– الوجودية فلسفة إنسانية – لجان بول سارتر.

188– فلسفة حنا أرنت – تلميذة للفيلسوف الألماني مارتن هيدجر – لآدم برجشتاين.

189– كروتشه فيلسوف الحرية – لإيزابيلا دلورنتس.

دار نهضة مصر للنشر